د. علي فهمي خشيم

رحلة الكلمات الثانية

الكلمة

الكلام

LANGAGE

LANGUE



رحلة الكلمات الثانية

د. علي فهمي خشيم

رحلة الكلمات الثانية

الدار الجماهيرية
للنشر والتوزيع والإعلان

الطبعة الثانية: أي النار 1428 ميلادية

رقم الإيداع: 3084 / 97 ـ دار الكتب الوطنية ـ بنغازي

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

مصراتة: ص.ب. 17459 ـ مبرق: 30098 هاتف: 614418 ـ بريد مصور 614816 ـ 051

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى

هذه الرحلة

منذ عقد من الزمان تقريباً صدر للمؤلف كتابٌ يحمل عنوان «رحلة الكلمات»[1] تقبله القارئون قبولاً حسناً، فيما بدا، بعد أن تابع حلقاته السامعون من قبل؛ فهو كان أحاديث مذاعة أصلاً، وكانت «الرحلة الأولى». كذلك الأمر في هذه «الرحلة الثانية».. إذ استمرت الأحاديث بمرور الأيام عبر الأثير وتجمعت شيئاً فشيئاً حتى صارت ما هي عليه وبلغت خمسة وستين حديثاً. وكان ينبغي لها أن تصدر في كتاب هي أيضاً أسوة بما سبق وحتى يمكن لمن يشاء أن يرجع إلى ما أذيع، كتاباً مسطوراً بعد أن كان في المذياع منثوراً، فيتأمل ما جاء فيه على مهل ولا يضطر لملاحقته سماعاً على عجل. ثم أُلحِقَتْ بما نُشر في بعض الصحف والمجلات على فترة، زيادة في الفائدة، تبدأ من (خرّافة أم سيسي) وتنتهي بموسيقا (الجاز) ورقصة (الكان كان)!

---

(1) نشر دار «اقرأ» مالطة/ روما 1986 (ف).

ولقد ذكر المؤلف في مقدمة «رحلة الكلمات» الأولى باعثه ومرماه وبيّن منهجه ومبتغاه. . فلا حاجة لتكرار ما ذُكر وإعادة ما نُشر.

«رحلة الكلمات الثانية» هذه يأمل صاحبها أن يجد فسحة من عمر ليتبعها برحلات أُخرى. . إن شاء الله. . ينافس بها رحلات السندباد البحري. أترى هذا ممكناً؟! فإن لم يكن فيليأت سواه ليكمل من الطريق ما بدأ، إن وجد فيه صواباً ونفعاً، وله من الله الأجر ووافر الثواب!

علي فهمي خشيم

مصراته 19 ـ 5 ـ 1997 (ف)

1

تعلمنا في المدارس أن الكلام: اسم وفعل وحرف. هكذا قال النحويون. والمقصود هنا تلك الأصوات التي تصدر عن فم الإنسان مرتبة في منازل ما بين أصوات حلقية ولهوية وسِنّية وشفوية، ولهم فيها اصطلاحات ما بين: مطبق ومجهور ومعطش وصفيري.. إلى آخر ما تعج به كتب النحو في ـ القديم ـ وكتب اللسانيات ـ في الحديث.

و«الكلام» اصطلاحاً لا يكون إلا أصواتاً تامة مفيدة مكونة من حروف الهجاء المعروفة، كما يقول صاحب (لسان العرب). ومما يدل على أن الكلام هو الجمل المتركبة في الحقيقة هو قول كثير في حبيبته عزة:

لو يسمعون كما سمعت كلامها

خرُّوا لعزة ركعاً وسجودا

و«الكَلام» بفتح الكاف اسم جنس ـ واحدته «كَلِمة» ـ عند الحجازيين. أما بنو تميم فيكسرون الكاف ويقولون (كِلام) ـ كما في لهجتنا الليبية ـ والواحدة «كِلْمة»، بكسر الكاف أيضاً، كما في لهجة عرب مصر. ويقال «كَلْمة» ـ بفتح الكاف وتسكين اللام ـ كما في لهجتنا، عرب ليبيا. وكلها صحيحة صائبة.

وقد فرق سيبويه ما بين «الكلام» الذي هو اسم جنس، يكون كلمة واحدة أو اثنين أو ثلاثاً، أي القليل منها والكثير، و«الكَلِم» الذي هو جمع كلمة لا يطلق على ما يقل عن ثلاث كلمات. لكن لفظة «كلمة» قد تطلق على القصيدة بكمالها أو خطبة بأسرها. ونحن نقول: «ألقى فلان كلمة طويلة» (وقد نصفها بأنها مملَّة). و«قال في كلمته». و«جاء في تلك الكلمة».. إلخ.

في القرآن الكريم ورد الجذر (كلم) بمشتقاته من اسم وفعل في مختلف الصيغ خمساً وسبعين مرة. من ذلك: «كلام» ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [سورة البقرة: 75]. و«كَلِم» ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [سورة فاطر: 10]. و«كلمات» ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [سورة البقرة: 37]. و«كلمة» ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: 64]، ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [سورة إبراهيم: 24].

وطبيعي أن يكون لكل مشتق من هذه المشتقات الخمسة

والسبعين من الجذر (كلم) في القرآن دلالته بحسب السياق، وأن يشتجر الجدل حول معناه، كما اشتجر حول معاني ألفاظ قرآنية أُخرى. . باختلاف الفهم والتكوين الثقافي والفكري، والديني أيضاً، فنشأ عن هذا ما يعرف في تاريخ الفكر الإسلامي باسم «علم الكلام» وسمي أهله «المتكلمين» أو «أهل الكلام». وهم شغلوا الناس بجدلهم وعراكهم وخصامهم قروناً من الزمان حول مشكلات غيبية لا يعلمها إلا الله، أو قضايا فرعية تدخل في باب «الترف الذهني» الذي لا طائل من ورائه. وإذا كان فريق منهم استفاد من بعض جوانب الفلسفة والتفكير المنطقي وأفاد، فإن أغلبهم كان يجادل جدلاً عقيماً حول مسألة من مثل: هل القرآن الكريم، كلام الله، مخلوق أم غير مخلوق؟ وهل تقطع يد السارق في درهم أو درهمين أم يتربص به حتى تبلغ سرقاته حد المائة درهم؟ وهل الفاسق يعتبر مؤمناً أم كافر بفسقه؟

هذا هو الجدل، أو الجدال، قد يتحول إلى «مراء» وهو السفسطة. وقد نسميه في لغتنا المعاصرة: نقاشاً أو مناقشة، أو حواراً. . وهو «التكالم» أيضاً. . وكله: كلام.

2

«الكلام» هو اللفظ المركب من حروف الهجاء، يقابل في الفرنسية langage و«الكَلِم» هو تلك الجملة المفيدة، يقابل في الفرنسية أيضاً langue. هكذا فرق الفرنسيس بين langage (كلام) و

langue (كَلم). لكن المصطلح العلمي شيء والاستعمال العام شيء آخر. فنحن نستعمل لفظة «كلام» في مايتكلم مجازاً. فنسمع المغني ينشد: «الأرض بتتكلم عربي».. مثلاً. ونحن لا ندري للأرض كلاماً، اللهم إلا إذا اعتبرنا أصوات الزلازل والبراكين، وهدير البحار ودمدمة الأنهار وخرير الجداول ورقرقة الينابيع وحفيف أوراق الشجر، كلاماً للأرض، كما نعتبر هزيم الرعد وقصف الصواعق وصفير الريح كلاماً للسماء. وقد استعمل القرآن الكريم كلمة «سبَّح» بدلاً من «تكلَّم بحمد» أو «نطق شاكراً» أو «ذَكَر» عند الحديث عن مظاهر الطبيعة. وهذه اللفظة (سبح) عنت في اللغات العربية القديمة: رفع صوته ـ حامداً ـ أي: دعا، وصَلَّى. وتبدل السين في (سبح) ضاداً فيقال: ضبح. ونحن نستعمل كلمة (ضبح) في صيغة «ضبّح» في لهجتنا بمعنى: نادَى.

ورد في الكتاب العزيز: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [سورة الرعد: 13]. وورد: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [سورة الإسراء: 44]. وجاء: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة الحديد: 1]. كما جاء: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ [سورة التغابن: 1]. وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سورة الأنبياء: 79].

الكون بكامله يسبح لخالقه، يصلي له، من ذرة الرمل الدقيقة إلى الجبال الرواسي العاليات، ومن قطرة الماء الصغيرة إلى موج

المحيط المتلاطم، إلى بلايين الكائنات من جماد ونبات وحيوان في هذه الأرض، وإلى ما لا يحصى عدّاً من الكواكب والنجوم والسيارات والمجرات والسُّدُم. . أكواناً تليها أكوان.

وقد يسأل سائل: كيف للجماد أن «يتكلم»؟

يا سبحان الله! هلا نظر لجهاز المذياع (الراديو) الذي يأتيه الكلام عبره؟ إنه مكون من خيوط وأسلاك وضوابط ومفاتيح جامدة، ومن مادة «السيليكون» التي تحويها حبات الرمل إذا كان جهازاً مما يسمى «الترانزستور». ومع هذا فهو «يتكلم». وحديثي ذاته يمكن أن يكون مسجلاً على شريط جامد، وقد أسمعه معك وأنا جالس بعيداً عن مصدره. . يتكلم أو. . أتكلم. . هه. . ما رأيك؟

وقد يعترض: هذا كلام مسجل ينقله جهاز لا يتكلم من ذاته.

والجواب: ما هو كلام البشر؟ إنه ألفاظ، أو أصوات، سجلتها الذاكرة يوماً بعد يوم منذ الولادة، يستعيدها الإنسان عن طريق هذا الحاسوب الرهيب الرائع الذي اسمه الدماغ، حين يشاء، فتخرج أصواتاً مرتبة هي الكلام.

كل ما في الأمر أن المسجّل والمذياع لا «يفكر». . فالتفكير عن طريق العقل هو ميزة الإنسان. . هو «الأمانة» التي حملها بإذن الله.

الكون حركة دائبة. والحركة ـ في اللغة ـ تعني الكون، وهي التي نشأ عنها المكان والزمان، أي الوجود برمته. وهو أصوات

تسبح لله . . أعني «موسيقا». ومنذ ما يقرب من ثلاثة آلاف عام أدرك فيلسوف قديم هو «فيثاغورس» هذه الحقيقة فقال: إن الكون موسيقا.

نعم «موسيقا» كونية رائعة تعزف منذ الأزل وإلى الأبد لحن الوجود العظيم.

3

هل تتكلم الحيوانات؟

سؤال كثيراً ما يتردد على الشفاه. وجوابه: نعم. . إنها ـ وحياتك ـ تفعل، ولكن بلغتها الخاصة التي تختلف عن لغة البشر. وقد مكن الله عز وجل نبيه سليمان من معرفة لغة الطير: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [سورة النمل: 16]. وكان يعرف لغة النمل: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [سورة النمل: 18 و19].

ولقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن للحيوانات لغة، بل لغات، بها تتخاطب وتتفاهم وتعبر عن انفعالاتها ورغباتها ومواقفها. فإذا راقب أحدنا هرةً مثلاً اتضح له أن مواءها يختلف صوته في حالة الرجاء ـ تطلب الطعام مثلاً ـ عنه في حالة الغضب أو الخوف، كما يختلف عنه في حالة الرضا والطمأنينة، فيكون هريراً هادئاً لطيفاً. كذلك يتنوع نباح الكلب بتنوع حالاته، كما يختلف ثغاء النعجة

جائعةً عن ثغائها تدعو أولادها إلى الرضاعة مثلاً. وأجريت تجارب طويلة على السمكة المعروفة باسم «**الدلفين**»، «**الدنفير**» في لهجتنا، وتبين أن له أصواتاً متعددة تكون في مجموعها لغته الخاصة به. ومن يدري؟ لعلنا نصل ذات يوم إلى معرفة معاني هذه الأصوات ودلالاتها فنتمكن بهذا من التخاطب مع سائر الحيوان. وقد كانت لنا في أيام الطفولة لعبة لطيفة؛ إذ يعمد أحدنا بصوته الحاد إلى تقليد صياح الديك في مرتع الدجاج، فيأتيه الرد من مجموعة الديكة يهتز عُرف كل منها مستجيباً للنداء. ولا ننسى كيف كانت الوالدة ـ رحمها الله ـ تدعو دجاجاتها بصوت يخرج من بين الشدقين مضغوطاً بطرف اللسان. هذه لغة. ونعرف جميعاً نداء الهرة: بس بس بس! ومن هنا جاءت تسميتها في العربية: «**بَسَّة**» و«**بِسَّة**». ويستحث راكب الحمار حماره بصوت معين يخرج هواءً مضغوطاً من آخر الحلق. أو يكلمه: «**تِرّي!**» أو لإيقافه: «**إش!**»، هذه أيضاً لغة. وصوت آخر لإناخة الجمل: إ خ خ خ»، أو لإقامته: «زع!»، كما تساق الشاه: «أُفّ أُفّ» أو: «تُفٌ.. تف!» ويحرض حصان العربة على السير: «دي!» أو يوقف: «إيقس». ومن الطريف أن الحصان يدعى في اللغة اللاتينية "equs" وقد تطورت دلالتها تطوراً عجيباً آمل أن نعرض له في جملة هذه الأحاديث.

ليس هذا فحسب. بل إن للنبات لغة. هكذا أثبت العلماء والباحثون. وهي «لغة صامتة» إن جاز التعبير، أو «لغة رائحةٍ» كما هو الواقع. فإذا ما أحست شجرة بفأس الحطاب يهبط على ساقها

أطلقت رائحة «تشمها» بقية الأشجار لتحذر بأن تصلب من لحائها أو تضم أوراقها.. أن تفعل أي شيء يحميها.. عليها أن تتصرف.. أو على الأقل: تموت واقفة باعتزاز وكرامة، فلا تنحني ولا تركع.. ولا تستسلم مثل استسلام من تعرفون! وتقول نتائج البحوث المطولة إن بعض الأزهار تتأثر بالكلمة الطيبة الرقيقة فتزدهر، وتحزن من الكلمة الخبيثة المسيئة فتذبل.. بل قد تموت منتحرة من سوء ما وجه إليها من كلام غليظ. إنها أزهار حرة تأبى الضيم وتفضل الموت على الهوان.

4

في تدقيقاتهم وتحليلاتهم يفرق العلماء المختصون بين «الكلام» و«اللغة». الأول اسم جنس يقابل ما في الفرنسية langage والثانية تقابل langue في الفرنسية وlanguage في الإنكليزية. وقد تكون اللغة كلاماً، وقد يكون الكلام لغة. لكن اللغة قد تكون أيضاً خالية من الكلام، لكن الكلام لا يخلو من اللغة ـ ألم تسمع قول الشاعر الذي تحول غناءً:

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت
عيني في لغة الهوى عيناك؟

إنها (لغة العيون) إذن، ويا لها من لغة معبرة!

وهي لغة ذات مغانٍ ومعانٍ ودلالات ومرامٍ لا تعد ولا تحصى.

ولكل نظرة معنىً واسم خُص به في لغة العرب الشريفة. إسمع ما يقوله أبو منصور الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وأسرار العربية) عن: كيفية النظر وهيئات وأحواله. قال:

إذا نظر الإنسان إلى الشيء بمجامع عينيه قيل: رمقه. فإن نظر إليه من جانت أذنه قيل: لحظه. فإن نظر إليه بعجلة قيل: لمحه. فإن رماه ببصره مع حدة قيل: حدجه، أو أرشقه. فإن نظر إليه نظر المتعجب أو الكاره أو المبغض أياه قيل: شفنه. فإن أعاره لحظ العداوة قيل: نظر إليه شزراً. فإن نظر إليه بعين المحبة قيل: نظر إليه نظرة ذي عِلق. فإن نظر إليه نظر المستثبت قيل: توضّحه. فإن وضع يده على حاجبه مستظلاً بها من الشمس يستبين المنظور إليه قيل: استكفّه واستوضحه واستشرفه. فإن نظر إلى الشيء كاللمحة قيل: استشفه. فإن نظر إلى الشيء كاللمحة ثم خفي عنه قيل: لاحه. فإن نظر إلى جميع ما في المكان حتى يعرفه قيل: نفضه. فإن نظر في كتاب قيل: تصفحه. فإن فتح جميع عينيه لشدة النظر قيل: حدَّق. فإن لألأهما قيل: برّق عينيه. فإن انقلب حملاق عينيه قيل: جملق. فإن غاب سواد عينيه من الفزع قيل: بَرِق بصره. فإن فتح عين مفزّع أو مهدد قيل: حمّج. فإن بالغ في الفتح قيل: حدج. فإن كسر عينيه في النظر قيل: دنقس. فإن فتح عينيه وجعل لا يطرف قيل: شخص. فإن أدام النظر مع سكون قيل: أسجد. فإن نظر إلى أفق الهلال لليلته ليراه قيل: تبصّره. فإن أتبع الشيء بصره قيل: أثأره بصره. (ص68 ـ 69).

فأية لغة في الدنيا يمكنها أن تعبر عن (لغة العيون) مثل هذا التعبير المحدد الدقيق غير العربية؟

لو أن (الثعالبي) بعث من جديد لأضاف إلى هيئات النظر إلى جانب «برّق»، التي يستعملها المصارتة بالقاف المعقودة، ألفاظاً أُخرى في لهجتنا من مثل «بحلق» وهي في ما أرى مقلوب «حملق» مبدلة ميمها باء. و«شبح» التي تجدها عند أهل طرابلس وما حولها. و«حقّق» ـ معقودة القاف ـ في جنوب البلاد. و«بهّت» في شرقها. وكلها بمعنى «نظر». ويقال «ري» المبتسرة من «رأى» العربية الفصيحة. ثم لا ننسى «فنّص» وهي اللفظة ذات الصيت في طول البلاد وعرضها.. فنحن جميعاً ـ والحمد لله ـ نشترك في هذه النظرة الرائعة التي نسميها «التفنيص»! «فنّص لي.. نفنّص لك» واسم الفاعل: الفنّاص، والواحدة: تفنيصة. نظرة فيها كل معاني التعجب، والمنع، والنهي،والغيظ، والحيرة.

وعلى طول ما بحثت في المعاجم، ونفضت الأضابير، وتصفحت المجلدات لأجد لها أصلاً فقد منيت بالإخفاق.. حتى عثرت عليها في معجم اللغة الأكادية (لغة عرب الرافدين منذ خمسة آلاف عام) في صورة «پلاسُ» palasu (معجم وير، ص256). والعجيب أن معناها آنذاك كان: نظر، لاحظ، نظر إلى الشيء بودّ وتفضيل. وقد انقلبت باؤها المهموسة فاءً ولامها نوناً وسينها صاداً (فَنَاصُ) ـ كما انقلب حالها من نظرة المحبة والود إلى نظرة الحدة و.. التفنيص. ولا عجب!

5

إلى جانب (لغة العيون) هناك لغات أُخرى. (لغة الأيدي) مثلاً. وهي لغة قديمة تدخل في باب «لغة الإشارة».. بل هي بالغة القدم، ولا يخلو أن يستعملها الإنسان، مفردة أو في أثناء حديثه. وقد اشتهر الإيطاليون بمساوقة أيديهم لكلامهم حتى ليمكنك أن تفهم ما يقول الإيطالي حتى إن كنت لا تعرف من الإيطالية كلمة واحدة.. فإن يديه تعبران عما يقول تمام التعبير. وقد تطورت لغة الإشارة بالأيدي هذه في عصرنا وصار يتخاطب بها الصم البكم ويخاطبهم بها من درسوها، وتراها تصاحب برامج التلفزة وأخبارها إلى جانب قارئها، أصابع تتحرك.. تنقبض وتنبسط وتلتوي وتستقيم، تكوّن دوائر ومربعات وزوايا على الكف وأطراف الأنامل.. فتُفهم.

وفي بعض المجتمعات قد تتطور (لغات الأيدي) هذه فتتحول من الإشارة إلى التماسك، ومن مجرد الإيماء إلى لكمات يُسمع لها دوي يتبعه تأوه وأنين.. معبران عن حالة الملكوم المسكين. (بالمناسبة: الجذر «**لكم**» هو مقلوب الجذر «كلم» ـ والكلْم: الجرح ـ وفيهما معنى الشدة والقوة، كما هو المقلوب الثالث «ملك» والرابع «كمل» ـ وهو ما يسميه ابن جنّي: الاشتقاق الكبير).

المهم أن «لغة الأيدي» لغة معترف بها على كل حال. وهناك «لغة الأرجل» والأقدام، نراها عند الثور الهائج حين يحفر الأرض بإحدى قائمتيه الأماميتين متوعداً خصمه كأنه يقول: يا ويلك مني!

كما نراه في أقدام الرقص المعروف عند الفرنجة باسم (الباليه) وفي رقصات أُخرى ذات أسماء متعددة حسب المقام والمرام. والرقص ذاته لغة. ويقال إن النحلة إذا ما عثرت على روض من الأزهار جاءت رفيقاتها (أو رفاقها ـ لا أدري) وأدت رقصات محددة تقول لهم بها: هيا.. أسرعوا.. أزهار.. أزهار.. يالاًّ!

وفي بعض المجتمعات البشرية في أفريقيا نسمع عن (لغة الطبول).. إشارات تدق على طبول دقات معينة فيفهم معناها، وقد يرد عليها بدقات من طبول أُخرى، وتتجاوب جنبات الغابة: بُم.. بُم.. بُم.. بُم. وقد رأيت، وسمعت، بنفسي ذات يوم في طرابلس فرق طبول من دولة أفريقية صديقة تعزف أصواتاً بطبولها تبعث الضحك وأُخرى تبعث الحزن والأسى، وغيرها يطرب حتى ليكاد المرء يقفز راقصاً من شدة الطرب.

هذه الطبول شهيرة عند قبائل «الدنقا» شرقي السودان وفي أوغندا وأحسب أن كلمة (دنقه) بمعنى «طبل» في لهجتنا جاءت من هذا القبيل.

وفي بعض مناطق القارة الأفريقية، كما في جزر الكناري (التي عرفها العرب باسم: جزر الخالدات، وجزر السعادة، وجزر السعداء) يستعمل الصفير لغة، نغمات تخرج حادة من بين الشفتين المزمومتين تعبر عما في نفس من أطلقها، فيجيبه صاحبه، حتى إن كان على بعد، بنغماته، ويستمر الصفير حواراً متتابعاً لساعات.. هدرزة صفيرية طويلة!

هناك إذن «لغات» متنوعة،وهي ليست «كلاماً». إنها إشارات صوتية أو حركية أو رموز أو أصوات من آلة أو صوت حيوان أو بشر محدد لا يدخل في باب الكلام والكلم. فإشارات المرور، مثلاً، لغة، وعلامات الطرق والمواقع لغة، والأضواء والألوان لغة تستعمل في مختلف المناسبات ومتباين الأحوال، ونقرات اللاسلكي لغة و. . «دقات قلب المرء» لغة. . . قائلة له: «إن الحياة دقائق وثوان!».

فما هي (اللغة)؟

سؤال نبحث له عن جواب.

6

لم أدهش، وأنا أقرأ لأحد كبار الباحثين اللغويين العرب قوله إن كلمة **«لغة»** غير عربية «ترجع إلى أصل غير **(سامي)**. إنها من الكلمة اليونانية logos ومعناها: كلمة، كلام، لغة» (محمود فهمي حجازي؛ علم اللغة العربية، ص312). ودليله على هذا أن القرآن الكريم لم يستعمل كلمة «لغة» بل استعمل كلمة «لسان». فقد جاء فيه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [سورة إبراهيم: 4]. كما جاء: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾. [سورة النحل: 103].

أقول: لم أدهش من هذا الحكم لأننا اعتدنا أن نسمع مثله من أحكام متسرعة عجلة دون ضبط ولا إحكام؛ إذ لم ينتبه الأستاذ

الباحث إلى أن كلمة «لغة» مشتقة من الجذر (لغا) الذي ورد إحدى عشر مرة في التنزيل العزيز بأربعة اشتقاقات، منها: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ [سورة فصلت: 26]. ومنها: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ [سورة المؤمنون: 3]. ومنها: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا﴾ [سورة الواقعة: 25]. ومنها: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ﴾. [سورة الغاشية: 10و11].

صحيح أن «اللغو» هنا يعني القول الباطل والسقط وما لا يعتد به من كلام، ولكن هذا دلالة متطورة عن الجذر الأصلي (**لغا**)، وهو ما يشبه تطور الدلالة في الجذر (**نبا**) ومعناه الأصلي: رفع، ثم رفع صوته، بالكلام أو بالنداء، ومنه «كلمة نابية» أي فاحشة قبيحة تماثل ما ورد في القرآن الكريم «لاغية» بالضبط.

جاء في (لسان العرب):

لغا: تكلم. واللُّغة: اللسن، وحدّها: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. وقيل: أصلها لُغوة، وقيل: لُغَيٌ أو لُغَوٌ والهاء عوض والجمع: لغات ولغُوت. واللّغو: النطق. ولغى بالشيء، يلغَى، لغاً: لهج. ولَغْوَى الطير: أصواتها. والطير تلغى بأصواتها: أي تنغِّم.

ولعل قائلاً يقول: إن هذا لا يمنع الأخذ عن logos اليونانية التي عُرّبت في صورة «لغا». فيجاب بأن هذا الجذر في العربية أصيل، والدليل على ذلك أن ثنائيه المكون من اللام والغين إذا ما ثُلّث أدى نفس المعنى بدلالات متنوعة.

خذ الثلاثي «لغب» مثلاً ـ وفيه: كلام لَغْب = فاسد لا صائب ولا قاصد. قال الزّبرِقان:

ألــم أك بــاذلاً وُدِّي ونــصــري
وأصــرف عــنــكــمُ ذَرَبــي ولــغــبــي

وفي الرباعي «لغذم»: تلغذم الرجل = اشتد كلامه. وفي «لغز»: ألغز الكلام وألغز فيه = عَمَّى مراده. واللُّغز: الكلام الملبَّس. وفي «لغط»: اللغْط واللغَط = الكلام الذي لا يبين. وفي «لغف»: ألغف الرجل = أكثر من الكلام القبيح. واللغيف: الذي يسرق الكلام من الكتب (وهي سرقة حلال.. لا جدال!). وفي «لغم»: لغم كنغم، أي صوَّت، والملغم: الفم، أداة الكلام.

وقريب من هذا الرباعي «لغثن». واللغاثين: الخياشيم ـ وهي التي لا يحسن الكلام بدون صلاحها وإلا كان المتكلم أخنف. وأحدها: لُغثون. وفي المضاعف «لغلغ» يقال: في كلامه لغلغة، كما يقال لخلخة، بالخاء، أي عُجمة. وفي مادة «لغن» يقال: جئت بلُغْن غيرك، إذا أنكرت ما تكلم به من اللغة. وفي مادة «لغد»: الألغاد واللغاديد = ما أطاف بأقصى الفم إلى الحلق: وقيل: اللحمات التي بين الحنك وصفحة العنق.

أبعد هذا يقال إن كلمة (لغة) في العربية من اليونانية logos.. يا سبحان الله؟!

7

فيما سبق تتبعنا الجذر الثنائي المكون من اللام والغين (لغ) في العربية وهو الذي يثلث إلى (لغا) وأثبتنا أصالته في العربية. فماذا لو أخذنا الجذر الأحادي المكون من حرف الغين المعجمة فحسب، وهو الأصل الأول البعيد لما ثُنِّي بعد ذلك وثُلِّث ورُبِّع؟

إنه يسبق بصوت أو يتبع بصوت آخر، ولكن الدلالة تدور في نفس المجال. فقد تسبق الغين بباء وتتبع بغين فتكون «بغغ» ومنها: البغبغة = حكاية بعض الهدير. وقد أسمينا ذاك الطائر الملون الذي «يحفظ» كلاماً يردده «ببغاءً» وفي بعض اللهجات: «بغبغان» لأنه يبغبغ بكلام محفوظ. وهو الذي يعرف في الإيطالية باسم «بپّاقالُّو» pappagallo ومعناه حرفياً: «ديك الببّا» أو «ديك البغباغ». (على فكرة: كلمة «قالُّو» gallo تعني أصلاً: صرخ، صاح، صوّت. عربيتها: قَالَ). وقد تكون الغين بين الباء والميم فيكون الجذر الثلاثي «بغم»، وبُغام الظبية: صوتها، والمباغمة: المحادثة بصوت رخيم. قال الكميت:

يتقنصن لي جآذر كالدُّرِّ
يباغمن من وراء الحجاب

إذا أسبقت الغين بثاء مثلثة كانت «ثغغ» ومنها: الثغثغة = الكلام الذي لا نظام له، والمثغثغ: الذي إذا تكلم حرك أسنانه في فيه واضطرب اضطراباً شديداً فلم يبين كلامه، كما قال الشاعر رؤبة:

وعـضَّ عَـضَّ الأدردِ الـمـثـغـثِـغ
بـعـد أفـانـيـن الـشـبـاب الـبُـرْزُغِ

وهناك «ثغا» ـ والثُّغاء: صوت الشاه والمَعَز وما شاكلها.

وتسبق الغين براء فنجد «رغا». والرُّغاء: صوت ذات الخف. أو تسبق بالواو فنلقى «وغى». والوغى: صوت المتحاربين وصياحهم في أثناء القتال. أو تسبق بنون وتتبع بميم فتكون «نغم». والنغْمة: جرس الكلمة وحسن الصوت في القراءة وغيرها. كما أن هناك «نغا»، والنغية مثل النغمة، ومنها: المناغاة أي المغازلة، وتعليمك الصبي بما يهوى من الكلام ـ كما في قول الشاعر:

ولـم يـك فـي بـؤس إذا نـام لـيـلـةً
يـنـاغـى غـزالاً فـاتـر الـطـرف أحـورا

وفي لهجتنا عن محبة الشيء، أو الشخص: «نشبح له ونناغي للقمر». وفي هذه اللهجة أيضاً: «ينغنغ» و«فلان نغناغ» ـ وقد تبدل الغين قافاً معقودة: «ينقنق»، «نقناق». وفي الإنكليزية nag, nagging تعني بالضبط «ينقنق». وفي العربية تتعاقب الغين والقاف ـ كما يفعل عرب السودان ـ فنجد «نقق» وفيها: النقيق = صوت الضفدع وبعض الطير.. نقّ ونقنق نقيقاً.

وتبدل الغين المعجمة عيناً مهملة وتلحق بالباء فيكون الثلاثي «نعب» بمعنى: صاح، صوّت. أو تلحق بالراء، فنجد «نعر» ومنها: النعير = صوت الريح، والناعورة: الدولاب الذي يستقى به يديرها

الماء ولها صوت. والطريف أن المطرب، أو المغني، في اللغة البابلية/ الأكادية يسمى «نعارُ» أي: المصوِّت، النعَّار. فإذا ألحقت بقاف كانت «نعق» وكذلك «نغق» و«نهق» بتعاقب العين والغين والهاء، وكلها أصوات. ثم هناك «نعا». والنُّعاء: صوت السِّنَّور.

وتبدل النون لاماً وتلحق العين بالضاد، فنجد «لعض» بمعنى: تناول بلسانه، واللَّغوض: ابن آوى، الذي جاء اسمه من الوأوأة = الصياح. وهي لغة يمانية، أو تلحق بالقاف (لعق) ـ وقارن هنا الإنكليزية lick إن شئت. والمدهش أن نجد في مادة «لعع»: رجل لعَّاعة، يتكلف الألحان من غير صواب. وهو ما يقارب ما في الدارجة: «يلعلع»، «العلاع». وتستعار في الدارجة للألوان فيقال: لون ملعلع، أي: لون صارخ ـ وهو مجاز.

يا لله! لقد نسينا «بعبع» وهو رباعي «بع» الذي هو ثنائي حرف العين المماثل للغين المعجمة: بغ.. بغبغ. ومنه: البعباع، البعبعة.. وفي لغة الطفولة: «بِعيّة» ـ الخروف الثاغي.

كل هذا لنثبت أصالة الجذر «لغا» الذي منه «اللغة».. وأنها ليست من اليونانية logos.. بل العكس هو الصحيح. فما «اللوغوس» هذه بالله عليك؟ تسألني.. سأجيبك إن شاء الله.

8

في أحاديثهم المتعالية يمكنك أن تسمع بعض المستثقفين

المتعالمين يردد كالببغاء: «آه.. نعم.. في البدء كانت الكلمة». يقول بتبجح كأنه فتح عكا وما حولها. وهنا خطآن؛ أولهما أن «الكلمة» في (إنجيل يوحنا) الذي ينقلون عنه مذكرة وليست مؤنثة.. كان الكلمة، وليس: كانت الكلمة. جاء في الإصحاح الأول من هذا الإنجيل ما نصه: (في البدء **كان** الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله) (**1: 1**).

وهنا نأتي إلى الخطأ الثاني، وهو أن المقصود ـ في عقيدة النصارى ـ بلفظ «الكلمة» هو المسيح (عليه السلام). فقد جاء في نفس الإصحاح:

«والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا ورأينا مجدَه مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً. يوحنا شهد له ونادى قائلاً: هذا هو الذي قلت عنه إن الذي يأتي بعدي صار قدامي لأنه كان قبلي..... وأنا قد رأيت وشهدت إن هذا هو ابن الله». (**1: 24.14**).

فالكلمة ـ في اعتقاد النصارى هو (وليس: هي) الله، وبتحديد أدق هو المسيح ابن الله ـ تعالى عما يصفون ـ الذي تجسد بشراً ليفدي البشر ويموت ليكفر عن الإنسان خطيئته الأولى كما يؤمنون. أما في القرآن الكريم فقد وصف المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) بأنه عبد الله، نبي مرسل، ولد معجزةً من غير أب، كما وصف بأنه (كلمة الله) وليس «الكلمة» في حد ذاتها. ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ

عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ﴾ [سورة النساء: 171]. وورد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [سورة آل عمران: 45]. وهذه «الكلمة» ليست خاصة بالمسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) بل كانت للنبي يحيى كذلك. قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: 39].

قال ابن منظور نقلاً عن أبي منصور الثعالبي في (التهذيب): «سَمَّى الله ابتداء أمره (كلمة) لأنه ألقى إليها (أي إلى مريم) الكلمة ثم كون الكلمة بشراً، ومعنى الكلمة: الولد. والمعنى: يبشرك بولد اسمه المسيح. وقال الجوهري: وعيسى ـ عليه السلام ـ كلمة الله، لأنه لما انتُفع به في الدين كما انتفع بكلامه سُمي به كما يقال: فلان سيف الله وأسد الله» (مادة: كلم).

فالكلمة هنا تعني فعل الأمر «كُنْ» للإرادة والخلق معاً عند الذات الإلهية. وعليه فلا معنى لذلك الجدل الفلسفي الذي دار طويلاً عن السؤال: هل الفكر، أو الفكرة، قبل الوجود، أم أن الوجود قبل الفكرة. فالحق أن الأمر فيما يتعلق بالذات الإلهية واحد؛ فالفكرة تتضمن الإرادة وإذا ما أراد الله شيئاً كان ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة يس: 82].

المهم.. أن «الكلمة» التي وردت في (إنجيل يوحنا) وفي (رؤياه) كذلك كانت ترجمة لليونانية logos والسين في آخرها زائدة للعَلَمية فهي أصلاً logo. وفي اليونانية أيضاً legô (قال، نادى)

كماأن فيها logo(s) (شهير، ذو صيت ـ ذو ذكر، مذكور). ومن loga مشتقات كثير جداً منها على سبيل المثال: loga(s) (ثرثار، كثير الكلام) logion, (قول مأثور، مثل) logia, (كلمات) logographia, (أدب، نثر) logio(s), (متعلم، مثقف، فقيه). . وعشرات من المشتقات التي تبدأ بالمقطع loga المأخوذة عن العربية: **لغا، لغة**.

فهل نمضي في هذا السبيل؟

9

أخذت اليونانية من العربية الجذر «لغا» في صورة logaوحركته lago, lego. وسارعت اللاتينية لتأخذ هي أيضاً وتزيد عندها على الكلمة نوناً لتكون lingua ـ كما في الإيطالية. وعنها الفرنسية langue والإنكليزية language. ويزعم معجم اللاتينية التأثيلي (**ص310**) أن lingua (ومعناها: لغة، كلام، لسان بالمعنى المادي والمعنوي) ذات صلة بالأرمنية lezu، ونذكر هنا أن ذلك يقابل ما في المصرية القديمة «ن س» (= ل س) **والأمازيغية/ التارقية «إلس»** (= لسان) ويقارن بالفرنسية leche-r **(وصواب نطقها القديم: «ليكي»)** وهي العربية «لعق» أو «لحس» ـ وهي من أفعال اللسان كما في الإنكليزية lick (= لعق).

وما دامت الإنكليزية الأكثر ذيوعاً فلآخذك في رحلة قصيرة إلى ما جرى للجذر العربي (لغا) فيها. خذ يا أخي مثلاً ما يردده أهل الفن التمثيلي مثلاً: «ديالوغ» dialogue (حوار بين شخصين) مكونة

من dia (عربيتها «طوى» أي: ثنى ـ ومنها اثنان) وlogue = لغة. وهناك الـ monologue (حوار الواحد مع نفسه) والـ triologue (حوار الثلاثة أشخاص). ونسمع عند أهل المطابع تعبيراً من مثل logotype (حرفياً: لغة + طبع). ويدخل المقطع logy ـ بمعنى «علم» في عشرات أسماء العلوم من مثل: geology (علم طبقات الأرض)، biology (علم الأحياء/ أو علم الحيوان أو علم الحياة) chronology، (علم التأريخ. وعربية chrono هي «قرن» أي مدة من زمان) وhistology (علم الأنسجة. وكلمة histo يونانية الأصل تعني: نسيج. عربيتها: غشاء) وcosmology (علم الكون. وكلمة cosmo(s) يونانية تعني: الكون، أي المادة المخلوقة. عربيتها «جسم»)، وعشرات الألفاظ المركبة التي تنتهي بالمقطع logy الذي يعني «علم» متطوراً عن العربية «لغا < لغة».. تماماً كما تطورت كلمة «منطق» (التي هي في الإنكليزية logic) عن «نطق» بمعنى: تكلم. ذلك لارتباط الكلام (اللغة) بالمعرفة. قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [سورة البقرة: 31]. كما قال عز وجل: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [سورة البقرة: 37]. وجاء: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [سورة الكهف: 27]. وقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [سورة الكهف: 109].

وكما حدث في العربية من إبدال الغين المعجمة في (لغا) عيناً وقافاً مع إبدال اللام نونا (نعا، نقق ـ مثلاً) فقد أبدلت اللاتينية حرف

الـ g في logy/logia كافاً (C) كافاً تقرب من القاف (Q) في اللاتينة فكانت loqui, locu-tio (بمعنى: تكلم) ومنها الإنكليزية locution (أسلوب كلام). وتأتي elocution ـ وإليها تنتسب eloquence (فصاحة) والصفة منها eloquent (فصيح، ذرب اللسان أو ذلقه، خطيب مفوّه أو مصقع.. إن شئت).

لقد عُرِّف الإنسان بأنه «كائن ناطق» أي كائن متكلم، كلاماً مرتّباً في جمل مفهومة مفيدة. وقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [سورة الروم: 22]. غير أن هذا الاختلاف هو كاختلاف الفروع مع وحدة الأصل، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [سورة يونس: 19].. فهم كفروع الشجرة التي تنبثق عن بذرة واحدة ثم تختلف جذوراً وسوقاً وأغصاناً وأوراقاً وأزهاراً وثماراً، لوناً ورائحة وملمساً وطعماً وشكلاً. وسيتبين لنا أن العربية، لغتنا الشريفة، هي تلك البذرة الأولى التي حبا بها الباري الإنسان.

10

يعرف ابن منظور «اللسان» بأنه: جارحة الكلام. وهذا صحيح لدى الإنسان المتكلم، ولكنه غير دقيق عند الأبكم مثلاً. والأصوب القول إنه تلك الجارحة في الفم تستعمل في أغراض شتى. ففيها حاسة الذوق، أي تذوق الأطعمة من حلو ومر، وحامض ومَزٍّ، ولاذع ومالح.. إلخ. كما يساعد على تحريك الطعام يدفعه بين

الأضراس ليطحن ثم يدفعه إلى البلعوم فينزلق إلى المرىء ليصل المعدة ويستقر حتى يهضم. وتستعمل بعض الزواحف اللسان في اصطياد فرائسها من الحشرات. وهو أداة لعق ولحس وتنظيف، مادياً ومعنوياً. فالسباع، مثلاً، تلعق شرابها به، والهرة تنظف جسدها وأولادها بلسانها. ونسمع تعبيراً من مثل: جلس فلان يلعق جراحه، أو: فلان يلعق النعال ـ كناية عن الملق أو الذلة والخنوع.

وقد تطورت الدلالة الحسية إلى دلالة معنوية؛ فاللسان: اللغة، وهو: الكلمة ـ أيضاً. وقد يؤنث حينئذ ـ كما قال أعشى باهلة:

إنـي أتـتـنـي لـسـان لا أُسَـرُّ بـهـا
من عَلْوَ لا عـجـبٌ فيـهـا ولا سَـخَـرُ

والجمع: ألسنة وألسن. ويقال: لِسْن ـ بمعنى: لغة. وفلان لَسِنٌ، وهو لاسنه أي: ناطقه، ولَسَنه: كلَّمه. ورجل ملسون: حلو اللسان بعيد الفعال.

في اللغات الأوروبية تتردد ـ بمعنى «اللسان» مادياً ومعنوياً ـ كلمات lingua في الإيطالية وlangue في الفرنسية وlengua في الإسبانية وتقلب اللام زاياً في الألمانية zunga وفي السويدية تقلب تاء tunga وفي الإنكليزية هناك language وtongue للمعنى نفسه. ويعلل (معجم أكسفورد التأثيلي) ورود tongue بأنها منقولة عن اللاتينية dingua بالدال إبدالاً من lingua باللام. وقد يكون هذا صحيحاً، رغم أني لم أجد في اللاتينية ما يؤيد هذا التعليل، وهي

كلمة تنتمي إلى مجموعة اللغات الجرمانية وليس إلى مجموعة اللغات اللاتينية حسب تقسيماتهم، نجدها في النوردية tunga وفي القوطية tunge وفي الجرمانية القديمة tungon.

فماذا لو نظرنا إلى هذه الكلمة من زاوية أُخرى؟

إن جذرها مكون من التاء والنون والجيم المعطشة، أو لنقل القاف المعقودة. والتاء تنطق فيها قريبة من الطاء tongue فهي طاء ونون وقاف معقودة إذن. أليست هذه هي ذاتها «نطك» (نطق) مقلوبة قلباً مكانياً؟

ها نحن وجدناها!

لقد أخذت اللاتينية كلمة (لغة) فجعلتها lingua وسرت في بقية اللهجات المتفرعة عنها، ويبدو أن المجموعة الجرمانية سطت على العربية (نطق) وقلبتها (طنق) وتحولت القاف إلى (g) فكانت فيها tongue وبقية صورها الأُخرى.

قال صاحب (لسان العرب): نطق: تكلم. والنطق: الكلام. والمنطيق: البليغ. أنشد ثعلب:

والنوم ينتزع العصا من ربها

ويلوك، ثِنْي لسانه، المنطيق

وقد أنطقه واستنطقه أي كلمه وناطقه.

كلام منطقي. أليس كذلك؟

ولـم يكـتـف الـفـرنـجـة بـهـذا. . أعـنـي أخـذهـم كـلـمـتـي «لـغـة» و«نُطق». . بل اعتدوا على كلمة «**قول**» أيضاً. ولها حديث.

11

يسأل المتكلم باللغة الإنكليزية شخصاً مثلاً: What are you called?. أي: ما اسمك؟ حرفياً: ماذا تُدعى؟ (في لهجتنا: شنو **يقولولك**)؟. أو يتعجب من أمر فيهتف: What do you call that? أي: ماذا تمسي ذاك؟ (في لهجتنا: هذا شنو تسميه؟ أو: هذا شنو **يقولوله**)؟

والذي يهمنا كلمة call ـ وتنطق «كُوْل» وكانت قديماً تنطق «كَالْ» كما تكتب. ولكن ماذا تقول لبني سكسون الذين «يحرفون الكلم عن مواضعه»؟!

call الإنكليزية، ولها في اللغات الجرمانية نظائر تتنوع لكن الأصل واحد، تعني: صاح، نادى، دعا، سمى. . إلخ. وهي ذاتها العربية «قول». قال، يقول، قولاً، فهو قائل.

أما في اللاتينية فهي gallu(s) ـ ولها نفس المعنى في الأصل (قالَ) والمعنى الأبعد: صاح. ومن هنا جاءت الإيطالية gallo (ديك ـ ومؤنثه gallina = دجاجة) لصياحه المشهور فهو حرفياً: «القائل» أو «القوّال». وأطلقت تسمية "gal" ـ وتنطق حديثاً gaule ـ على القسم الجنوبي من فرنسا لأن شعار أهلها ـ أو طوطمهم ـ كان

الديك، وهو لا يزال شعار فرنسا حتى يومنا هذا. ونجد هذه التسمية في اسم البلد المعروف (البرتغال = portogal ـ مكونة من مقطعين porto = باب، بوابة، ميناء + gal = الديك. باب الديك. هذه هي الترجمة الحرفية لاسم «البرتغال»). لكن الديك (الصيّاح، القوّال) ما لبث أن صار شعاراً للحكم في تلك البلاد وتجسد في الحاكم/ الملك ذاته، فصارت كلمة gallu(s) تعني: الملك. وهذا هو ذاته «القَيْل» أو القَوْل» بمعنى الحاكم/ الملك في بلاد اليمن القديمة، وفي حِمْيَر بالذات. وتجمع في العربية على: أقوال وأقيال ـ حيث صار معناها: البطل، الشجاع، المحارب الشديد.

أتدري ما حدث بعدئذ؟

أقول لك: صارت gallus اسماً يطلق على الأشخاص، ولنلاحظ أن السين في آخرها مزيدة للعَلَمية فهي gallu. والطريف أنها انتقلت إلى العربية في صورة «غالي» تتخذ اسم علم عند نصارى العرب، وما أظن القارئين إلا عرفوه. وفي الإيطالية نجدها في اسم أحد أعلام عصر النهضة الأوروبية (گاليليو) الذي قال إن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس فكاد أن يدفع حياته ثمناً لما قال. ونجدها في فرنسا في اسم شهير آخر هو (شارل دي گول) أي شارل الغالّي (حرفياً: شارل ذو قول).

وتختلط الأسماء والتسميات، وتتنوع، ولكنها إلى أصل واحد تعود. ففي فرنسا مثلاً ثمة لفافة تبغ شعبية ـ كما هو التعبير السائد ـ

تدعى galoise، لعل بعض القارئين سمع بها، وهي صيغة نسبة إلى gal ـ عربيتها «قال». أما في بلاد اليونان فثمة تعبير يسمع كثيراً: para calô. ويترجم إلى: من فضلك، لو سمحت، عن إذنك. لكنه حرفياً: بالإذن.. بالدعاء.. أي: بالقول. وقد ظن بعض القوم أن para calô من العربية «بارك الله» وهذا غير دقيق.. فإن para تعني: بـ.. بواسطة.. عن طريق. وcalô تعني: إذن.. دعاء.. **قول**.

فما قولك في الإنكليزية cry والفرنسية cri وأخواتها من اللغات؟

12

من الكلمات المستعملة بمعنى «صاح» في الإنكليزية cry وفي الفرنسية cri-er وشبيه بهما ما في الإيطالية gri-dare والإسبانية gri-tar وغيرها. وتقابل ما في العربية «قرأ» التي تعني أساساً: صاح، رفع صوته. و(قرر)؛ فالجذر الثنائي (قر) أصلاً محاكاة للصوت، كما في: قرقرة الدجاجة، وقرُّ الضفدع، مثلاً، أو حتى قرقرة الطائر ـ كما قال الشاعر:

كأن رجع مائهن المنحدر

صوت شِرِقْراقٍ إذا قال: قِرِرْ

وفي الإنكليزية أيضاً كلمة shout وتأتي فعلاً واسماً: صاح،

صيحة. نقابلها بالعربية: صوت. صوَّت = shout. وفيها shriek.
وهي في العربية: صرخ، صريخ. كما أن فيها yell وwail. نكافئها
بالعربية: ولول (رباعي «ول») ومنها: الويل. وهناك في الإنكليزية
woe ـ العربية «وَي». وتسمع فيها تعبيراً من مثل oh! ـ عربيته: آه.

فإذا جئنا إلى أصوات الحيوان وجدنا quack وهو صوت البطة
أو الإوزة. فقارن العربية: قاق. أما صوت الهرة فهو miaw. وفي
العربية: ماءَ السنور، مواءً، فهو يموء، واسمه: الموّاء. والمصدر:
مُواء. وصوت الخروف في الإنكليزية ba. وفي العربية: بعبع
(رباعي «بع») وقد سقطت العين في الإنكليزية.. كما هو متوقع. أما
صهيل الجواد فهو neigh وفي الإنكليزية العتيقة hnaga(n). وهي
مقلوب العربية (نهق). أما أن يسمى الصهيل نهيقاً فمسألة يسأل عنها
بنو سكسون!. ويسمى الغراب في الإنكليزية crow واسمه مشتق من
صوته، عربيته «قرأ» من الجذر الثنائي «قر».

هذه التسميات المتشابهة في العربية والإنكليزية ـ ولها نظائر في
اللغات الأُخرى لا نثقل بها على القارىء ـ ترجع كلها إلى ما يسمى
في علم اللغة: المحاكاة ـ أي تقليد ما يصدره الحيوان من صوت
يتحول إلى لفظة أو كلمة في صورة فعل واسم، تصرف كما تصرف
بقية الألفاظ. وهذا ما نلاحظه في لغتنا من مثل قولنا: حفيف
الشجر، هبوب الريح، خرير المياه، فحيح الأفعى، زقزقة العصافير
وشقشقتها وسقسقتها كذلك، وهزيم الرعد ودمدمته أيضاً. فأصوات
الطبيعة تقلد وتخلق منها ألفاظ وكلمات. وبمناسبة الحديث عن

الرعد نذكر أنه يدعى في الإنكليزية thunder. وأصل التسمية من الجرمانية thonoraz واللاتينية tonare ـ وجذرهما ton, thon (TN) ـ يقابل في العربية الجذر «دن» بالدال و«طن» بالطاء، من جهة«و«دم» بالدال والميم، من جهة أُخرى. وهو نفس الجذر الذي رُبِّع فكان «دمدم» ومنه (دمدمة الرعد).

غير أن محاكاة الأصوات لا تقف عند هذا الحد. فقد تسمع في الإنكليزية كلمة splash ومعناها: رشُّ المياه أو (طرطشتها). فكلمة splash تقابل بالضبط ما في لهجتنا الليبية «شَلْبطْ». وفي الإنكليزية كلمة slumock لفظة عامية تعني: ازدرد الطعام بجشع، أو ابتلع الطعام عَجِلاً. تقابل ما في لهجتنا «زَلْمطْ». وليس في معاجم العربية «شلبط» ولا «زلمط»، فهما وغيرهما من الألفاظ الدارجة الموضوعة، وإن كان في العربية ما على وزنهما من مثل: **زلنبع** والزلنباع: الرجل المندريء الكلام. وزلهم، والمُزْلَهِمُّ: السريع ـ ولعله السريع الأكل. وأنشد هاجياً:

من المزلهمِّينَ الذي كأنهم
إذا احتضر القومُ الخوانَ، على وِتر

فهو: «**يزلمط**» الطعام على عجل. التي هي في الإنكليزية: slumock.

13

تثير الكلمات الدارجة في اللغة المحكية مجموعة من التداعيات

تستثير الذهن بشكل مدهش أحياناً. وهي تتواصل مع الفصحى من جانب وتتصل بلغات أُخرى من جانب آخر.

خذ مثلاً كلمة «أسبوع» ويقال «سُبوع» أيضاً، وكانت تطلق على اليوم الذي تتم به سبعة أيام، ثم صارت تطلق على الأيام التي يدور عليها الزمان في كل سبعة منها جمعة، والجمع: أسابيع.

المصريون يسمون الأسبوع في لهجتنهم: جمعة. وفي جيلي لم نكن نستعمل كلمة «أسبوع»؛ إذ أنها حديثة أزعم أن استعمالها بدأ في الخمسينات من هذا القرن بمزاحمة المفردات الفصيحة للمفردات الدارجة نتيجة انتشار التعليم.. ففي بلدتي التي نشأت فيها كان القوم يسمون الأسبوع: «ميجال» ويجمع على: «امّاجيل»، وأحسب أنها تعود إلى العربية: **«أجل»**. أما في طرابلس وما حولها فثمة كلمة أُخرى هي: **«حَفْضَه»**.

كلمة «حفضة» هذه أصلها فارسي، لعلها جاءت عن طريق التركية: «هَفْت» بمعنى «سبعة»، و«هَفْتِه» = أسبوع. وقد أبدلت الهاء حاءً والتاء ضاداً في اللهجة الطرابلسية فصارت **«حفضة»** ـ تماماً كما أبدلت الخاء غيناً والتاء ضاداً في «خفته» (أي: سِنة من النوم، غفوة) فكانت في هذه اللهجة: «غفضة».

غير أن كلمة «هَفْتِه» الفارسية ذاتها مقلوبة فاؤها عن الباء المهموسة (p) والفتحة على الهاء فيها أصلها الصوت (E). فهي أساساً hepta (= سبعة). ومن العادة تعاقب الهاء والسين في

الكلمات المشتركة بين الفارسية من جهة واليونانية واللاتينية من جهة أُخرى. لذا فإننا نجدها في اللاتينية septa (أي سبعة) ومنها في تلك اللغة septimanus, septimanu (سباعي/ أسبوع). وعنها في الإيطالية settemana (أسبوع). وقد أسقطت الباء المهموسة من septa وصارت sette (سبعة) كما فعلت الفرنسية التي تكتب فيها هذه الباء ولا تنطق (se(P)te). وزادت الأخيرة إسقاطاً للحروف فكانت فيها كلمة semaine (أسبوع) وكذلك في الإسبانية semana. أما الإنكليزية فقد أبدلت الباء المهموسة فاء (V)مع الاحتفاظ بالنون المزيدة فجعلتها seven (سبعة) لكن الأسبوع فيها ليس مشتقاً من هذه المادة، فهو week ترجع إلى الجرمانية العتيقة ولا أدري لها أصلاً.

في ظني أن القارىء الكريم أدرك الآن مصدر اللاتينية septaوما تفرع عنها من كلمات في اللغات الأوروبية المعاصرة. إنها العربية «سبت». وهو اليوم الذي تتم به سبعة أيام، وبدلاً من القول إن الأسبوع هو الأيام التي يدور عليها الزمان «في كل سبعة منها جمعة» نقول: «في كل سبعة منها سبت».

وقد يرى البعض أن (سبت) مشتقة من «السُّبات» أي: الراحة والسكون.. عطلة نهاية الأسبوع. لكنني أذهب إلى أنها كانت أصلاً «سبعت» ـ بتاء التأنيث التي كانت تنطق في اللغات العروبية القديمة سقطت عينها فكانت «سبت» ـ ويدعى في الإسبانية sâbado وفي الإيطالية sabato.

فانظر ـ بالله عليك ـ ماذا حدث:

العربية سبعة (سبعت) أسقطت عينها فكانت «سبت». نقلتها اللاتينية septa. وأبدلت السين هاءً في الفارسية «هِبْتا» التي أصبحت «هَفْتِه» وعنها نقلت التركية، التي أدخلتها اللهجة الطرابلسية فوجدناها: «**حفضة**».. أي: أسبوع. عجب!

14

لا زلنا نتدارس بعض المفردات الدارجة التي تبدو لنا غريبة في لهجتنا. فلنلتفت إلى كلمة مثل «**مزّال**» التي تعني «الحظ».. فيقال: «فلان طايح المزّال» أو «طاح مزّاله» أي سيء الحظ، ساء حظه. وتستعمل في الدعوات: «طاح مزّالك!» مثلما يقال: «طاح سعدك» ـ وهي من (لغة النسوة) كما تسمّى عند المهتمين بهذا الضرب من البحث اللغوي.

فما معنى أن تكون «مزّال» تعني: الحظ والسعد؟

حسن. أنت تعلم الاعتقاد القديم في صلة النجوم بحظوظ البشر في هذه الحياة الدنيا. وفي العربية يقال: فلان حسن الطالع، أو سيء الطالع.. أي أن ساعة مولده صادفت طلوع نجمٍ ما يحسن به الحظ أو يسوء. ولكل نجم موقع في الفلك، كما أن له موقعه في ما يعرف بعلم التنجيم.. أعني استطلاع النجوم لمعرفة الحظوظ. هذا الموقع يسمى «**منزل**» أي حيث يستقر النجم في مكانه من القبة

السماوية. فإذا عبر عن سوء الحظ قيل: «سقط المنزل» ـ أي لم يرتفع النجم ليعلو في السماء ويشع باهراً لماعاً. كلمة «سقط» في اللهجة الليبية: طاح ـ وهي عربية سليمة. أما «منزل» فقد أدغمت نونها في الزاي التي تليها وشُدِّدت ومُدَّت فكانت «مزَّال» وصارت ـ بالتطور ـ تعني: الحظ والقسمة والنصيب.

وعلى ذكر النجوم يأتي ذكر القمر، وله في حياتنا أبلغ الأثر، وكان الاعتقاد قديماً ـ ولا يزال ـ أن للقمر تأثيراً على النفس والأعصاب، ويحكي الجاحظ في كتاب (الحيوان) قصصاً طريفة عن المصروعين الذين يتأثرون بظهور القمر هلالاً وحين ينتصف ليمسي بدراً. وفي الإنكليزية ثمة تعبير هو —lunatic صفة بمعنى: خيالي، مختل العقل قليلاً، نسبة إلى luna (القمر). وهو تعبير يقابل بالضبط كلمة «مُوَرّق» في الدارجة الليبية ـ لا هو بالعاقل تماماً ولا بالمجنون المطبق الجنون. إنه «مورّق» فقط.

ولا صلة لهذه الصفة، والفعل منها «ورّق»، بالورق. إن لها صلة.. بالقمر. وأرى أن القاف المعقودة فيها مبدلة من الخاء في تسمية القمر القديمة «أرخ» (في السبئية: «أرخ» والأكادية: «أَرَاخو»). ومن ذلك جاءت «التأريخ» أي الحساب بالقمر، بالشهور، وتسهل الهمزة فيقال «ورخ» ومنها: التوريخ، والتاريخ.

«ورخ» ـ بالخاء في العربية صارت في لهجتنا «ورق» ـ بالقاف المعقودة، واستعملناها: ورّق = أصابه مسٌّ من الجنون، فلان مورّق. بعيد عن القارئين.

في الفصحي هناك الجذر «**أرق**». والأرق: السهر. وقد أرِقت، بالكسر، أي سهرت. وهو: ذهاب النوم بالليل. والليل مرتبط بالقمر.. أعني بالأرخ، اسمه القديم. والصفة أرِق وآرق. قال ذو الرمة:

فبتُّ بليل الآرق المتملِّلِ

ألم تسمع قول الشاعر:

أرقٌ على أرقٍ ومثلي يأرق
وجوىً يفيض ودمعةٌ تترقرق؟

هذا عاشق يضنيه الهوى ويبكيه الغرام ويسهره الحب، يؤرّقه.. يجعله يناجي «الأرخ».. أعني القمر.. لا يغمض له جفن، فهو أرِق آرق. فإذا استمر به الحال فلا بد أن ينتهي الأمر إلى أن يكون «المورُّق» فعلاً.. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

15

لست أدري ما الذي سيفعله ذاك العاشق الولهان السهران إذا خُسف القمر.. أعني اختفى وغاب (يقال لغياب القمر خسوف، بالخاء، ولغياب الشمس كسوف، بالكاف). هل تراه يلجأ إلى مناجاة أحد الأقمار الصناعية يبثه شكواه؟!

قلت: خسف القمر. وكنا نقول: «**القمر انخنبت**»، «**القمر مخنوبة**» أي: سُرِقت، فهي مسروقة. من «خنبها» (أعني: سرقها)؟

علم ذلك عند ربي. . و«السارق يغلب العساس». هكذا هو الحال في القديم والحديث من الزمان. . والله غالب!

والذي «سرق القمر» شريك في عصابة كونية يهبط بعض أعضائها إلى سرقة التبن. . فتأمل! إذ نجد في القبة السماوية ما نسميه في لهجتنا «طريق خانب التبن» ـ الذي يدعى «طريق التبانة» أو «درب التبانة» عند عرب مصر. يخنب التبن لينثره في السماوات. . لتكون «المجرة». . ويا له من خانب غريب الأطوار!

السارق ـ في الدارجة الليبية ـ هو «الخنّاب». وهناك أغانٍ تتردد عن «الخنابة». . تلك المتخصصة في سرقة الأفئدة ولا تردها لأصحابها المساكين. ونحن نقول: فلان خانب، أي: سارق. كما نقول: خنّاب، أي: سراق ـ والكلمة في صورتها هذه في اللغة العبرانية، ربما كانت أثراً من آثار اليهود في بلادنا الذين اشتهروا بـ «الخنبة» دائماً.

في ظني أن الجذر «**خنب**» (بالنون) يكافىء العربية (**خلب**) باللام، ومنه: المخلب، وهو الخالب والخلاّب. يستعمل اللص مخلبه (كفه) للسرقة. كما يكافىء الجذر «**كلب**» (بالكاف بدلاً من الخاء) ومنه: الكلاّب، ويجمع على: كلاليب، الذي يُكلب به، أي يُمسك ويُقبض به.

أتدري ما الذي حدث للجذرين العربيين (خلب) و(كلب) بعد أن صارا في العبرية (خنب)؟

لقد تحولا في اللغة اليونانية إلى (kleph) ومنه في تلك اللغة klephtés أي: سارق. كما أن منه في الإنكليزية klephtomonia بمعنى «مرض السرقة» وهو مرض نفسي يدفع صاحبه إلى السرقة دون حاجة تعوزه.. مرض يصيب الكثيرين، والعياذ بالله. والغريب أن كلمة klepht في بلاد اليونان عنت الواحد منهم يلجأ إلى الجبال محتمياً بها محافظاً على حريته بعد غزو الأتراك تلك البلاد في القرن الخامس عشر بالتأريخ الأفرنجي = قاطع طريق، أو كما في لهجتنا «فلاّقة» (بالمناسبة.. «فلاقة» في الإنكليزية وبقية اللغات الأوروبية هي philangist ترجمت إلى «كتائب» لكن كلمة «فلاقة» أصوب في الترجمة وأدق).

في جيلي ـ وهو ليس جيلاً بعيداً جداً كما قد تظن ـ كانت كلمة «كَلِفْتي» مستعملة كثيراً بمعنى: لص، سارق. وهي لفظة من مخلفات جنود الاحتلال البريطاني.. لا جدال.

أو تدري ما هي الكلمة المستعملة في اليوناية بمعنى: سارق؟

أقول لك.. إنها lestos. وهي ذاتها العربية «لِصّ» زيدت حرفي التاء والسين على الأصل les وعربيته: لِص.

وهذا يبين أن اللغات يسرق بعضها من بعض، أو لنقل «يخنب» بعضها من بعض.. فهذا خانب وذاك مخنوب.. فهي لغات خنابة.. لكن الخِنْبة من لغتنا عمَّت وطمت.. والأمر لله من قبل ومن بعد!

16

في عالم اللصوص واللصوصية ثمة مثل شعبي يضرب: «قال له: تعرف تسرق؟ قال: إي نعم. قال له: تعرف تدس (أي تخبىء ما سرقت)؟ قال: لا. قال له: ما تعرفش تسرق!» وعلى هذا فإن على اللص البارع في السرقة والاختلاس أن يعرف كيف يخفي ما اختلس ويخبىء أثر ما سرق. يجب أن يكون ماهراً في السرقة حاذقاً في الإخفاء.. أعني «شاطراً» بكل معاني الكلمة.

الماهر، الحاذق، «الشاطر»، أو حتى «الفالح»، في لهجتنا نسميه **«الزقطي»**، وهي تسمية تجمع دلالات الذكاء الحاد في مكر ودهاء، مع توقد في الذهن شديد، إلى جانب القدرة على النفاذ في الأمور وتنفيذها. والاسم: **«الزقاطة»**. وهي كلمة قد تبدو غريبة، لا أعرف لها نظيراً في أية لهجة عربية أُخرى. بيد أنها لم تكن غريبة في لغة عروبية بالغة القدم هي الأكادية؛ ففي تلك اللغة توجد في صورة **«زَقاتُ»** ومعناها بالضبط: حاد الذهن، ثاقبه، متوقد الذكاء.

وقد تظهر الأكادية القديمة **«زقاتُ»** التي احتفظنا بها في لهجتنا الليبية في شكل «زقطي» و«زقاطة» بعيدة عن العربية التي نعرف. لكن هذا غير دقيق. فإن معنى الحدَّة والثقب موجود في العربية **«شوكة»**، واحدة «الشوك»، ومن ذلك: شوكة العقرب = إبرته، وشوكه السلاح: حِدَّته. ويعبر بالشوكة عن الحدة، كما في الأكادية «زَقاتُ» والدارجة الليبية «زقاطة».

هذا عن «الزقطي» الذي هو «الشاطر». والشاطر: العيَّار، وهو كثيراً ما يكون متشرداً. . أفَّاقاً. وهو ما نعبر عنه في دارجتنا بكلمة إيطالية: vogabondo. وفي الإنكليزية vagabond. مكونة من مقطعين: أولهما vaga ـ في اللاتينية تعني: جوَّال، جوَّاب. ويقول معجم اللاتينية التأثيلي إنه لا يُعرف لها أصل. فليعلم أن أصلها من العربية «أفق» ومنها: أفَّاق ـ وهو الذي يجول في آفاق الأرض، أي نواحيها، متشرداً لا مقر له. وثانيهما bund(us) التي لم أعثر لها على معنى رغم البحث والتنقيب، ولعلها زائدة بمعنى «رباط» أو نحوها (عربيتها «بنط»)، فلندع أمرها إلى حين. وعذرنا أن الإنكليزية ذاتها أسقطت هذا المقطع واكتفت بالمقطع الأول vaga (العربية: أفق > أفَّاق) في كلمات من مثل vagran (متشرد، عيّار) وهو عادةً جوَّالٌ، ضل طريقه، تائه، غامض الصورة والسلوك. ومن هنا كانت كلمة vague في الإنكليزية بمعنى: غامض، مبهم، غير واضح، ومشتقاتها. وأيضاً vagary (توهُّم، خيال، شرود الفكر ـ ولاحظ الصلة اللفظية بين «الشرود» و«التشرد» من فضلك). وكل هذا من «أفق» العربية التي منها «أفّاق» = vaga.

والأفّاق، في كثير من الأحيان، تعني الرجل الساحر الحديث، القادر على استلاب عقل مخاطبه بطلاوة لسانه، فيفتنه. . أو كما نعبر في لهجتنا «يبروله». «يْبَرْوِل»، والاسم «التبرويل»، تعني الكلام الخداع، وفي ظني أنها من الفرنسية parole (كلمة) parle (يتكلم)

وفي الإيطالية parola (كلمة). وجميعها تعود إلى اللاتينية المتأخرة paraula = الدارجة «بَرْوِلْ». ومن ذلك كلمة شهيرة في النظم الغربية هي «برلمان» parlement (حرفياً: محل الكلام) من الفعل parler في الفرنسية، حيث يتكلم أعضاؤه المحترمون ولا يفعلون شيئاً ذا بال. إنهم فقط «يُبَرْوِلون»!

17

من عجائب المخلوقات التي تدخل ضمن ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: 8]. تلك المركبات الآلية أو هي العربات، أو كما نسميها: السيارات، التي تطوف الشوارع والطرقات وترسل دخانها الكثيف من ماسورة مثبتة خلفها فتزكم الأنوف وتغشى الأبصار. وقد عربت هذه الماسورة المذكورة إلى «عادم» (ترجمة للإنكليزية exhauster). ولكن أحدنا لو مضى لإصلاح خللها ـ وكثيراً ما يصيبها الخلل ـ وقال إن «عادم» سيارته في حاجة إلى إصلاح لما فهمه أحد. لا بد أن يقول: «صَلِّح لنا المرميطة.. بالله يا أخ!».

هذه هي الكلمة المستعملة المتداولة: مَرْمِيطة ـ تنطق بالطاء في لهجتنا. وهي من الإيطالية marmitta التي يترجمها الأستاذ التليسي في (معجمه) إلى: مِرجل، قِدْر. هذا أحد معانيها، ومن البين أنه تطور ليطلق على الماسورة التي ينبعث منها الدخان نتيجة احتراق وقود السيارة. وهي في الإنكليزية والفرنسية marmite، ومنها marmiton (صبي الطباخ، أو مساعده) ـ وقد تطور استعمال الكلمة

حتى ذهب بها كل مذهب. كما أن معاجم الفرنجة تختلف في أصلها ونشأتها، وهي دخلت الفرنسية أوائل القرن الرابع عشر بالتأريخ الأفرنجي فقط. فما هي الصلة بين القدرِ والطبخ وماسورة السيارة التي نسميها «العادم»؟.

إنها صلة (الرماد) ـ ما يخلفه الاحتراق ـ في المطبخ والسيارة معاً. وعليه فإن: «المرميطة» marmitta هي ذاتها الـ «مرمدة»، أي محل الرماد، كما نقول: مغسلة = محل الغسل، والمكتبة = محل الكتب، والمدرسة = محل الدرس.. إلخ.

وقد عرفنا «المرميطة» بأنها «ماسورة» خلف السيارة. ونحن نسمي الماسورة في لهجتنا «طوبُّو» (بالطاء ـ في لهجة غرب البلاد، وتنطق بالتاء «توبُّو» ـ في شرقها). وهي في الإنكليزية tube وكذلك في الفرنسية tube بنطق مختلف وفي الإيطالية tubo. وهي جميعها ترجع إلى اللاتينية tibia التي تعني: مزمار، ساق النبات، قناة، مجوف، أنبوب. ويذكر معجم تلك اللغة أنه لا تأثيل لها فيه. لكن الباحث المعروف أوائل هذا القرن (أوريك بيتس) يقول في مؤلفه المعروف (الليبيون الشرقيون، ص203) نقلاً عن أحد مؤلفي الرومان هو (Darius Samius) إن الـ tibia من أصل ليبي قديم، أي أنها عروبية.. وليست لاتينية.. وهي في لهجتنا الحديثة «التوبُّو» أو «الطوبُّو».

الماسورة تدعى في الإنكليزية أيضاً pipe وتطلق على القناة

والمزمار، كما تطلق على أداة التدخين التي نسميها (الغليون) تطول وتقصر، وتكبر وتصغر، مرسلة دخانها كما تفعل «المرميطة».

وإذا كنا نرجع كلمة (الغليون) إلى العربية: غلا، يغلي ـ أو قلا، يقلي ـ وكلها متصلة بالنار والدخان، فإن كلمة pipe (وفي الفرنسية «بيب» pipe والإيطالية pippa) من العربية (بوب). ومنها: الباب = الممر، كما هو حال القناة. أما في مادة (بيب) فقد جاء: البِيبُ: المجرى (للماء) والكُوَّة، والصنبور. ويقال «بيبة» أيضاً. أو ليست هذه هي ذاتها pippa وpipe!

نضيف أن الجذر الثنائي (بب) أسبق بنون (نبب) وفيه ورد: الأنبوب والأنبوبة = القصبة والقناة، والجمع: أنابيب.

هل تراني نسيت الـ gomma؟ إننا نطلقها على عجلة السيارة كما نطلقها على ممسحة قلم الرصاص (المحّاية). من الإيطالية، وهي في الإنكليزية gum وتطلق على اللثة أيضاً، وعلى العلك. والمعنى الأصلي: مطاط ـ ذلك السائل المرن الذي يستقطر من بعض الأشجار واشتهرت به بعض بلاد جنوب شرق آسيا. وتتفق معاجم الفرنجة على أن هذه الكلمة من اللاتينية gummi عن اليونانية kommi الآخذة عن المصرية القديمة qm/ gm.

في العربية نجدها بالكاف، مزيدة نوناً: كمان. وقد ورد في مادة «نبط» في (اللسان) أن «الكمان» المذاب هو «علك الأنباط» يجعل لَزوقاً للجروح. إنه يماثل بالضبط تلك الأشرطة المطاطة التي نضمد بها الجروح في أيامنا هذه.

فهل يقل أحد ـ بَعْدُ ـ إن الـ gomma غير عربية؟!

وللسيارة مِقْود. أليس كذلك؟

أهذا سؤال؟ طبعاً لها مِقود، وهو يدعى في بعض البلاد العربية «ديركسيون» من الفرنسية direction (إدارة، توجيه) ويعرفه عامة الناس في بلادنا باسم «الدومان». . إما من الإيطالية duemani أو من الفرنسية deux mains حرفياً: «يدان». أليست «مقود»» ألطف وأرق وأدل؟. فإذا تحدثت عن مبدِّل السرعة في السيارة قلت «مارشا» في العادة. إيطالية marcia (سرعة). لكن إخوتنا في مصر يقولون «فطيس» وهي لسيت من «الفطس» و«الانفطاس» بل من الفرنسية fitesse. والأفضل عندي أن يدعى «المبدال» على صيغة «المفتاح» اسم آلة أو أداة.

وقد تسمع أخاً من الخليج يتحدث عما وقع له ذات مرة فيقول: «والله يا خوي أن كنت سايق الوانيت جنب الكنداسة قامت بنشرت!». فلا حول ولا قوة إلا بالله!

وتفسيره: «الوانيت» أصلها «وَنْ إيت» one eight = 81أي رقم 81 بالإنكليزية علامة سيارة كما نقول نحن «أوتانتا دوي» (من الإيطالية ottanta due = 82 أو ottanta uno = 81). و«بنشرت» تعريب الإنكليزية puncture (انثقاب عجلة السيارة) وتفعيلها. و«الكنداسة» تعريب الإنكليزية condenser (المكثف).

وللسيارة محرك، يعرب إلى «الموتور» وعند بعض أهلنا

«الماطور» وجمعه: «امّاطِير». وكلمة motor في الإنكليزية والفرنسية(motore في الإيطالية) ذات صلة بكلمات مثل motion (حركة)، motive (دافع، محرك) وmotorise (يحرك وعشرات الإشتقاقات والتسميات الأُخرى. وهي ترجع إلى اللاتينية moto (تحرك، حرّك، نقل، انتقل). ألا نجدها ذات صلة بالعربية «مَتّ» (مادة: متت) والمَتُّ كالمدُّ. ونحن نقول في لهجتنا: جاء فلان يْمِتٌ = أي يسعى سعياً حثيثاً ـ فكأنه سيارة في سرعتها القصوى!

وورد في مادة (متا): متوت في الأرض كمطوت. ويقال: أمْتى الرجل إذا مشى ـ وخصت المشية القبيحة، مثل مشي بعض السيارات لدينا!. وعلى كل حال فإن فكرة «الحركة» موجودة في العربية «متّ» و«أمتى»، وفي «مدًّ» و«مطًّ» و«أمطى» كما هي في اللاتينية moto ومنها «الموتور» وبقية ملحقاتها القريبة والبعيدة.

أتدري؟

لقد انتقلت فكرة «الحركة» من دلالالتها المادية إلى دلالة معنوية خالصة. فكان أن وجدنا في الإنكليزية كلمة مثل emotion وتعني: تأثر، انفعال، إحساس، عاطفة، تهيج، والصفة emotional (عاطفي، انفعالي.. إلخ).

إنها العاطفة التي تجيش في النفس، تحرك الفؤاد، فتزداد دقاته سرعة نبض وخفقاناً، فتسمع له وجيباً كأنه «موتور» (معذرة: محرك) سيارة.. من السيارات إياها!

18

رينهارت دوزي R. Dozy واحد من أشهر مستشرقي القرن التاسع عشر (ف) وكانت له دراسات قيمة في التاريخ العربي خاصة في المغرب والأندلس. وكان من جملة ما اهتم به موضوع أسماء الثياب في العربية وأصولها، لاسيما ما لم يرد منها في المعاجم. وقد ألف المستشرق رينهارت دوزي كتاباً في هذاالموضوع أسماه: Dictionnaire Detaillé des Noms des Vetéments chez les Arabes. (معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب) يعتبر الأوحد في بابه، اعتمد فيه على دراسته للمخطوطات وكتب الرحلات والتراث القديم، وعلى مقارنة هذه الأسماء وما في اللغات الأُخرى. لكنه ـ رغم جهده المبذول ـ لم يأت بكل شيء في هذا المعجم. وأنىّ له أن يفعل وأسماء الألبسة، بتنوعها على طول الوطن العربي وعرضه، تستغرق مجلدات ضخمة وتتبعاً أكبر وأوفى.

سنضرب هنا بعض الأمثلة مما يجري على الألسنة عندنا، مجرد أمثلة عابرة. فكلنا يستعمل كلمة «بنطلون»، مثلاً، ونجمعها على «بنطلونات». وهي عُرِّبت في صورة «بنطال» وجمعت على «بناطيل». (في الإنكليزية pantaloon والفرنسية pantalon وهي من الإيطالية pantalone). كلمة كانت تطلق على سراويل فضفاضة يرتديها المهرجون والبهلوانات في العروض الهزلية في إيطاليا. وترجع التسمية إلى اسم أحد قديسي مدينة البندقية كان يدعى (بانتاليوني) pantaleone. هكذا قيل.

ومع «البنطلون» هناك «السورية» في لهجتنا، أي القميص. ولا صلة لها بالقطر العربي السوري، فإن في لهجة الشاوية بجبال الأطلس «أسوريث». وفي اللغة المصرية القديمة جداً «شرت».. والتاء فيها للتأنيث، وأصلها «شر» سقطت العين فيها من العربية «شعر» التي منها «شعار» وهو الثوب يلبس على الجلد مباشرة تحت الدرع أو القباء ونحوهما.. «شعارت»، صارت «شرث» ثم «أسرت» ثم «سوريّة». والطريف أننا نجدها في الإنكليزية shirt.

وعلى «السورية» (القميص) تلبس عادة «الجاكيت» أو «الجاكيتة». وعربيتها: شكّة. عربية فصيحة.

فإذا كانت البزة (أي «البدلة») كاملة مكتملة لبست (القرواطة) ـ كما نسميها نحن. وهي من الإيطالية cravatta (الفرنسية: cravatte، الإنكليزية: cravat وتسمى أيضاً neck-tie = ربطة العنق). ونحن نسمع هذه الأيام عما يجري في ما يسمي يوغوسلاڤيا سابقاً. ويتردد اسم الصرب والبوسنة والهرسك و.. كرواتيا. وإلى هذا الاسم الأخير (كرواتيا) ترجع تسمية (القرواطة).. والعجيب أنها تسمى في لغة أهلها hrvat بالهاء التي أبدلت كافاً فكانت croat. ويقال إن فرسان تلك البلاد كانوا يلفون حول أعناقهم قطعاً من الكتان اتقاء البرد، ما لبثت أن تطورت حتى صارت ما هي عليه. فهي «الكرواتية» وليس «القرواطة» إذن.

والفرنجة يضعون على يآفيخهم قبعات نسميها في لهجتنا «برطيلة» ـ وعند عرب المشرق، ومصر خاصة، تدعى: «برنيطة».

وقد تكون الكلمتان من أصل واحد، أو لعل «برنيطة» مأخوذة عن peret الفرنسية، peretta الإيطالية. أما «برطيلة» فهي من السريانية «**برطل**» (بر + طل) حرفياً: «ابن الظل»، والمقصود: «ذو الظل» = المظلِّل، المظلَّة.

أتدري؟

كلمة «برطل» ذاتها تعني الرشوة، ومنها: «التبرطيل»، «برطله» = الرشوة، رشاه. ذلك لإن الرشوة تعطى في العادة سراً، في الظل، وليس في نور الشمس ووضح النهار.

كان هذا في الزمن الطيب القديم.. أما الآن.. فلا حياء في «التبرطيل»!

19

كما أن في مختلف أنواع الألبسة، للرجال والنساء وللبنات والصبيان، غرائب الأشكال والألوان والأنسجة والمواد المصنوعة منها، من ثياب عمل أو راحة، أو رياضة أو مناسبة من المناسبات، متغيرة بحكم الزمان والمكان، فإن في أسمائها عجائب.

لنأخذ مثلاً كلمة «شخشير» في لهجتنا الدارجة وهي التي نطلقها على لفافة الساق (تدعى في المغرب «دقاشر» وفي التركية «جقشير») ـ من الفارسية «جاهجور» ومعناها الأصلي: نوع من السراويل، أصبحت تعني: لفافة الساق. وهذا «الشخشير» يسمى

في مصر «شراب». . محرفة عن «جورب» التي هي بدورها تعريب للفارسية «ڭورب»، وتعني حرفيا: «قبر الرِّجل» (ڭور = قبر + با = رِجل).

المقطع «با» (رِجل) يدخل في تسمية أُخرى نستعملها كما يستعملها الأوروبيون، فهي لفظة عالمية. . أعني «بيجامة» (مكونة من «با» (ي) = رِجل، ساق + جامه = لباس. حرفياً: لباس الساق).

أما الرداء الوطني الليبي فيسمى: «جَرْد» ويجمع على «جرود». والجرد في العربية ما انجرد، أي تساقط وبره أو شعره، من الثياب، فصارت تعني الرداء الصوفي وإن كان جديداً قشيباً.

هل قلت «إن كان قشيباً»؟.

نعم. وهذه تسمية لنوع من البرانس ندعوه «كشّابية» (وفي بلاد المغرب: قشّابية). من مادة (قشب). ثوب قشيب: جديد. لكن «الكشابية» (= القشبية) تطلق في العادة على ما يشبه البرنس جديداً كان أو قديماً.

أما «الجرد» فقد يسمى أيضاً «حولي» ـ في غرب البلاد. وفي الفارسية «حُوْلِيه» تعني: عباءة. لكن وجود حرف الحاء يبرهن على أن الكلمة عربية الأصل، إذ لا حاء في الفارسية. وأحسب أن تسمية «الحولي» جاءت من أن صوفه منتقى مختار من صغير الخراف التي أكملت الحول ـ أي السنة ـ ويدعى الواحد منها حولياً. أطلقت

«الحولي» على الخروف ذي السنة من عمره، ثم على صوفه، ومن ثُمَّ على الرداء، أو العباءة، أعني «الجرد».

لكن الملاحظ أن تسميتي «الجرد» و«الحولي» تطلقان على الرداء الصوفي الأبيض، أما ما احمر صوفه أو دكن فيدعى في لهجتنا «العَبِيْ» في غرب البلاد و«العبا» في شرقها، وجمعها «عْبِي». عربية فصيحة: عباءة.

وللجرد، أو «الحولي» أو «العَبِيْ/ العَبا» عقدة على الكتف اليسرى نسميها «تكّاميّة». وقد كنت أحسب أنها ذات صلة بالإيطالية tocca mia (عقدتي) أو toga mia (عباءتي). وقد تبين لي خطل هذا الحسبان؛ إذ أجدها ترجع إلى إحدى اللغات العروبية القديمة، أعني الكنعانية، التي نجد فيها: «ث ك م» = كتف، حمل على الكتف (فريحة: ملاحم. . ص611). ولم أعثر عليها في المعاجم العربية بهذا المعنى المحدد، وإن كان في مادة «ثكم» في (لسان العرب) دلالة اللزوم التي تفيد الربط والارتباط، كما هو حال عقدة الجرد. . «الثكمية» (= الكتفية).

أخيراً، وليس آخراً، كما يقال ـ هذه «الثكميّة» تدعى في بعض المناطق «حرَّاتية» (بالحاء المهملة) وأصلها في العربية «خُرْتية» بالخاء المعجمة، وبياء النسبة إلى «خُرتة» أي: عروة. ونحن نستعمل العربية الفصيحة «خُرتة» بمعنى: عقدة، رباط، فإذا تحدثنا عن الثّكمية (التكامية) قلنا: حراتّية. وقد حُلَّت عقدة المسألة بفضل الله!

20

يبدو أننا لن نتخلى عن ثيابنا رغم هذا الصيف القائظ، فإنها ـ ورأسك ـ لتغري بالتتبع والاستقصاء. وإن في أسماء بعضها لطرافة وفي بعضها الآخر لغرابة.

كانت تسمية «الحولي» خاصة برداء الرجل الصوفي، أما «الجرد»: فلرداء الجنسين من الصوف، طبعاً. هذا في مصراته والشق الشرقي في بلادنا (ولا تستعمل كلمة «حولي» في هذه المنطقة بل هي كانت خاصة بطرابلس وما حولها). وقد يقال لرداء المرأة الغليظ «جربيّة». . والنسبة واضحة إلى جزيرة (جربة). حديثاً عمت كلمة «فرّاشية» لرداء المرأة ـ وهي كانت مقصورة على طرابلس منذ مدة قصيرة من الزمان. وهي ما يسمى في تونس «سفساري». . ولا أدري إن كان لها صلة بتسمية ثوب المرأة الهندية «ساري» أم لا صلة بين الثنتين. ولم يوردها (دوزي) في (معجمه) وإن كان خصص للفّراشيّة سبع صفحات كاملة، وتتبعها في شتى المراجع والمصادر. لكنها عنده «فَرَجية» بالجيم وبدون مد للراء أو تشديد كما هي عندنا (فرّاشية) والطريف أن هذه «الفرجية» كانت من لباس الرجال، وتنسج بالذهب وتطرز بل تكتب عليها أبيات الشعر وتوضع فوق الثياب كالطيلسان، وكانت تصنع من حرير مقصب للعلماء والوجهاء وكبار القوم.

من جهته يذكر ابن منظور أن «الفرُّوج قَباء». . وأن «النبي ﷺ صلى وعليه فرُّوج من حرير» (مادة: فرج).

لكنني أذهب إلى أن «الفَرّاشية» في الدارجة الليبية جاءت من مادة (فرش) ـ بالشين المعجمة ـ والفَرْش: صغار الضأن (كما هي صغار الإبل والمعز). وكما حدث للحولي، الذي بلغ الحَوْل من صغار الضأن، وأطلقت الصفة على صوفه ثم على الرداء المعمول منه، جرى لكلمة «فَرْش»، أي صغير الضأن، أطلقت التسمية على صوفه ونسبت، فكانت «فرشية» وتطورت إلى «فراشيّه».. والله أعلم!

وهناك كلمة «فُسْتان» ـ هكذا ننطقها الآن ـ ونجمعها على «فساتين». تركية، حسب معجم الأستاذ (دوزي) المذكور الذي يوردها بكسر الفاء «فِستان». وقد جاء بها أول مرة الرحالة الشهير (ابن بطوطة). قال ـ متحدثاً عن شيخ رآه في مكة المكرمة: «وكنت أراه حين ذلك لابسَ جبةٍ بيضا(ء) قصيرة من ثياب القطن المدعوة بالفشطان كان يلبسها في بعض الأوقات» (معجم دوزي للألبسة.. ص337).

شيخ يلبس فستاناً (أو: فشطاناً).. يا للعجب.. أسمعك تقول. فلا يأخذك الدهش؛ إذ كان «القفطان» من لباس الرجال أيضاً، ثم صار خاصاً بالنساء. أتدري؟ إن المرأة لتأخذ منا ـ معشر الرجال ـ كل شيء.. حتى فساتيننا وقفاطيننا.. فعليه العوض ومنه العوض!

المهم أن (القفطان) قيل إنها فارسية إما من «خَفتان»: (صديرية تلبس تحت الدرع) أو من «خَفتن» بمعنى: النوم، الراحة؛ إذ كان القفطان، وهو ثوب واسع مريح، يلبس للنوم. وهذه الكلمة الأخيرة

«خَفتن»، عربية الأصل: **خفت** = همد، سكن، استراح، نام. ونجدها في لهجة أهل طرابلس (غفضة) بالغين والضاد، أي: غفوة، سِنة من النوم، راحة. عربيتها الفصيحة: خَفتة.

لكنَّ هناك رأياً ثالثاً في أصل تسمية القفطان قفطاناً.

21

نواصل حديثنا عن الثياب. وعن «القفطان» قيل إن أصل تسميته قد يكون من الفارسية (**خَفتان**) وهو يطلق على الصدرية، أو من (**خَفتن**) بمعنى النوم والراحة. فلم لا يكون الأصل من (قفط) وهي بلدة في وادي النيل كانت مشهورة بنسيجها، كما كانت بلدة (تنس) التي ينسب إليها نسيج فاخر يعرف بالتنسي؟ وجاء في مادة «قبط» بالباء في (لسان العرب): «القِبط (بكسر القاف): جيلٌ بمصر... والقُبطية (بضم القاف): ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر وهي منسوبة إلى القِبط على غير قياس، والجمع: قُباطي وقَباطي.. فالإنسان قِبطي بالكسر والثوب قُبطي بالضم».

فما الرأي في «الفرملة»؟

إننا لا نجدها في معاجم العربية، وقد أوردها المستشرق المعروف (دوزي) في (معجمه) عن الألبسة و(ملحقه) للمعاجم العربية، وذكر أنها معروفة في بلاد طرابلس، تقابل (الصدرية)، مزخرفة، مفضضة، مذهبة، ولم يزد. ونجد أقرب لفظة إلى «الفرملة» ما في الإنكليزية falbala وتعني: تطريز حواشي الثوب

وإرسال هدبها وزخرفتها، وقريب منها furbellow (يزخرف، يزركش) وكذلك fallacy (تمويه، غش، زخرف القول) حتى نصل إلى false (وفي الإيطالية falso التي كثيراً ما تدور على الألسنة بمعنى: مزخرف، مموه، مزيف). وكلها يعود إلى اللاتينية fallere وجذرها (FL) الذي اشتقت منه في الإنكليزية fault (خطأ، غير صحيح أي: مكسور) ومنه في الإيطالية falla (كسر، ثلمة، ثغرة، فتحة). وهذا ما يكافىء العربية «فلَّ» = ثلم. الفلّة: الثلمة. وقد يبدو هذا الأمر غريباً؛ إذ أين «الفلة» من «الفرملة»؟.

ولعلنا نذهب إلى القول إن «فرملة» ذات صلة بالإيطالية farfalla (فراشة) تشبيهاً لزخرفة «الفرملة» بألوان الفراشة الزاهية. ألا نلاحظ أن الإيطالية farfalla هي ذاتها العربية «فرفر» ـ شأن الفراشة التي «تفرفر» من مكان إلى مكان أو من زهرة إلى زهرة؟.

وهذا هو حال المفردات في تطور دلالتها واستعمالها وتحوُّر نطقها. ولنضرب مثلاً من أسماء ما نلبس.

لأنواع غطاء الرأس عندنا أسماء تختلف باختلاف الغطاء، وقد يطلق على الواحد من هذه الأغطية اسمان أو أكثر. «المعرقة»، على سبيل المثال، من (عرق) لأنها تمتص العرق، و«الطاقية» من (طوق) ـ وأصلها: الطوقية ـ لأنها تطوّق الرأس وتحيط به. و«الكبّوس» ما يكبس الهامة ويحتويها. و(الطربوش) الذي لم يعد أحد يلبسه إلا النادر جداً من المخضرمين، كلمة فارسية الأصل مكونة من «سر» (=

رأس) «**بوش**» (= غطاء) تحولت السين في «سر» إلى طاء فكانت «طربوش» بدلاً من «سربوش».

22

كثيراً ما يتردد وصف ثغر الحبيب بأنه «بو مضحك **مجيدي**» كناية عن شدة بياض الأسنان وصفاء لمعانها. والصفة «مجيدي» هنا تعود إلى السلطان عبد المجيد، وهو من أواخر سلاطين بني عثمان قبيل أن تلغى الخلافة العثمانية في عهد خلفه السلطان عبد الحميد. وكان عبد المجيد هذا قد صك عملة فضية باسمه نسبت إليه مفردة (مجيدي) ومجموعة (مجيديات) وكانت مضرب المثل في الصفاء حتى باتت يشبَّه بها ثغر الحبيب الغالي.

ويبدو أن الحب والمال مرتبطان، رغم أحلام العاشقين وأوهام المحبِّين؛ فإذا «أتم الله بالخير» واقتربت «الخاتمة السعيدة» لقصة الغرام الملتهب بين المحبَّين بالزواج المبارك، فإن من العادة أن يهادي المحب حبيبته بشيء من حلي الذهب. وقد يفكر في خيط يطول أو يقصر ـ حسب الحال ـ من «**الماجارات**»، كما نسميها (مفردها: **ماجارة**). أتدري أن التسمية جاءت من بلاد «**المجر**» التي تُعرف كذلك باسم «هنغاريا»؟ إي والله! ولا تزال هذه «الماجارة» (المجرية) في صورتها الأولى، عبارة عن عملة ذهبية مصكوكة تحمل صورة إمبراطور المجر، يوم كانت المجر إمبراطورية قوية عظيمة. وقد استبدل الجيل الجديد كلمة «ماجارة» بكلمة «ليرة»

(«خيط ليرات»، بدلاً من «خيط ماجارات») لكن الدلالة ظلت كما هي؛ فإن «الماجارة» ليست سوى «ليرة مجرية» على كل حال. .
تتدلى على صدور النسوة أو في معاصمهن، على حد سواء.

بمناسبة الحديث عن انقراض المفردات واحتلال غيرها محلها، أذكر أن الوالدة ـ رحمها الله ـ وصويحباتها كن يستعملن مصطلحات في عالم النقود تبدو اليوم غريبة على الأسماع، إذ كن يقلن مثلا: «**بينتو**»، «خمسة بينتو»، «ثلاثة بينتو» ونادراً ما يجمعن على «بينتوات». و«البينتو» هذه مأخوذة عن الإيطالية vente بمعنى «عشرين» ـ وهي عملة كانت تساوي عشرين ليرة. وكنت أسمع تعبيرات من مثل: «فلان هذا والله ما يسوى **بارة**» أو: «ما يساويش **سبيليا**» أو «**سوردي**». وكلها عملات نقدية صغيرة القيمة، وقد حرفت «سوردي» (بالراء) عن soldo (باللام).

والأخيرة تعود إلى اللاتينية solidus بمعنى: قوي، ثابت، شديد ـ ومنها الإنكليزية solid والفرنسية solide. عربيتها (صلد) أي صلب، قوي، متين. وغير بعيد من هذا الإنكليزية salary (مرتب، جراية شهرية، ماهية).

(بالمناسبة: كلمة «**ماهية**» بمعنى «المرتب الشهري» فارسية الأصل، نسبة إلى «**ماه**» = القمر، الشهر. وكنا، إلى عهد قريب نسمي المرتب: الشهرية. وهي العربية الصحيحة مقابلة للفارسية «ماهية»).

فلأعد بك إلى الإنكليزية salary (مرتّب/ أجرة معيَّنة). وهي ذات صلة بكلمة salt (ملح) من اللاتينية sal (ملح) من ناحية، وبـ soldier (جندي) من ناحية أُخرى. ذلك لأنه كان من عادة الرومان أن يدفعوا للجنود جزءاً من مرتباتهم (أو: جراياتهم) ملحاً عوضاً عن النقود، مما يبين قيمة هذه المادة الحيوية (الملح) ورخص أرواح الجنود في آن.

في وطننا العربي تتعدد العملات وتختلف أسماؤها حتى ليأخذ المرءَ الدوار، إذ لا يكاد يحصيها ـ بينما تسعى دول أوروبا المتنافرة عرقاً ولغة ومذهباً إلى توحيد عملاتها. ففي بلادنا كان «الجنيه» و«القرش» و«المليم»، ثم اتخذنا **«الدينار»** و**«الدرهم»** بعد الثورة ـ وهما عملتان عربيتان قديمتان ـ ورد ذكرهما في القرآن الكريم، ولم يرد في الكتاب العزيز **«الدانق»** وهو أدنى عملة عرفت في العصر العباسي، وكان أبو جعفر المنصور يدعى «أبا الدوانيق» لأنه كان ضنيناً جدّاً في عطائه للشعراء، فلا يسبغ عليهم الدراهم والدنانير بل يأمر بدانق أو دانقين للشاعر المدّاح حتى يكف عن مديح النفاق ذاك.

وقد جادل الكثيرون في عروبة **«الدينار»** و**«الدرهم»** وقال الزاعمون إن في القرآن الكريم ألفاظاً أعجمية وإن «الدينار» من الفارسية، وبعضهم قال إنه من الرومية ـ يعنون اللاتينية denarus ـ غير أن تتبع هذا اللفظ في نشأته الأولى يوضح أنه انبثق عن الجذر **«دي»** وأن المقطع nar/ narius مزيد. ومن هذا الجذر (دي) في

اللاتينية: dece وفي اليونانية: deka (دي + شي، كا) بمعنى: «عشرة». لكن المعنى الأصلي كان **«يدان»** ـ مثنى **«يد»** ـ وفي كل منهما خمس أصابع تكون العشرة عدّاً. فمعنى «دي» الأول هو بالضبط ما في العربية **«يد»**. والدليل على ذلك أن في المصرية القديمة كلمة **«دي»** بمعنى «خمسة» وهي العربية **«يد»**. وفي الفرنسية doigt (إصبع = يد) وdix (عشرة). وفي كلمات إنكليزية متعلقة بالإصبع (المعبر عنها باليد) نجد المقطع . . **di** في مثل indicate (يشير) وindex (مسرد الألفاظ الذي يتبع بإصبع اليد) على سبيل المثال لا الحصر.

فالجذر الأساسي في كلمة «دينار» إذن عربي (يد) تطور بالزيادات والإضافات والتغييرات والتحويرات، في مختلف الصور ومتباين الصيغ.

أما «درهم» فهو في صيغته اليونانية drakhma وهي وحدة العملة اليونانية حتى اليوم. لكن الجذر الأصلي كان dram بدون خاء في «دراخما» وبدون الهاء في «درهم». وتتعاقب الدال والجيم (أو القاف المعقودة) في اليونانية ـ كما هو الحال في العربية ـ فنجد gram التي تعتبر الآن جزءاً من ألف جزء من «الكيلو» ـ وكلمة «كيلو» تعني في اليونانية: ألف. فقولنا «كيلو ڠرام» = ألف ڠرام). و«الڠرام» ـ أو «الجرام» ـ كان وحدة وزن عند اليونان، كما كانت النقود تُقدَّر وزناً في القديم. وكان «الدرام» أو «الڠرام» أو «الجرام» (فهي سواء من حيث الأثل) وزناً صغيراً، ولا يزال جزءاً من ألف جزء. فاسمع ما

جاء في مادة (جرم) العربية: الجَرام والجريم: النوى.

وكان النوى، في القديم، يتخذ وحدة وزن، تماماً كما كان حَبُّ الخرُّوب الذي يستعمل وزناً للمعادن الثمينة حتى يومنا هذا. في الإنكليزية carob.

والخلاصة: العربية «جرام» تحولت على ألسنة اليونان إلى gram، ثم أبدلت الجيم دالاً فكانت dram، وحورت إلى «دراخما» drakhma، وعادت إلينا: «درهم» وجمعت على «دراهم» وتصغر على «دريهمات».

قال الشاعر الفطحل:

إن الدراهم في الأماكن كلها
تكسو الرجال مهابةً وجلالا
فهي اللسان لمن أردا تكلماً
وهي السلاح لمن أراد قتالا

حق!

23

من أهم العلوم الحديثة وأطرفها وأمتعها أيضاً ما يبحث في أسماء الأعلام الجغرافية، أقطاراً ومدناً وقرى، جبالاً وسهولاً وبحاراً وأنهاراً.. إلخ. وهو علم واسع عريض يغوص المرء في خضمه فلا يطفو، متصل بالتاريخ وحركة المجموعات البشرية على مداه الطويل، وبالأشخاص، كما هو متصل بالبيئة والأسطورة. وقد يكون

لنشأة الاسم الواحد جملة تفسيرات، وقد يختلف فيه فلا يكون اتفاق. لكن عدداً كبيراً من الباحثين الجادين نذر حياته كلها لهذا الموضوع وكتبت فيها آلاف الصفحات على مدى العصور. وهو علم لا حَدَّ له ولا نهاية لكثرة هذه الأسماء في شتى اللغات على وجه الأرض.

فإذا نظرنا في أسماء أقطار الوطن العربي مثلاً وجدنا في أقصى غربه (مرويتانيا) ـ واسمها القديم: شنقيط ـ وهو اسم لاتيني الأصل مكون من «مور» وهي تسمية أهل الشمال الأفريقي عند الرومان بمعنى «الأسمر المحمر» (ولا نزال في لهجتنا الليبية نستعمل كلمة «مور» صفة لهذا اللون الذي هو لون التوت ـ في الفرنسية mur) و«تانيا» بمعنى: بلاد، أرض ـ كما في «تريبوليتانيا» (بلاد طرابلس). أما «المغرب» فكان يسمى «مَرَاكش» (مُرَّاكش ومُرَاكش ـ أيضاً). وهي أيضاً من «مور» + أداة النسبة/ الصفة في اللاتينية (كُس = كُش) انقلبت سينها المهملة شيناً معجمة. و«الجزائر» يقال إنها أصلاً مجموعة «جزر»، جمع «جزيرة» التي تجمع على «جزائر» كذلك، بنيت أمامها مدينة سميت «الجزائر» ثم عمت القطر كله. ويقال إن «تونس» كانت في الأصل «تانس» tanis ـ بفتح التاء ـ وهي الصيغة الإغريقية لاسم الربة الليبية القديمة «تانيت» التي هي ذاتها عند قدماء المصريين «نيت» وعند الكنعانيين «عنات». و«ليبيا» نسبة إلى شعبها القديم الذي عرف عند الإغريق باسم «الليبو» ولكن أصله في النقوش الهيروغليفية بالراء بدلاً من اللام (ربو < ريبو)، والأرجح أن أصله

الأول مكون من العين والراء والباء (ع ر ب < عريبو) سقطت العين فكانت «ربو» وأبدلت الراء لاماً فكانت «لبو» < ليبو/ لوبو. وقد نشأت أساطير حول هذا الاسم، فقيل إن أصله من «لبؤ» (= أسد، سبع) لأنها كانت أرضاً مشهورة بالأسود، كما قيل إنها من «لوب» في العربية ومنه «اللوب» = العطش ـ لندرة المياه فيها. وقيل أيضاً إن «ليبيا» كان اسم أميرة جميلة شجاعة سميت بها هذه البلاد. وهذه كلها أساطير مبنية على الخيال وليس على المقارنة اللغوية الجادة أو الاستعانة بالنقوش وآثار الأقدمين.

كلمة «مصر» معناها «المدينة» ـ أطلقت على مدينة واحدة هي عاصمة الدلتا كان اسمها القديم (من ـ نفر) أي: البناء الجميل ـ في المصرية القديمة، ثم صارت في القبطية «منف» واسمها الآن «منوف». ثم عمت القطر كله. واسم «السودان» واضح بذاته، وكانت التسمية تطلق حتى على ما جنوب الصحراء؛ تشاد ومالي والنيجر، ثم خصت القطر العربي السوداني بعد ذلك.

«اليمن» ذات صلة بكلمة «يمين ـ ما ضاد اليسار ـ وعنت قديماً: الجنوب ـ لأن الذي يولي وجهه شطر مشرق الشمس يكون الجنوب على يمينه والشمال على يساره. والشمال يسمى أيضاً في العربية «الشأم» ومن هنا جاءت تسمية بلاد «الشام» = الشأم. ومن جملة بلاد الشام «لبنان» وتنطق أحياناً «لُبنان» بضم اللام، وأهله يقولون «لِبنان» بكسر اللام. وتسمية هذا القطر ترجع إلى العربية

«لبن» سمي به لبياض ثلوج جباله على التشبيه بين الثلج واللبن في البياض. وكان من جملة بلاد الشام أيضاً «الأردن» وهو اسم نهر جارٍ هناك، تعود تسميته إلى مادة (ورد) ـ مورد الماء. أما «العراق»: ففي أصلها خلاف؛ قيل إن الأصل من مادة (عرق) لشدة الحرارة وكثرة العرق، وقيل إنها من «العِرق» بكسر العين لكثرة عروق نباته نتيجة غزارة ماء الرافدين (دجلة والفرات) فيه. ولكني أحسب أنها تعود إلى مدينة «أُرُكْ» وهي عاصمة كانت للسومريين منذ آلاف السنين ولا تزال أطلالها باقية حتى الآن. ومن بعد السومريين جاء البابليون وينقسمون قسمين: الأكاديين (وعاصمة ملكهم أكاد/ أكد) والأشوريين (وعاصمة ملكهم: أشور) ونحن أخذنا نطق «أشور» عن الفرنجة أما أصلها العروبي فهو أَشُر» بدون مدة، ذات صلة بالعربية «أزر» و«أصر» و«أسر» التي تفيد القوة. وقلبت الشين ثاءً مثلثة فكانت «أثور» ـ ومنها اسم الأثوريين؛ فريق من سكان العراق الآن ـ كما قلبت سيناً فكانت «أسور». وفي ظني أن اسم سوريا (سورية) يعود إلى ما ذكرت كما يعود اسم «السريان» واللغة «السريانية» كذلك.

وجنوب بلاد العراق هناك «الكويت»، ويرى البعض أنها صيغة تصغير لكلمة «كوت» العربية بمعنى: مجتمع الرمل. ويذهب آخرون إلى أنها تصغير «كوت» وهي كلمة تطلق على قارب الصيد، وصيد اللؤلؤ خاصة، في الخليج العربي، ونجدها في لهجتنا الليبية «كوُتي» (صندوق صغير ـ للسجائر كان) وهو في اليونانية kouti كذلك (صندوق صغير).

البلاد التي تدعى اليوم (**السعودية**) كانت تسمى (الحجاز) بسبب من سلسلة الجبال الحاجزة غير بعيد عن ساحل البحر الأحمر، أما (السعودية) فنسبة إلى «آل سعود» مؤسس هذه المملكة. وشرق (السعودية): **الإمارات العربية المتحدة**، وكان تسمى المشيخات المتصالحة، فصارت: إمارات متحدة ـ والحمد لله. منها: «الفجيرة» ولعلها من العربية «فجر» أي متفجر الماء، تصغير «فُجرة» = النبع، أو عين الماء. و«دُبَيّ». قال في (لسان العرب): دبي موضع لين بالدهناء يألفه الجراد فيبيض فيه. والجراد، قبل أن يطير، يسمى في العربية: الدُّبَى (في لهجتنا: دبنون) وتصغيره: دُبَيّ. وهناك «رأس الخيمة» وهي واضحة لا تحتاج إلى بيان. و«عجمان» قد تكون اسم قبيلة. قال في (اللسان): وبنو أعجم وبنو عجمان: بطنان. وقد تكون من مادة (عجم) التي جاء فيها: رملة عجماء = لا شجر فيها، والمعَجْمة: المتراكم من الرمل المشرف على ما حوله. ولدينا إمارتان إحداهما «أم» والأخرى «أبو». الأولى «أم القيوين». ولا أدري ما «القيوين» إلا ما قاله ابن منظور من أن «القَوْنة: القطعة من الحديد يرفع بها الإناء... (و) قوْن وقُوَيْن: موضعان» (مادة: قون) والثانية: «أبو ظبي» = مكان الغزال.

وتبقى لدينا «**البحرين**» وأصلها: «البحران»، موضع بين البصرة وعُمان، النسب إليه بحري وبحراني، وجاء القول: هذه البحرين وانتهينا إلى البحرين (اللسان؛ بحر). وأما «**عُمان**» فتستوي في

الأصل و«**عمّان**» (عاصمة الأردن). بمعنى «المدينة» ومقلوبها «**معان**» أي المدينة.

عدد الأقطار العربية والبلدان العربية يزداد. أما كان من الأفضل والأنفع لو كانت كلها مجتمعة في قطر واحد، دولة واحدة.. فيقل العناء؟!

24

قد يسأل سائل: لماذا ندعو ـ نحن العرب ـ بلداً أوروبياً مثل «**النمسا**» بهذا الاسم بينما يعرف عند غيرنا باسم «أوستريا» أو «أوستري» مثلاً؟ أو نقول «المجر» ونسمعها تُدعى «هنغاريا» أيضاً؟ وما أصل «إيطاليا» و«فرنسا» و«إسبانيا»؟ وما افرق بين «جرمانيا» و«ألمانيا»؟ وما معنى «روسيا» و«اليابان» أو «الأرجنتين» و«البرازيل» و«مالطا».. وعشرات من أسماء البلدان في العالم قديمه وحديثه؟

وهذه أسئلة معقولة تؤدي الإجابة عنها إلى نتائج بالغة الأهمية. وليس صحيحاً القول السائر بأن «الأسماء لا تعلَّل»؛ فالواقع أنه ما من اسم إلا وله سبب وعلة، وأصل يرجع إليه. وقد كتب الأستاذ (ماريو بيي M. pei) فصلاً ممتعاً عن أسماء المواقع والبلدان في مؤلفه (قصة اللغة) The Story of Language نستند إليه، وإلى مصادر أُخرى، في فهم أصول هذه الأسماء. وقد نكتشف ـ في بعض الأحيان ـ صلة بينها وبين العربية تدعو إلى الدهشة والاستغراب.

لنضرب مثلاً «إيطاليا» Italia. إنها تعود إلى اللاتينية Vitelle ومعناها الحرفي (بلد العجول). في الإيطالية Vitello (عجل) ويعرف أهل مصر الكلمة في صورة «بِتِلُّو» المستعملة عند القصابين (لحمة بتلّو = لحم عجل). ربما سميت كذلك لكثرة إنتاجها لعجول البقر.

و«جرمانيا» Germany غير «ألمانيا». الأولى مكونة من مقطعين: الأول gair في الإيرلندية القديمة تترجم إلى الإنكليزية neighbour (عربيتها: جار). والثاني man = رجل، إنسان (عربيته: مَنْ/ مَنٌّ = رجل). أما «ألمانيا» فمن الفرنسية Allemand وهو اسم قبيلة واحدة كانت تدعى Allemani عاشت قديماً في ما يعرف بـ «سويسرا» الآن.

إنكلترا» (Angleterre/ England) لم يكن هذا اسمها قبل أن تجيئها قبيلة جرمانية تدعى في اللسان اللاتيني Anglia ولا تزال هذه التسمية في مقاطعة تقع في القسم الجنوبي الشرقي من «إنكلترا». ويقول (معجم أكسفورد الإشتقاقي) إنها ترجع إلى اللاتينية angulus التي هي تصغير angus المأخوذة عن اليونانية agkos بمعنى: حَنَى (عربيتها: قوس)، ولا صلة لها بـ angel (ملاك) كما يزعم البعض؛ إذ متى كان الإنكليز من الملائكة.. يا سبحان الله؟! ولعل التسمية جاءت من هذه القبيلة الجرمانية التي هاجرت إلى قسم من الجزيرة البريطانية كانت تعيش في ركن ضيق منها (هي Anglia) قبل أن تتوسع وتمتد وتفرض سيطرتها على سائر أجزاء الجزيرة التي كان

يسكنها الإسكتلنديون والإيرلنديون والويلزيون من قبل. هذا الركن عبارة عن زاوية (قوس) agkos < angus < angulus.

هذه المنطقة، قبل وصول «الإنكليز» كانت تدعى في اللسان السلتي alp بمعنى «مرتفع» (فقارن العربية «أنف») وصارت تدعى Alpion. هذا قول، وثمة قول آخر خلاصته أن Alpion من اللاتينية Albus (= أبيض) ـ ومنها تسمية جبال «الألب» ما بين إيطاليا وفرنسا وسويسرا الآن. (فقارن العربية: حليب. اللبن الحليب = أبيض).

تسمية «فرنسا» كانت في القديم gallia من اللاتينية gallus (ديك) والمعنى الأصلي: الصياح. (عربيته: قال. القوّال = الصياح). أما «فرنسا» France فمن اللاتينية Franca (صارت في العربية: فرنجة/ الفرنج ـ الإفرنج). وهي تعني: رمح، نبلة، نشابة. سلاح كانت قبيلة جرمانية جاءت بلاد «الغال» في القرن السادس بالتأريخ الإفرنجي (إذ إنه لم يكن في فرنسا فرنسيون قبل هذا التاريخ!). ويبدو أن هذا الرمح كان ذا شعبتين أو ثلاث، فهو سلاح مفروق (مثل رمح إله البحر نبتون عند الرومان). عربيته «فرق» ثم صارت «فرنق» بإضافة النون، ثم Franca.

ونحن لا نزال نتغنى «بالفردوس المفقود» و«زمان الوصل بالأندلس». وكلمة «الأندلس» معربة عن Vandalus وهي تسمية تلك الأقوام الأوروبية الهمجية التي انداحت من شمال أوروبا ودمرت الأمبراطورية الرومانية وجاءت شمال أفريقيا حتى ردها «كاباون الطرابلسي» زعيم قبيلة (لواتة) الليبية في موقعة مشهورة غير بعيد عن

«لبدة» في عهد الإمبراطور الرومي (جستنيان). ولا تزال كلمة Vandalism تعني في الإنكليزية: التدميرية، أو روح التدمير والتخريب. وقد عمر العرب «الأندلس» وازدهرت فيها حضارتهم الرائعة.. وإن احتفظوا بالاسم الضد!

«الأندلس» هي القسم الجنوبي من شبه جزيرة «إيبيريا» Iberia التي تضم الآن: «البرتغال» (وقد مر تحليل اسمها) و: «إسبانيا». وكلمة «إسبانيا» أصلها Esperia (بمعنى «الغرب»/ «المغرب» في اليونانية. وأذكر أنه كان لدينا في الخمسينات نوع من لفائف التبغ يدعى «إسبيريا».. فهل يذكر أبناء جيلي؟!). ومن ذلك في اليونانية «جنائن الهسبريدس» (الإسبريدس) التي كانت تطلق على حدائق نهر «الليثي» (نهر النسيان) الأسطوري الذي اعتقد الأقدمون أنه كان بالقرب من بنغازي. والمهم أن «إسبير» Esper اليونانية معناها الأصلي: الغروب، محل الغروب، غروب الشمس وأفول القمر، وغياب النجوم، أي «سفرها» غرباً. وهذا ما نجده في المصرية القديمة: «س پ ر» (= سفر) = قمر، رحل، سافر. فالأصل في «إسبانيا» إذن هو العربية «سفر». أما «**إيبيريا**» (اسم شبه الجزيرة) فهو في الأصل iber ومعناه في اللاتينية: المجاز، الممر. وواضح أن مقابله العربي هو «**عبر**» < المعبر، ولنلاحظ أن العرب أسموا الضفة الشمالية من مضيق جبل طارق «العدوة» أي «المعبر» بالضبط.

ما ذكرت من بلدان تقع في أوروبا الغربية، وهناك بلدان في وسطها وشرقها. ومن بلدان الوسط ما نعرفه باسم «النمسا» ـ وهي

من اللغة السلافية Nimitz ومعناها: أعجم، بربري، لا يحسن الكلام، حيوان (صدق أو لا تصدق!). ذلك لأن السلاف كانوا يعتبرون الألمان (سكاني النمسا) عجماً. وجذر Nimitz هو (NIM). عربيته: نأم، نعم. ومنها: الأنعام. فهل يصدق أحد أن «النمساوي» تعني حرفياً «النَّعمي»؟

والألمان جيران السلاف (السلافيين) وكلمة «جار» من مادة «جور» التي تؤدي إلى «الجوْر» كذلك. وأكثر الناس خصاماً ـ في العادة ـ هم من الجيران.. بسبب الاحتكاك المباشر وارتباط (أو ارتباك) المصالح. فشمر النمساويون/ الألمان عن ساعد الجد وردوا الكيل كيلين والصاع صاعين، فكانت كلمة slave التي نعرفها في الإنكليزية تعني «عبد»، «رقيق». وهي المقطع الشهير في أسماء بلدان من مثل (تشيكو ـ سلوڤ ـ اكيا) سابقاً، و(يوغوسلاڤيا) سابقاً أيضاً، وقد انقسمت (تشيكوسلوڤاكيا) إلى شطرين: «تشيك» (دولة وحدها) و«سلاڤيا» دولة أُخرى. أما «يوغوسلاڤيا» فقد تبعثرت قطعاً كلوحة الفسيفساء المحطمة.. وكلها ترجع إلى «سلاڤ» (= slave إن شئت).

الإنكليزية (slave) تجدها في الفرنسية éclave وأصلها esclave وهي التي صارت في العربية «صقلب» ومنها: الصقالبة. قال ابن منظور نقلاً عن أبي منصور الثعالبي: «الصقالبة: جيل حمر الألوان، صهب الشعور، يتاخمون الخزر وبعض جبال الروم. وقيل للرجل الأحمر: صِقلاب ـ تشبيهاً بهم».

25

على مدى تاريخ الإنسانية كانت الشعوب تختلط وتتفاعل، قبائل تهاجر من مكان إلى آخر وغيرها يستبدل وطناً بوطن وأرضاً بأرض، سلماً أو حرباً. ومن هنا نجد للبلد الواحد جملة أسماء، تختلف في لغة أهلها عنها عند غيرهم، كما تتنوع بحسب الأزمنة والعصور. والملاحظ أن تسميات هذه الشعوب والأمم أطلقت عليها في العادة من قبل جيرانهم، وأن كثيراً منها يتخذ اسماً له، نعتاً يرضى عنه في حين أن اسمه الذي يعرف به عند سواه غالباً ما يكون صفة لا تبعث على الرضا ثم سرعان ما ينسى أصلها وتسري دون النظر إلى نشأتها الأولى، أو قد يرغب شعبٌ ما في تحرره من اسمه الذي عرف به ويستبدل به ما يراه لائقاً.

منذ بضع سنوات قررت بلاد اليونان (وهي تدعى أيضاً: بلاد الإغريق) أن يكون اسمها بلاد «إلآس» Ellas. لماذا؟ قالوا لأن تسمية «الإغريق» ـ في العربية ـ من اللاتينية Graeca (ومنها الإنكليزية Greece: والصفة Greek) ولها صيغ متعددة في الجرمانية Chrech وفي القوطية Kréks وفي الإنكليزية العتيقة Grecas وفي اليونانية القديمة Graikoi.. إلخ. وجذرها GRC (حرف الـ ga والراء والكاف) وتعني: «الشرق». وقد حلت الـ ga محل الشين والكاف، القريبة مخرج الصوت، محل القاف. فبدلاً من أن تكون «شرق» (shrq) كانت GRC (= GRK) ومنها Graeca التي أبدلت الـ ga فيها إلى غين معجمة في العربية (غرق < إغريق). فكلمة

Graecus في اللاتينية تعني بالضبط «شرقي» ـ صفة. ذلك لأن الرومان كانوا يعتبرون الإغريق (اليونان) شرقيين وليس من أهل الغرب (الأوروبيين).. ومعهم حق؛ فإن الأغارقة في تاريخهم البعيد والقريب مرتبطون بالشرق أيما ارتباط، وإن حاولوا الالتحاق بركب الغرب.

فليكن. غيروا اسم بلادهم إلى «إلأس» Ellas وأصلها «هلاّس» Hellas (لأن الهاء في اليونانية القديمة أبدلت همزة في اليونانية الحديثة) والسين فيها زائدة، وأصلها Hella ومعناها «الشمس». فلنقارن العربية في مادة (هلل): تهلّل = أشرق وتلألأ ـ حال الشمس. وفي مادة (هول): هالة = الشمس. وأنشد ابن الأعرابي يصف جواداً:

ومنتخَبٍ كأن هالة أمُّه

سباهي الفؤاد ما يعيش بمعقول

يريد أنه فرس كريم كأنما نُتجته الشمس، حذر فزع مرح.

فإذا غادرنا بلاد الإغريق ومضينا إلى بلاد الروس وجدناها اليوم صقعاً عظيماً لكن التسمية في الأصل كانت تطلق على قبيلة صغيرة تعيش في ما يعرف اليوم بـ «اسكندنافيا»، كان أهلها ـ ولا يزالون ـ حمر الوجوه والشعور يسمون Rusi، وهي تسمية تعنى الحمرة ذات صلة باللاتينية russus (أحمر، ومنها في الفرنسية rouge والإيطالية rosso والإنكليزية rose = وردة). واللاتينية (russus) مأخوذة عن

اليونانية erothro(s) (ومن هنا جاءت تسمية البحر الأحمر Eruthra Thalassa لكثرة الشّعب المرجانية الحمراء فيه، ثم أطلقت على البلد: إريتريا. ومن ذلك أيضاً اسم جزيرة «رودس» Rhodes بالورود = جزيرة الورد). وأحسب أن القارىء الكريم أدرك الأصل العربي: ورد. وهو اسم الزهرة الحمراء الفواحة المعروفة، صفة تذكر (ورد) وتؤنث (وردة). في القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [سورة الرحمن: 37] أي: حمراء، ليست زرقاء صافية الأديم.

«ورد» العربية (وقارن ـ رجاءً ـ الإنكليزية red = أحمر) أبدلت دالها ثاء مثلثة في اليونانية، ثم تحولت إلى سين في اللاتينية فكانت منها russus وrusi أطلقت على قبيلة الـ (روس) ثم صارت اسم بلد هو «روسيا» ولنلاحظ أن الدال في العربية «ورد» أبدلت جيماً في الفرنسية rouge وزاياً في الإنكليزية rose ـ في نطقها أما في الكتابة فقد ظلت سيناً. وسبحان مبدل الحروف والأحوال!

فهل أتاك حديث «باكستان»؟

إنها الدولة الإسلامية الكبيرة، أهلها هنود مسلمون، كونوا دولتهم أواخر الأربعينيات حفاظاً على كيانهم، وكانت قسمين أحدهما في الشرق من شبه القارة الهندية كان يدعى (باكستان الشرقية) والآخر في الغرب يدعى (باكستان الغربية) تفصلهما الهند التي ابتلعت كشمير المسلمة.. والأمر لله من قبل ومن بعدا.

(باكستان الشرقية) انفصلت وصارت تدعى (بنغلاديش) عندها عَلم ونشيد وفيضانات وأعاصير وزلازل. أما الغربية فقد ظلت محتفظة بالاسم (باكستان). فما معناه وما أصله؟.

إنه مكون من مقطعين: «پاك» pak (ومعناه: صافٍ، نقي، طاهر) + «ستان» stan = بلد (في الفارسية).

العجيب أننا نجد في اللغة المصرية القديمة كلمة «**بَاق**» بمعنى: صافٍ، مشرق، لامع، مشع (أي: طاهر، نقي). وتطلق على زيت الزيتون لنقائه من جهة ولأنه كان يستعمل في طقوس التطهير وشعائر العبادة منذ القديم (معجم بدج، ص205 ـ 206) ـ كما هو حال التمسيح عند النصارى. ويقابل baq المصرية القديمة ما في العربية في مادة (فوق). قال في (اللسان): الفاق... الزيت المطبوخ. قال الشماخ يصف شعر امرأة:

قامت تريك أثيث النبت منسدلاً

مثل الأساور قد مُسِّحن بالفاقِ

وقيل: الفاق هو الغض من الزيت.

فلنعد ترتيب الأمر: **الفاق** ـ في العربية ـ تعني الزيت الغض الصافي. في المصرية/ القديمة «بأق» (= باق). في الفارسية «پاك» pak بمعنى: الصافي، الطاهر. ومنها: «باكستان» = بلاد الأطهار. أي بلد المسلمين الأنقياء.

أما وقد تحدثنا عن (باكستان) فلا بد أن نذكر «الهند» فهي

الجارة القريبة. . ولا يجوز إهمالها من باب السياسة التي تدعى «الدبلوماسية» ـ على الأقل!

نحن ندعوها «الهند»، ونسمي بها بناتنا «هند» ـ بدون «ال» التعريف. . وهناك اسم «هنداوي» و«مهند». ومن أسماء السيوف عند العرب: المهنَّد، الهندي، الهندواني، الهندوان. . إلخ. لأن هذه البلاد اشتهرت في القديم بصناعة السيوف الصقيلة. لكن أهل الهند لا يسمونها كذلك، بل يدعونها **«بهارَتا»** Bharata. وقد يبدو إن لهذا الاسم صلة بما نعرفه من التوابل والأبازير أي «البهارات». ذلك لاشتهار الهند بها. لكن هذا غير دقيق، بل غير صحيح. فإن «بهارتا» تعني في السنسكريتية: المدعوم، المثُّبت، المسنود. نسبة إلى Bharat وهو اسم بطل قديم في تاريخ الهند الديني ـ الأسطوري. ولعلنا نترجم اسمه إلى العربية «سَند» ما دام «يسند» تلك البلاد. هل جاءت تسمية الهند الأُخرى. . أعني بلاد «السِّند» من العربية «سَند»؟ سؤال وجيه.

26

في حديثنا السابق تكلمنا عن تسمية «الهند» التي تدعى «السِّند» كذلك. وقلنا لعل كلمة «السِّند» أصلها «السَّنَد». . ترجمة عربية للسنسكريتية «بهارت» (الداعم، المؤيد، المعاضد، المساند). وقد نجرؤ على الظن بأن «السِّند» عنت الجبال العالية في تلك البلاد، وفي العربية: السَّنَد = ما ارتفع من الأرض والجمع: أسناد. لكن

ثمة رأياً ثالثاً جديراً بالنظر خلاصته أن الهاء تبدل سيناً في الكلم الفارسي؛ فكلمة «هِبْتا» التي مر ذكرها هي ذاتها «سبتا» بمعنى «سبعة». وبذا فإن «هند» و«سند» شيء واحد. فماذا تعني «هند»؟

في العربية: الهند = المائة (وخصت المائة من الإبل). ولنقارن هنا بالإنكليزية hundred. وهي مكونة من hund (هُند) = مائة + red وأصلها rathm = رقم، عدد. فإذا سألت من أين جاءت كلمة «مائة» في العربية؟ كان الجواب: من «الماء» لأن العدد (مائة) يعتبر رقما محيطاً، كثيراً، شاملاً، وكذلك «الماء» الذي يحيط باليابسة جزراً وقارات. ومن هنا نجد في اللاتينية unda وقد أبدلت الهاء همزة مضمومة، بمعنى: ماء، موج. ومنها في الفرنسية ondée (زخة مطر، شؤبوب) وonde (موجة في البحر، ثم استعملت في الإذاعة فيقال مثلاً ondes courtes أي: الموجات القصيرة ـ في اللاسلكي). فانظر ـ بالله عليك ـ كيف تطورت «هند» العربية إلى أن صارت موجة لاسلكية!

لكن السؤال يظل: لماذا سميت الهند هنداً؟

أحسب ـ والله أعلم ـ أن ذلك يرجع إلى المحيط العظيم الذي يفصل بلاد العرب عن شبه القارة الهندية.. أعني (المحيط الهندي).. بأمواجه المتلاطمة ودفقها العظيم، وكان البحارة العرب يعبرونه، منذ القدم، ليصلوا إلى تلك الأصقاع فيجلبوا منها الأفاويه والأطاييب والأراييح و«الحرائر». كانوا يمضون إلى (كلكتا) و(بومباي) و(مدراس). آه.. «مدراس»!. أتدري أن اسم هذه

المدينة الهندية العريقة عربي؟ إنه في الأصل: «**مَدْرَس**». . أي محل الدرس. . المدرسة. . ولعلها كانت في بدايتها الأولى عبارة عن قرية أهم ما فيها «المدرس» (أو: الكتَّاب) الذي أنشأه العرب المسلمون يعلمون فيه الهنود المعارف ويهدونهم إلى الدين الحنيف.

وقد يأخذنا ذكر عربية اسم مدينة «مدراس» الهندية إلى الكشف عن عروبة بعض أسماء المدن المعروفة، أو عروبة مقطع فيها على الأقل، من مثل: أديس أبابا، جاكرتا، هراري، بلغراد، هامبورغ، أثينا، وروما. لكننا نؤجل هذا الأمر حتى نطلع على تسميات بعض الأقطار والشعوب.

إذا امتطينا صهوة إحدى الطائرات العابرات المحيطات والقارات وغادرنا الهند إلى أمريكا الجنوبية، وهبطنا في بلد كالأرجنتين، مثلاً: أتسألني ما معنى «الأرجنتين» هذه؟ أقول لك يا أخي: إنها في الأصل Argentine من اللاتينية Argentum (بمعنى: فضة. ومنها في الفرنسية argent = فضة، مال، نقود). وقد أطلق الإسبان هذا الاسم على تلك البلاد حين غزوها لما وجدوا فيها من فضة كثيرة، فهي (بلد الفضة). اللاتينية Argent-um قريبة جداً من العربية «لُجْين» ـ ومعنها فضة. أو لعلها ذات صلة بالجذر العربي (أرج) وفيه: الأرج والأريج = التوهج، وأرّج النار أوقدها، فارتفع لهيبها ـ على أساس صلة الوهج في النار والفضة اللامعة.

وهناك في نفس القارة: «البرازيل». واسمها يعود إلى صبغ يتخذ من لحاء الأشجار له لون الحديد. والمثير أن الحديد يدعى في

لغة العروبية الكنعانية «بردل» وفي الأكادية «بَرْزَلُ» وفي العربية «فرزل» ـ ومنها «الفرزلي» (الحداد) لا يزال يستعمل في بلاد الشام لقباً.

وفي أسماء البلدان والدول طرائف وعجائب. فنحن نعرف «الولايات المتحدة الأمريكية» وهي ترجمة غير دقيقة للإنكليزية: United States of America. أما الترجمة الصحيحة للاسم فهي (دول أمريكا المتحدة) وليس «ولايات». وإذ تترجم إلى الإسبانية: Estados Unidos وإلى الفرنسية: Etates Unis نجدها في اليابانية تدعى Bei-kokuومعناها الحرفي «أرض الأرز». أما في الفنلندية فهي Yhdys Vallat وواضح أن الاسم مركب من مقطعين: Yhdy(s) عربيتها: وحّد، وموحّدة (بإضافة سين الجمع). Vallat. عربيتها: ولايات.

فما الذي جعل هاتين اللفظتين الفنلنديتين عربيتي الأساس؟

سؤال قد تكون الإجابة عنه أن الفنلندية نقلت التسمية عن التركية الآخذة بدورها عن العربية. أو لعله الأثر العروبي القديم في لغة أقصى شمال أوروبا يتضح عند البحث والتنقيب.

وهناك «الصين» التي تضم ربع سكان الدنيا أو تزيد قليلاً. ويسمى الصينيون بلادهم في لسانهم Chung Kuo ومعناه: «الأرض الوسطى» ـ يحسبون أنفسهم في سرة العالم، مع أنهم في أقصاه. أما تسمية (الصين) [في الإنكليزية China والفرنسية Chine وهكذا بقية

اللغات] فهي ليست صينية على الإطلاق. فماذا يمنع أن تكون عربية الأصل من مادة «صون»؛ إذ هي محاطة بالبحر من جهة وبسورها العظيم الشهير الذي «يصونها» ويحيط بها؟ ممكن.

وبجوار الصين: «اليابان» وهي عند اليابانيين Nippon (حرفياً: أصل الشمس ـ أي مشرقها) وتسمى في الصينية Jepen Kuo تحولت إلى Cipango وعنها نقلت صيغ Japan في الإنكليزية، وJapon الفرنسية و«يابان» العربية، ومعناها: «أرض مشرق الشمس».

وهناك بلاد تحمل أسماء أشخاص، كالسعودية التي تنسب إلى ابن سعود، والفلبين التي سميت باسم الملك الإسباني «فيليب» الذي أخرج وزوجه «إيزابيلا» العرب من الأندلس. وجزر الموريشيوس باسم الفرنسي Maurice. وبوليفيا باسم سيمون بوليفار (قائد حركة التحرر في أمريكا اللاتينية) وبرمودا باسم (مكتشفها) Juan de Bermudez وكولومبيا باسم كولومبوس.. إلخ. وحين تترجم أسماء البلدان تبدو غريبة للغاية. فالإكوادور تعني «خط الإستواء» و«الدومينكان» تعني «تابع يوم الأحد». أما «إثيوبيا» فكلمة يونانية ومعناها الحرفي: «من اسمرت وجوههم من أثر حرارة الشمس». وكان اسم «إثيوبيا» من قبل: «الحبشة» نسبة إلى قبيلة (حبش) العربية اليمنية القديمة استوطنت هذه البلاد ونشرت فيها لغتها العربية التي لا يزال أثرها حتى اليوم.

27

تمتد جذور لغتنا العربية الشريفة لتضرب في أعماق الأرض والتاريخ، بعضها يمضي إلى بعيد حتى لنجد آثاره في لغات أُخرى. . نتتبعه فنكتشف عروبته الصريحة مهما طال الزمان ونأى المكان.

خذ مثلاً الجذر الثلاثي «**قرر**» وهو ناشىء عن الجذر الثنائي «**قر**» وكانت القاف القرشية (ق) تنطق في القديم معقودة كما ينطقها عرب ليبيا واليمن والعراق (ga).

هذه الـ «**قر**» نجدها أول ما نجدها في اسم عاصمة بني كنعان منذ نحو خمسة وثلاثين قرناً من الزمان «**قرت**» ـ مضافاً إليه تاء التأنيث. عربيتها «قرية» < «القرية». وقد جرت على الألسنة في صورة (أوغاريت) نقلاً عن الإفرنج. وعندما جاء الكنعانيون شمال أفريقيا في القرن التاسع ق. م (بالتأريخ الإفرنجي) أسسوا مدينة أسموها «قرت ـ حدشت» أي: القرية (أو: أوغاريت، الحديثة) وعرفناها ـ نقلاً عن الإفرنج أيضاً ـ في صورة: (قرطاج) و(قرطاجة). وقد أنشأ الكنعانيون مدينة أُخرى في شبه جزيرة إيبيريا أسموها «قرت ـ حدشت» (قرطاج/ قرطاجنة) كذلك، اعتزازاً بعاصمة ملكهم على ساحل الشام بالقرب من اللاذقية. . تماماً كما فعل الإنكليز في مثل «نيو يورك» (يورك الجديدة)، «نيو أورليانز» (أورليانز الجديدة). . إلخ.

الجذر «قر» (أو: قرت) يقابلنا في لغة الروس في صورة gorod (قرية/ مدينة) في مثل Lenin-gorod (لينين قراد ـ التي عادت إلى اسمها القديم «بطرسبرج». . ولها حديث). نجده في اسم عاصمة يوغوسلافيا السابقة «بلغراد» Belgorod (المدينة البيضاء) وهناك عشرات المدن الروسية والسلافية التي تنتهي بالمقطع grad/ gorod، عربيته «قرت» > «قرية».

كلمة «قرت» أو «قرية» العربية نعثر عليها في اسم العاصمة الإندونيسية (جاكرتا) مكونة من مقطعين: «جا»، اختصار لـ (جاوا) ـ ومعنى «جاوا» في اللغة الماليزية: شعير ـ ثم «كارتا» = قرية. أي (مدينة/ عاصمة جاوا).

وجذر عربي آخر يدخل في تسميات المدن الأوروبية كثيراً، هو «برج» (والجيم تنطق ga في الأصل القديم) ومعناه: المبنى المرتفع. وتجده في مثل «بطرسبرج» (برج بطرس) في روسيا و«هامبورج» في ألمانيا ـ وإليها تنسب شطائر «الهامبورغر» الشهيرة ـ و«إيدن برج» (التي صارت: إدنبره) عاصمة اسكتلندا.

وجذر ثالث هو «قصر» وقد تحول في اللاتينية إلى Castre ثم صار Caster في مثل: Cancaster وCester في مثل Leicester وChester في مثل Portchester ـ وكلها مدن في بريطانيا.

ورابع هو al بمعنى «مرتفع» (عربيته «عال») أضيفت إليه التاء في مثل Altamura (الجدران العالية). أما «أل» (أداة التعريف

العربية) فهي كثيرة في أسماء المدن الإسبانية، مثل Alcantara (الجسر = القنطرة)، + Alcazer (القصر). والعربية (وادي) صارت في الإسبانية -gaud ونجدها في مثل Guadelkevir (الوادي الكبير)، Guadoljare(الوادي الجاري)، Guadelupe (وادي اللبؤ = وادي الذئب). وإلى جانب الوادي تحت كلمة «جبل» العربية تواءمت مع ترجمتها اللاتينية mons فكانت mongibello إحدى مدن صقلية، أي حرفياً: «جبل الجبل». و«جبل طارق» تحوّل في الإنكليزية إلى Gibraltar.

وهناك كلمة عربية من أعز الكلمات وأغلاها وأحلاها: **حُرِّية**. أتدري أنها أصل تمسية عاصمة الدولة الأفريقية التي نعرفها باسم «زمبابوِي»؟ ففي اللغة السواحلية المتأثرة كثيراً بالعربية كلمة uhuru (= حرية)، وفي اللغات الأفريقية ظاهرة تكرار الكلمة، ربما لتأكيدها، فقالوا uhuru uhuru (حرية حرية)، وصارت على الألسنة: هراري Harari. ويا له من اسم جميل!

وعلى ذكر العواصم يأتي اسم عاصمة الأرجنتين (بوينس آيرس) ومعناه حرفياً: الأجواء الطيبة. أما (برلين) فمعناها في اللغة السلافية «الأرض الخراب».. فتأمل! وفي ألمانيا أيضاً هناك مدينة Koln ونعرفها في صيغتها الإيطالية Colognea وإليها تنسب «الكولونيا» نوع من العطور الفواحة، ومعنى الاسم: «المستعمرة». أما «ميونخ» Munich أو Munchen في لغة الألمان فهي من اللاتينية monco(s) (الرهبان).. ربما لأنها كانت ديراً قبل أن تصير مدينة عظيمة،

وكذلك الحال في إمارة «موناكو» Monaco وهي الآن محل القمار واللهو والفساد، بعد أن كانت موطن الترهب والعبادة النسك.

هل أنبئك بشيء؟

إن اسم «ميونيخ» و«موناكو» ذو صلة بالكلمة الإنكليزية monastry (دير) والفرنسية monastire، وهو اسم مدينة معروفة في تونس (المنستير = الدير، صومعة الراهب). ولعل لها صلة باسم قرية أُخرى بتونس أيضاً هي «مستير» وينسب إليها (مستيري).

وهل أنبئك بشيء آخر؟

إن الجذر العربي «قسر» (بمعنى: أجبر ـ الذي منه «جبّار» = طاغية، حاكم قوي) أدى في اللاتينية إلى caeser التي (عربناها) «قيصر»، وهي العربية أصلاً. واتخذها الإمبراطور «أغسطس» لقباً له، وبهذا اللقب بنيت مدينة في إسبانيا اسمها Caesarea. تحولت بالاختصار والتحريف إلى Zaragoza (وعند العرب: سراقسطة)، ثم صارت في اللسانين الإنكليزي والفرنسي ثم في اللسان الأمريكي المعوج Jersey، ثم اسم ولاية من الولايات المتحدة هي New Jersey أي: قيصرية الجديدة.

فانظر ـ رعاك الله ـ كيف تتبدل وتتحور وتتغير وتنحرف أسماء البلاد حتى تكاد تَخْفَى معالمها وتغمض رواسمها!

ولله في خلقه شؤون!

28

لو مضينا في ملاحقة أسماء البلدان والمواقع في هذا العالم الفسيح لاكتشفنا أن عدداً لا يكاد يحصى منها يحمل اسماً عربيّاً. وقد ذكرنا من قبل أن جزيرة (رودس) معناها في اليونانية «ذات الورود» أو «جزيرة الورد» أعني الوردية، فإذا أزلت سين العَلَمية في «رودس» ظلت «**رود**» وهي بذاتها العربية «**ورد**». . أليس كذلك؟

وغير بعيد من «رودس» هذه هناك جزيرة شهيرة أُخرى هي «قبرص» كما نعرفها. وهي في الإنكليزية cyprus نقلاً عن اللاتينية cyprusوالسين في آخرها للعلمية والأصل cypru أو cypr ـ كما في الاسم بالفرنسية chypre. والباء المهموسة (p) تنطق قريبة من الفاء، وهو الأصل العربي الأول: صفر.

قال في (لسان العرب): «الصُّفر: النحاس الجيد. وقيل: الصُّفر: ضرب من النحاس. وقيل: هو ما صَفّر منه، واحدته صُفرة. والصِّفر لغةٌ في الصُّفر، عن أبي عبيدة وحده. قال ابن سيده: لم يك يجيزه غيره، والضم أجود. . . والصُّفر، بالضم، الذي تعمل منه الأواني».

فما هي صلة «قبرص» بالصُّفر، أعني النحاس؟

أقول لك. لقد اشتهرت هذه الجزيرة بإنتاج النحاس الجيد، ذاك الذي يميل إلى الصفرة لوناً لجودته فيبدو كالذهب الذي يسمى صُفراً

كذلك حتى لينقل ابن منظور قول ابن سيده في شرح بيت من الشعر أنشده ابن الأعرابي:

لا تـعـجـلاهـا أن تَـجُـرَّ جـرّاً
تـحـذُر صُـفـراً وتـعـلّـي بُـرّاً

قال ابن سيده: الصُّفر هنا الذهب، فإما أن يكون عَنِي به الدنانير لأنها صُفر، وإما أن يكون سمّاه بالصُّفر الذي تعمل منه الآنية لما بينهما من المشابهة. (لسان العرب: صفر).

كانت شهرة قبرص بإنتاج النحاس ذائعة منذ أقدم العصور، وكان العرب الكنعانيون الذي احتلوها مدة طويلة إذ هي مرمى حجر من ساحل الشام، يستخرجون هذا النحاس ويخلطونه بالحديد فيكون «البرونز» الذي تصنع منه الأسلحة والتماثيل ويستعمل في شَتَّى الأغراض، فأسموا هذه الجزيرة (ص ف ر ت) أي النحاسية أو: بلاد النحاس/ الصُّفر، كما في العربية تماماً. وعن العروبية الكنعانية والعربية نقلت اللاتينية في صيغة cypr وأضافت إليها سين العلمية فكانت cyprus. على أن حرف (C) في بداية الاسم ينطق في اللاتينية كافاً كذلك، فيكون kyprus. فلما عادت إلى العربية نطق الحرف الأول قافاً والحرف الثاني، الذي كان فاءً، نطق باءً، وتراوح الحرف الأخير بين أن يكون سيناً «قبرس» أو صاداً «قبرص» حتى استقر أن يكون صاداً آخر الأمر.

ملاحظتان (على الهامش).. كما يقال:

الأولى: أننا نستعمل في حياتنا اليومية كلمة «صُفر» في صيغة (صُفرة) و(سُفرة) ونعني بها مائدة الطعام أو صونية الشاي والقهوة وإن لم تصنع من نحاس؛ إذ قد تكون من معدن آخر أو من الخشب. لكن الأصل فيها أنها كانت تصنع من الصُفر.. أي من النحاس. ويُدْعى خادم المائدة (أو: النادل): «سفرجي» أو «صفرجي». والمقطع «جي» أداة النسبة في التركية كما يقال: ساعاتجي (ساعاتي)، قهوجي (قهواجي = معدُّ القهوة).. مثلاً.

والثانية: ما نجده في اللغة الإنكليزية: copper (= نحاس)، والفرنسية cuivre (ويخص النحاس الأصفر بالذات) عربية الكلمتين، وما اشتق منهما: صُفر.

هذه «قبرص» عربية الاسم والأرومة.

فما رأيك أن آخذك إلى بلاد النمسا فأحط بك في عاصمتها التي ننطقها الآن «ڤيينا»؟

حسن. هكذا نعرفها نقلاً عن الإنكليزية. أما عند أهلها ـ الألمان أصلاً ـ فهي wien، ومعناها: خمرة ـ من عصير العنب ـ كما في اللاتينية vinu(m) والإيطالية vino والفرنسية vin والإنكليزية wine وفي الإنكليزية القديمة win. ويبدو أن المعنى الأصلي هو «العنب» الذي يعبر عنه بالخمر، كما جاء في القرآن الكريم في قصة يوسف: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [سورة يوسف: 36] أي أعصر عنباً ليصيح خمراً بعدئذ.

فهل سميت «ڤيينا» (في الألمانية: wein) كذلك لأنها كانت في بداية أمرها مشهورة بإنتاج العنب؟

ولم لا؟ أليس لدينا مدينة في الجزائر باسم «عنّابة» لأنها عرفت بإنتاج العناب.. مثلاً؟

فما أصل هذه الـ «وين» يا ترى؟

يقرر (ماريو پيي) في كتابه «قصة اللغة» (ص238) أن الكلمة اللاتينية vinu(m) مأخوذة عن لغة الأتروريين (الأتروسكيين) سكان إيطاليا قبل الرومان، أو عن لغة (بحر متوسطية) كما يسميها، فهي ليست كلمة هند ـ أوروبية ولا آرية كما يقول. هذا جيد..

فلننظر في مادة (وين) في «اللسان» قال: الوَيْن: العنب. وقد قال ابن الأعرابي إنه العنب الأسود. قال ابن بري: الوَيْن: العنب الأبيض. وأنشد:

كأنه الوَيْنُ إذا يُجنى الوَيْن

فليكن «الوين» عنباً أسود أو عنباً أبيض. المهم أنه «العنب» الذي يعصر فيصير خمراً vinum, vin, vino, wine.. إلخ. في اللغات الأوروبية (وفي اليونانية: oin(es)) وبه سميت عاصمة النمسا (ڤيينا).

ومن النمسا آخذك إلى بلاد الأحباش، عاصمتها (أديس إبابا). ومعناها: النبت الجديد. مكونة من مقطعين: «أديس» (= حديث، أي جديد. قلبت الحاء ألفاً مهموزة (أ) ونطقت الثاء المثلثة سيناً) +

«إباباً» ـ عربيته: الأبُّ ـ بتشديد الباء ـ وهو الكلأ، العشب، النبت.

ألم أقل لك من قبل إن جذور نبتة لغتنا الشريفة تمتد في كل مكان؟

29

إذا ما شد أحدنا رحاله إلى بلاد الإسبان وجاس خلال الديار الأندلسية، أدهشته تلك الآثار الرائعة التي خلفها العرب المسلمون بعد أن عمروها أكثر من ثمانمائة عام أو تزيد، ويزور إسبانيا الملايين من السواح كل سنة ليمتعوا أنظارهم بجمال الآثار العربية الإسلامية هناك. لكن العرب المسلمين لم يكونوا سوى موجة عروبية ثالثة سبقتها موجتان أخريان في القديم من الزمان.. إحداهما تلك التي انطلقت من الشمال الأفريقي في ما يعرف باسم مرحلة (ما قبل التاريخ) وعبرت «العدوة» إلى شبه جزيرة إيبيريا (إسبانيا والبرتغال) وأنشأت ما عرف عند الدارسين باسم (الحضارة الإيبيرية). وهذا هو السبب في ما يوجد من تشابه بين لغة أهل «الباسك» ـ المنطقة المنعزلة في شمال شرق شبه الجزيرة الإيبيرية ـ ولغة أهل الشمال الأفريقي. أما **الثانية** فكانت هجرة عرب بني كنعان من ساحل الشام في الألف الأولي ق. م (بالتأريخ الإفرنجي) حيث استقروا وأنشأوا مدناً زاهرة لا تزال تحمل أسماء عروبية. من ذلك مثلاً مدينة Cadez على ساحل المحيط الأطلسي، وأصلها في العروبية الكنعانية «قدش». عربيتها: قدس. فلنقل: القدس. وهناك Cordova (قرطبة)

وأصلها: قر + طبة = القرية الطيبة. أما (غرناطة) Grenada فيبدو جذرها GRN (ق ر ن) مطابقاً لجذر اسم المدينة الليبية على الجبل الأخضر «قورينا» واضحاً، وقد تعاقبت القاف المعقودة في Grenada والكاف الثقيلة في Kyrene في اللسان اليوناني ويلوح لي أن الأصل في التسميتين هو الجذر العربي «قرن» الذي يعني «الجبل».. فالمدينتان كلتاهما مبنيتان على رأس جبل. قال صحب (لسان العرب): القَرنة = الطرف الشاخص من الجبل، والقَرْن: حدٌّ رابية مشرفة على وهدة صغيرة، والمقرَّنة: الجبال الصغار يدنو بعضها من بعض. قال الهذلي:

وَلَــجِــي إذا مــا الــلــيــل جَــنَّ

عــلــى الــمــقــرَّنــة الــحــبــاحــب

أراد بالمقرَّنة إكاماً صغاراً مقترنة.

وأما المقطع da في اسم Grenada (غرناطة) فهو زائدة يونانية/ لاتينية تفيد الصفة أو النسبة، تقابل العربية «ذو»، أو تاء الإشارة للمؤنث، ألحقت بالجذر GRN فكانت Grenada. أو لعلها تاء التأنيث التي كانت تنطق قديماً (قرنت = قُرنة) حرفت إلى Grenada.

آه.. تذكرت. أتدري أن في الجبل الأخضر غير بعيد من «قورينا» مكاناً يدعى في لهجتنا الليبية «قرنادة»؟ إنه هو ذاته (غرناطة) أو Grenada الأندلسية بالضبط. وأرجو أن يكون الأمر اتضح.

وهناك Malaga التي عرفها العرب المسلمون في صيغة (مالقة) ـ وينسب إليها في لهجتنا «المالقي». . الكأس الكبيرة للشراب وصب الماء. ويبدو أن اسم المدينة التي تقع على ساحل الأندلس الجنوبي مأخوذ من كونها أنشئت على صخرة عند الشاطيء. وفي العربية: الملق = الصفوح اللينة الملتزقة من الجبل. والملقة: الصفاة الملساء، والآكام المفترشة. هذه هي «ملقا» (مالقة) الأندلسية ذاتها.

لكن ما رأيك في (مدريد). . عاصمة بلاد الإسبان اليوم؟

فلأحدثك قبلها عما شاهدت وسمعت في برنامج مرئي ذات ليلة قدم فيه ممثل فكاهي سوري خفيف الظل أسماء جملة من البلدان ساخراً، فقال عن «لوزان» الفرنسية إنها سميت كذلك لأن رجلاً زرع شجرة لوز فأنتجت نوعين من اللوز أحدهما حلو والآخر مُرّ فصاح: لوزان مختلفان من شجرة واحدة؟ فسميت «لوزان». أما عن «مدريد» فقال إن عربياً سائحاً قابل عربياً سائحاً مثله من أهل الخليج فسأله: ما اسم هذه المدينة يا أخي؟ فأجابه صاحبه: ما أدري! فسميت «ما أدري» ثم صارت «مدريد». . يا عجب!

هذا ـ بالطبع ـ هراءً ولغو، ومزحة يراد بها الإضحاك ولا تصمد أمام البحث الجاد الرصين.

غير أن الحقيقة تقول إن اسم «مدريد» عربي الأصل، ولكن لم يكن «ما أدري» بالطبع. أصله ـ إن رمت أن تدري ـ هو «مجرى»، وعرفت عند العرب في صورة «مجريط». وتنطق الجيم دالاً فيكون

«مَذْرَى». وكثيراً ما تبدل الجيم دالاً. ففي لهجتنا نقول عن البخيل الضانّ بما لديه: فلان دشاع، أي: «جَشِع». ونسمي الجَشَع: «الدّشع». وفي صعيد مصر يقول أهله: دردا = (اسم مدينة) جرجا. والديش = الجيش. والدامع = الجامع.. إلخ.

فإذا تذكرت معي أن Malaga (مالقة) أصلها العربي «ملقة» = الصخرة الملساء، وأن Grenada (غرناطة) أصلها العربي: «قُرنة» أو «قَرْن» أضيف إليه المقطع da في اللاتينية، وهما تسميتان منبثقتان عن مظهرين طبيعيين هما الصخر والجبل، أدركت أن مظهراً طبيعياً آخر أطلق على مدينة إسبانية ثالثة هو مجرى النهر الذي أسست عليه كلمة «مجرى» صارت بالإبدال «مَذْرَى» (مَذْرا) وأضيف إليها المقطع da فكانت «مَذْرَدا» وتحرفت إلى «مدريد» Madrid التي نعرف.

هل تبغي دليلاً آخر؟

لا بأس. فكلنا يعرف وادي «مجردة» التي تتجمع مياهه من الجزائر ويجرى في البلاد التونسية. ولا شك في أن أصل التسمية هو **«مجرى»** فإذا نطقت الجيم دالاً كان «مدرى» < «مَذْردا». ويبدو أن المقطع «دا» في «مجردا» (مجردة) مضاف كما أضيف إلى «مجرى» مدريد.. حذو النعل للنعل كما يقال.

فماذا عن «روما» عاصمة الرومان والطليان؟

ذاك أمر له حديث..

30

تعتبر العاصمة الإيطالية (روما) ثاني أقدم العواصم الأوروبية بعد (أثينا) في بلاد اليونان. وكان لها في التاريخ أكبر الأدوار بداية من القرن الثالث ق. م (بالتأريخ الإفرنجي)، وأسبغت اسمها، بعد نموِّها، على الأقوام التي كانت تقطن شبه الجزيرة الإيطالية فعرفوا ـ دون تمييز ـ باسم «الرومان» أو «الرومانيين»، وعرفهم العرب باسم «الروم» جمع «رومي» وحتى باسم «الأروام»، وأطلقت التسمية على البيزنطيين الذين لم يكونوا روماناً بل أغارقة في أغلبيتهم الشاملة. وكانت «روما» ممثلة للصدام الحضاري التاريخي بين الوجود الأوروبي في شمال البحر المتوسط والوجود العربي على ساحليه الجنوبي والشرقي على حد سواء.. منذ أيام «حنبعل» إلى عصر الفتح الإسلامي، وما تلاه من الأزمنة والعصور. وهي كانت ـ ولا تزال ـ مقر الكرسي البابوي في «الفاتيكان»، ومركزاً مهمّاً من مراكز السياسة والاقتصاد وأوجه الحضارة على وجه العموم.

ورغم هذا كله، ومع هذا كله، فاسم «روما» ـ التي تذكرها المصادر العربية في صورة «رومية» ـ ليس روميّاً.. أعني أنه ليس رومانيّاً ولا لاتينياً. إنه اسم عربي في أساسه.. أعني في «أرومته» الأولى.. وسيظل.

كيف؟ من أين لك هذا؟.. أسمعك تقول. فمهلاً ولتطق معي صبراً بالله عليك!.

فلأوضح أولاً أنني لست الذي أصدر هذا الحكم، لكننا نجده في: (Etymologique Dictionnaire de la Langue Latine) (معجم اللغة اللاتينية التأثيلي) لصاحبيه Mellet et Ernout «مييه» و«إرنو» الذي ورد فيه أن اسم «روما» Roma ليس لاتينياً و«لعله ذو أصل إتروسكي».

هنا لا بد أن أبيِّن ما معنى الأصل «الإتروسكي» للتسمية الذي أشير إليه. والتاريخ يخبرنا بأنه لم يكن في شبه الجزيرة الإيطالية لاتينيون قبل القرن السادس ق. م. وكان يعيش في روما وما حولها في مساحة كبيرة من شبه الجزيرة قوم عرفوا باسم: «الإتروسكيين» أو «الإترورييين» ذوو حضارة عظيمة سامقة، لا تنتمي لغتهم إلى ما يسمى مجموعة اللغات (الهندية الأوروبية)، بل هي ـ كما يقرر الباحثون ـ لغة عروبية قال بعضهم إنها لغة شمال أفريقيا وقال آخرون إنها كنعانية الأصل، ولم يشيروا إلى القاسم المشترك بين اللغات العروبية، أعني العربية. وقد أدى البحث في لغة العروبيين الإتروسكيين إلى اكتشاف عروبتها الجلية.

المهم. . مع مرور الزمان جاءت قبيلة آرية صغيرة مهاجرة إلى إيطاليا وحطت رحالها غير بعيد عن روما في مكان يدعى (لاتيوم) ـ ولعل الكلمة محرفة عن العربية «تل» (تلٌّ) مقلوبة قلباً مكانياً. وقد نمت هذه القبيلة وعظمت وقويت، حتى تمكنت في القرن الخامس ق. م من السيطرة على شبه الجزيرة وأنهت الوجود العروبي الإتروسكي، وبدأت حضارة اللاتين الذين اتخذوا من «روما» عاصمة

لهم بعد أن كانت قرية صغيرة على نهر «التيبر». وقد أثرت حضارة المغلوب في الغالب تأثيراً عظيماً، وهذا هو السر في وجود مئات، بل آلاف المفردات العروبية/ العربية في اللغة اللاتينية. إنها مفردات عروبية/ إتروسكية نقلها اللاتين، الذين صاروا يدعون «الرومان» إلى لغتهم البدائية الفقيرة.. ومن جملتها اسم القرية التي أصبحت عاصمتهم.. روما.

فلننظر في الجذر المكون لهذا الاسم.. الراء والميم (رم RM) ولا عبرة بما طرأ عليه من تحريف النطق؛ فهو Roma عند الطليان وRome عند الإنكليز والفرنسيين (مع نطق الراء غيناً) وRom عند الألمان وRzym لدى البولنديين وRooma لدى الفنلنديين.. و«رومية» عند العرب الأقدمين.

هذا الجذر (رم) نعثر عليه في البداية في اللغة المصرية القديمة منذ عصور الفراعنة في صورة «رمء» بمعنى: مرتفع، عالٍ (معجم بدج.. ص424). وفي لغة العرب الكنعانيين: «رم» = بنى، شيّد، رفع (فريحة؛ ملاحم وأساطير من أوغاريت.. ص628). ويسبق بتاء ويلحق بميم الجمع (ت ر م م) = الأساسات، الركائز التي يقوم عليها البناء (نفس المصدر، ص606). وتقارن بالعبرانية «رُوْمْ» rôm بذات المعنى: بنى، شيد، رفع، عَلَّى.

وجميع ما ذكر متصل بالقرية، أو المدينة، التي توضع أُسس بنيانها، وتشيَّد أركانها، وترفع وتعلَّى جدرانها. فالجذر (رم) ـ الذي منه اسم «روما» ـ قديم في العروبية، بل بالغ القدم. وهو يفيد البناء.

ويبدو أن هذا الجذر دخل اللغة القوطية (rûm) ومنه الإنكليزية التي نعرف: room بمعنى: غرفة، حجرة.. والمعنى الأصلي: مبنى. ويمكنك أن تسمعه في تعبيرات من مثل room-service (خدمة الغرف ـ في الفنادق) وroom-mate (زميل الغرفة أو الشريك فيها) وcoffee-room (غرفة القهوة).. إلخ.

فماذا عن العربية؟.

صحيح. ماذا عن العربية؟

من الجذر الثنائي (رم) جاء الثلاثي «أرم» وفيه ورد: الأُرومة (بضم الألف المهموزة) ويقال في لغة تميم «أَرومة» (بفتحها): الأصل ـ أي الأساس، للبناء، وغيره. وجمعها: أُروم. والإرَم والأرِم: الحجارة ـ التي يُبني بها.

وعن معني الارتفاع، كارتفاع المباني، جاء في مادة: «ريم» (ثلاث «رم»): الرِّيم: الجبال الصغيرة.

قال: «وفي الحديث ذكر (إرم) ـ بكسر الهمزة وفتح الراء الخفيفة، وهو موضع من ديار جُذام أقطعه سيدنا رسول الله ﷺ بني جعال بن ربيعة». قال أيضاً: «رُوام» و«رامة» موضعان.

وهذه كلها تشبه أن تكون «روما» بذاتها.

فهل ننسى «إرم» التي جاء ذكرها في القرآن الكريم: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۞ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ [سورة الفجر: 7و8]؟.

إنها اسم مدينة كانت لعاد، كما كانت «روما» (ولعل أصل

التسمية هو «إرم») للعروبيين الإتروسكيين في شبه الجزيرة الإيطالية، قبل أن يزحف عليها اللاتين ويُعرفوا بالنسبة إليها: الروم أو الرومان.

31

هل أنت ـ يا صديقي ـ رياضي ممارس؟ أم أنك رياضي هاوٍ؟ أم تراك مجرد متفرج (من بعيد لبعيد) على مختلف أنواع الرياضة البدنية ومتنوع أشكالها وحركاتها؟ أو لعلك مثل الكاتب الإيرلندي الشهير «جوْرج برنارد شو» الذي بلغ السابعة والتسعين من الأعوام، وكان يقول ساخراً: لقد قضيت نصف عمري أزاول رياضة المشي.. خلف جنائز أصدقائي الرياضيين؟!

يا لطيف!

لكنك دون جدال، سمعت عن هذه (الرياضة) التي تخصص لها صفحات الصحف والمجلات وتعين لها البرامج في الإذاعات، وتملأ الدنيا ضجيجاً ما بعده من ضجيج. وطرقت سمعك كلمات تتردد واصطلاحات تتكرر. بعضها أجنبي الجرس وبعضها عربي أو معرَّب، أو هو مترجم إلى العربية.. على الأقل. سمعت ـ طبعاً ـ هتاف الجماهير وهي تزأر: «ڭول!» حين يركل الكرة النطاطة راكل يوجهها صوب مرمى الخصم، بعد أن يراوغ ويداور اللاعبين، فتستقر في شبكة المرمى ويصيح واصف المباراة: «ڭول.. ڭول! يا سلام. هدف. إي والله.. هدف!» ـ ويعلو الهتاف حتى لتنشق الحناجر، في لعبة «كرة القدم» تلك.

وقد عربنا كلمة «كُول» goál الإنكليزية إلى العربية «هدف» وجمعناها «أهداف» (بينما كنا نجمع «كُول» على «أكْوال») ووصفنا قاذف الكرة ليحقق هدفاً بأنه «هدَّاف». وهذا كله جميل. لكن ما رأيك في أن goal هذه ذات مكافىء عربي ربما غُفل عنه فاستُنكر وحسب من كلام الأعجمين؟

وأحسب أن الأمر في حاجة إلى بيان.

يعرِّف (معجم أكسفورد) الإشتقاقي كلمة goal بأنها تعني: النقطة التي تعيِّن نهاية السباق، المكان الذي تدفع إليه الكرة في لعبة كرة القدم ونحوها. الحد أو **الطرف** (في الإنكليزية الوسيطة gol). ويقرر أنها دخلت اللغة الإنكليزية في القرن السادس عشر (إفرنجي) فقط. قبل هذا لم تكن موجودة في تلك اللغة. قال: وهي مجهولة الأصل.

هكذا إذن: «مجهولة الأصل».. عندهم. أما عندنا فهي عربية الأصل، نجدها في مادة (غول) في (اللسان) الذي قال فيه صاحبه: «الغَوْل؛ بُعد الأرض، **وأغوالها**: **أطرافها**.. يقال: ما أبعد غَوْل هذه الأرض، أي ما أبعد ذَرعها، وإنها لبعيدة الغَوْل». أي أنها بعيدة الغاية والحد والطرف، بعيدة الهدف. ويضيف ابن منظور في نفس المادة نقلاً عن ابن خالويه قوله: «أرض ذات غوْل بعيدة وإن كانت في مرأى العين قريبة». وهذا بالضبط هو حال مرمى الكرة، يراه اللاعب قريباً لكنه بعيد عنه جداً بما يجده أمامه من المدافعين الأشاوس، وهيهات له أن يصل إلى هدفه، أعني إلى «غَوله» أو «كُوله».. سيان!.

في جيلنا ـ قبل انتشار التعريب ـ كنا نسمي مرمي الكرة «بورتا». هذا في الشق الغربي من البلاد، أما في الشق الشرقي فقد كان يدعى «**الباب**» وهي الترجمة الحرفية لكلمة porta الإيطالية ومنها portiere (حارس المرمى، حارس الباب. حرفياً: البوّاب). بيد أن كلمة porta هذه في الإيطالية الآخذة عن اللاتينية porta كذلك، جاءت من اللغة العروبية المصرية القديمة «پ ر. ت» pr. t وتعني: الباب. أما معناها الأصلي فهو: محل الخروج، المخرج، مكان الظهور أو البروز إلى الخارج.. أعني إلى «**البرّ**» الذي يعني الخارج، ضد الباطن. وهذا ما نجده في العربية في مادة (برر) ومنها: البرُّ. يقال: خرج فلان برًّا ـ أي برز. وقد حرفت «برًّا» المنوّنة في صيغة التنكير في الدارجة إلى «**برّه**». وتفعل في لهجتنا فيقول القائل لصاحبه: «برّه امشي»» و«برًّا له» أي: أخرج إليه. و«برّه للمحل الفلاني» أي: امض واخرج إلى المحل الفلاني.. إلخ. فمن قال إن «**بورتا**» ليست عربية الأصل فليراجع ما سبق!.

وقريب من هذا ما كنا نعرفه من مصطلح في لعبة كرة القدم باسم «**فُوْرِي**» fori (من الإيطالية ـ طبعاً) ويدعى اليوم «رمية تماس» ـ خارج الملعب. «فُوْرِي» هذه هي ذاتها «**برّه**» أو «**برًّا**» بعد أن عوجها الطليان من بعد الرومان الآخذين عن لسان العربان.

وإذا كنا لا نزال نركض في ميدان كرة القدم الفسيح فإننا نسمع أحياناً كلمة «**بينالتي**» ومعناها ـ فيما أفهم ـ ضربة جزاء أو ركلة حرة للكرة دون مزاحمة الخصم، وهي في الإنكليزية penalty، وذات

صلة بكلمة punish (يعاقب) وpunishment (عقاب) من جهة، وبكلمة pain (ألم، وَجع) من جهة أُخرى. ولا شك في أن العقاب سيكون مؤلماً، لاسيما إذا ركل اللاعب كرة ركلة مليحة فحقق هدفاً، أعني «غوْلاً» أو «كُولاً».. إن شئت.

هذه الكلمات الثلاث (pain, punish, penalty) جاءت من اللاتينية paena التي نقلت بدورها عن اليونانية paina بمعنى: عقاب، تأديب، تعزيز. أي جزاء المرء عن سيئة أتاها. وهو ما يذكرنا بما في مادة (أبن) العربية. أَبَنَ الرجلَ: اتهمه وعابه ـ ولا يكون الاتهام إلا عن خطأ كما لا يكون العيب إلا عقاباً عن ذلك الخطأ.

وثمة تعبير آخر يطلق حين تنفلت الكرة من يد حارس المرمى إلى ما وراء ظهره أو يدفعها أحد اللاعبين هناك، هو **«كورنر»** corner الإنكليزية، ونسميها الآن **«ركنية»** وقد تكون corner هذه (وهي من corn) مقلوب العربية «ركن». غير أن الأدق أن corn تكافىء العربية **«قَرْن»** التي تطلق على الزاوية من جدران البيت أو زاوية أي ضلعين متلاقيين، كما هو حال زاوية ملعب الكرة.. قائمة كانت أو حادة أو حرجة. ومبعث الحرج هنا أن يفلح الخصم في التقاط «الركنية» (لنقل: القرنية أو «الكورنر») فيدفعها اللاعب الماهر بقدمه أو بهامته لتنقذف في مرمى خصمه وتهز شبكته، كما يعبر الواصفون. ويرتفع الهتاف مدوّياً: «كول!».. فقد حقق اللاعب «الغُول» المطلوب من «الغَوْل».. وتم الهناء!

32

في أوائل السبعينيات من هذا القرن تمكن فريق صغير من لاعبي «البنك بونك» مكون من بضعة أفراد، من أن يربط الصلة السياسية والاقتصادية بين دولتين ذواتي شأن هما الولايات المتحدة والصين يوم زار الفريق الأمريكي العاصمة الصينية (بيجين) التي كانت تدعى (بكين) ليلاعب فريقاً صينياً في أول زيارة أمريكية رسمية لتلك البلاد منذ انتصار الاشتراكية فيها على يد زعيمها (ماوتسي تونغ). فتحت بعدها الأبواب الموصدة، وشرعت النوافذ المغلقة ورفعت السُّتُر المسدلة. . وكان ما كان.

وظني، والله أعلم، أن نجاح الفريق الأمريكي هذا النجاح الباهر ربما كان راجعاً إلى اسم اللعبة «بنك بونك» وليس لمهارة الفريق وبراعة أعضائه. فإن التسمية تبدو أقرب ما تكون إلى مفردات اللغة الصينية التي نسمع منها ما يشبهها من مثل (تونغ) في اسم الزغيم (ماوتسي تونغ) أو في اسم «سونغ» واسم الجزيرة «هونغ كونغ». . إلخ. ولعل الصينيين ظنوا أن «بنغ بونغ» هذه جاءت من لغتهم، ففرحوا فرحاً شديداً ورحبوا باليانكي أيما ترحيب!.

لكنهم ـ للأسف ـ مخطئون. فهذه اللعبة التي نسميها نحن (كرة الطاولة) أو (كرة المضرب) جاء اسمها محاكاة لصوت الكرة اللدائنية الصغيرة يتبادلها لاعبان، أو أربعة لاعبين، بمضارب خشبية أو مطاطية على المنضدة تفصلها شبكة، فيسمع لضربها صوت: بنغ. . بونغ. . بنغ. . بونغ. . فسميت كذلك.

ولها اسم آخر في الإنكليزية تعرف به هو table tennis ـ وكثيراً ما نسميها نحن «**تنس الطاولة**». والكلمتان ـ على كل حال ـ ذاتا صلة بالعربية. . وإن بَعُدت على مر الزمان.

لنأخذ أولاً كلمة table في الإنكليزية، وهي في الإيطالية tavola وعنها نقلنا في صورة «طاولة». وهي ترجع إلى اللاتينية tabula الآخذة عن اليونانية tabella, tabla. فهي كلمة مستعارة في لغات الفرنجة، بما فيها اليونانية حسبما يقرره المعجم الإشتقاقي للغة اللاتينية (ص673). فمن أين تأتي الاستعارة إن لم تكن من العربية الشريفة؟

فلنوضح أولاً أن «الطاولة» (أو: المائدة. . إن شئت) كانت في بداية الأمر مستديرة الشكل، وليست مربعته أو مستطيلته. . تماماً كما هو حال «الطبلة» أو «الطبلية» أعني الخوان الذي يقدم عليه الطعام في أيامنا هذه، ونسميه أحياناً: «الصفرة». وكذلك كان يفعل اليونان والرومان كما يظهر من الصور والرسوم التي خلفوها لهذه الـ table أو الـ tabella أو الـ tabula. ثم تحول الشكل الدائري إلى شكل بيضوي. فرأيناه في لوحات عصر النهضة الأوروبية يحيط بها إطار بيضوي يدعى في الفرنسية tableau ونقلها الفنانون العرب كما هي: «تابلوه» وجمعوها «تابلوهات».

أما الأصل العربي الأول فهو في مادة (طبل) ومنه اسم «الطَّبْل» الذي دعي كذلك لاستدارة شكله، وفي لهجة عرب مصر «طبلة» ـ وهي التي نعرفها باسم «الدربوكة» ـ وتدعى في بعض الأقطار العربية

«دربكّة» لأنها تدربك بصوتها، أو يُدَرْبَك بها، فتحدث دربكة مربكة.

(طبل) العربية صارت: في اليونانية tabla وفي اللاتينية tabula ومنها الإنكليزية table والفرنسية table والإيطالية tavola.

باهي؟

جيد. فلنمض إلى «تِنِسْ» tennis. وقالت معاجم الفرنجة إنها من الفرنسية القديمة tenez (= خذ، استلم). غير أن باحثاً جاداً سفّه هذا القول، وحقق المسألة واتضح له ـ بعد التنقيب والفحص والدرس ـ أن التسمية تعود إلى اسم بلدة مصرية قديمة (ولا تزال حتى الآن) كان اسمها «تانيس» tanis وعرفت في المصادر العربية باسم «تَنس» وينسب إليها عدد من العلماء بلقب «التنسي». هذه البلدة اشتهرت بإنتاج نوعٍ فاخر رقيق من القماش نسب إليها (تنسي). فإذا علمت أن كراتِ «التنس» تغطى عادةً بطبقة رقيقة من نسيج خاص ذي وبر، أدركت الصلة بين بلدة «تنس» (تانيس) وكرة «التنس».. أعني «التنسية».. ولا تثريب.

هل تريد، يا أخي، قرينة أو دليلاً يدعم ما نذكر؟

لا بأس..

إننا ـ في بلادنا ـ كنا نعرف هذه اللعبة ممثلة في كرة صغيرة يتقاذفها فريقان يداً بي، كل يحاول التقاطها فيرميها إلى أحد صحابه. نحن نسميها كرة (الشاش). فلماذا (الشاش) يا ترى؟

(الشاش) ـ يا رعاك الله ـ اسم نوع من النسيج خاص كان معروفاً من قديم الزمان، ولعله كان ذا وبر ـ كما هو حال نسيج تنس ـ تصنع منه «الطاقية» المنتشرة في ليبيا وتونس غطاء أحمر للرأس يُدعى (الشاشية) نسبة إلى (الشاش) ومن هنا جاء التعبير عن مودة الصديقين الحميمين «راسين في شاشية» مساوقة لتعبير أبن منصور الحلاج» نحن روحان حللنا بدناً». لكننا نعرف «الشاش» الآن، في لهجتنا المتطورة، باعتباره ذاك النسيج الطبِّي يلف على الجروح تضمد به حتى تبرأ. . بإذن الله.

أرأيت أن الـ table tennis لا تخرج عن العربية بحال؟

فهل سمعت بـ «الجمباز»؟

إنها لعبة تعتمد على مرونة الجسم وقدرة صاحبه على النط والقفز والالتواء والانحناء. تكتب بميم بعد الجيم (جمباز) أو بنون بعد الجيم (جنباز). . والثانية أصوب. لماذا؟ تسألني.

نعم. . لماذا بالنون وليس بالميم بعد الجيم؟

لأن أصل الكلمة فارسي وهو «**جان باز**». والمعنى ـ صدق أو لا تصدق ـ هو «**المخاطر بروحه**»!. هكذا يقرر محمد موسى هنداوي مؤلف «معجم الفارسية». (والعهدة عليه).

وحقاً. . إنه «المخاطر بروحه» ذاك القفاز النطّاط النقّاز في لعبة «الجنباز»!.

33

لأنواع الرياضة البدنية أدواتها وأهبتها، ولها مصطلحاتها وتسمياتها. هناك ـ على سبيل المثال ـ لعبة تسمى «**الراكيت**» racket تشبه لعبة «التنسية» ـ أعني «التنس» وتخالفها في أنها تدور بين اللاعبين المحصورين بين جدران أربعة وليس في الفضاء الرحيب. وقد جاءت التسمية في اسم المِضرب الذي تتقاذف به الكرة المسكينة(racket في الإنكليزية وraquette في الفرنسية وracchetta في الإيطالية). ولا تختلف معاجم الفرنجة في إعادتها إلى العربية «**راحة**» (راحت ـ بنطق تاء التأنيث) أي «راحة الكف» التي تمسك بمقبض المضرب.

هذه واحدة. وفي لعبة الملاكمة الوحشية، تلك التي يتضارب فيها شخصان فيدق أحدهما أنف الآخر، أو يدق عنقه، أو يحطم يأفوخه (بالضربة القاضية) يتخذ اللاعبان كُفوفاً من جلد حول قبضاتهم ـ تخفيفاً للضرب الموجع، كما قالوا. وهي تسمى عندنا: القُفّازات، واحدها: قُفّاز. وقد جاء ذكرها في (اللسان). قال:

القُفّاز، بالضم والتشديد: لباس الكف. وهو شيء يُعمل لليدين يحشى بقطن ويكون له أزرار تُزَرَّرُ على الساعدين من البرد، تلبسه المرأة في يديها، وهما قُفَّازان.. وأنشد:

قــولا لــذات الــقُــلْــبِ والــقُــفَّــاز

أمــا لــمــوعــودك مــن نَــجــاز؟

وفي الحديث: لا تنتقب المحرِمة ولا تلبس قُفَّازاً. وفي رواية: لا تنتقب ولا تَبَرقَعْ ولا تَقفَّز.. والقُفَّاز: شيء تلبسه نساء الأعراب في أيديهن يغطي أصابعها ويدها من الكف.. والقُفَّازان تقفَّزهما المرأة إلى كعوب المرفقين فهو سترة لها.. والقُفَّاز يتخذ من القطن فيحشى بِطانةً وظِهارة، ومن الجلود واللبود.

فأنت ترى أن المرأة العربية/ الأعرابية عرفت القُفَّاز قبل أن تدري به بنات الروم والإفرنج. على أن ما يلفت النظر ما ورد في بيت الشعر المذكور: قولا لذات القُلْب والقفاز.. وقد فسرت كلمة «القُلب» بأنها تعني: سوار المرأة. ألا تجد هذه اللفظة «قُلب» قريبة من الإنكليزية glove ـ التي تعني «قُفّاز»؟

إنني ـ وحياتك ـ لأجدها كذلك. فإن لم تكن هي ذاتها فهي على صلة بالجذر العربي (**غلف**) ومنه «غلاف». والغلاف: ما غطى الشيء وستره، كما هو حال الـ glove بالضبط.

كنا منذ زمن نعرف القفاز باسمه الإيطالي «ڠوانطي» guanti وهي صيغة جمع، باعتباره قفازين (فالقفاز الواحد لا يدفيء كما أن اليد الواحدة لا تصفق). وهو في الفرنسية يكتب «ڠانت» gant وينطق «ڠا» ga (فماذا تقول للفرنسيين الذين يبتلعون ثلاثة أرباع الكلمة فلا تكاد تعي ما يلغون؟!). ولا تفسير لأصلها في معجم تلك اللغة، بيد أني أجدها قريبة من الإنكليزية knot (تنطق كافاً في القديم (كْنُتْ) ثم حذف نطق الكاف فصارت «نُتْ») ومعناها: عقدة، ربطة.. كما في لهجتنا الليبية: كْنط»/ يكْنط/ كْنطة/ مِكْنوط..

إلخ. وقد ورد في (لسان العرب) تحت مادة (قنط) أن القُنوط: أشد اليأس من الشيء. قال: «وفي حديث خزيمة في رواية: وقُطَّت القِنطة، قُطَّت: أي قُطعت، وأما القَنِطة قال أبو موسى: لا نعرفها». فلو درى أبو موسى بما في الدارجة الليبية «كُنُّوط السِّلك» مثلاً لأدرك أن «القَنِطة» هي العقدة المحكمة أو «العقدة الطرشاء» (المقفولة) كما نسميها، قُطَّت، أي قطعت، فانحلت.

بعد هذا نقول: لعل الفرنسية gant والإيطالية guanti أطلقت على القفاز لأنه يُربط أو يُقنط (يُكْنط) حول الكف قنطاً جيداً ـ تماماً كما هو حال الإنكليزية knot (بنطق الكاف في أولها).

ومن طرائف تداخل الألسن واللغات ما نسمعه في لهجه عرب مصر: «بِلْية»، وهي التي نسميها في لهجتنا «بَطْشة» (بالطاء) أو «بَتْشة» (بالتاء).. تلك الكريات الصغيرة من صُلب أو زجاج يلعب بها الصبيان. وهي من الفرنسية billiards ونعرفها في لعبة (البلياردو) التي يبدو أنها لم تعرَّب حتى الآن، أو أنني أجهل تعريبها.. وفوق كل ذي علم عليم. أما «بطشة» في الدارجة الليبية فيبدو أنها من الإيطالية bacci وهي صيغة جمع لكلمة bacca بمعنى «حبة» كحبة العنب ونحوه، مما يشبه «البطش» (جمع «بطشة»).

ومن ضروب الرياضة الباهظة التكاليف المرتفعة النفقات رياضة الخيل، عدواً في السباق أو قفزاً للحواجز. وقد سمعنا عمن اشترى فرساً بستة ملايين من الدولارات الأمريكانية، فلو قيل له تصدَّق بعشر هذا المبلغ لملجأ أيتام مقر عجزة لأبى. والخيول تحتاج إلى

«سايس» (وهو في الإنكليزية يدعى cyce أيضاً نقلاً عن العربية). وسياسة الخيل، أعني ترويضها وتدريبها وإعدادها، في تلك اللغة dressage كما هي في الفرنسية، فخيول بريطانيا كانت ـ ولا تزال ـ قبيحة المنظر منتفخة البطن قصيرة القوائم، يغطي حوافرها الشعر الكثيف، لا تفيد فيها سياسة ولا تدريب.

ونحن نجد كلمة dressage (وأصلها dress من الفرنسية /dress er) قريبة من العربية «درَّب» أو «درَّج». كلا.. بل نجدها في مادة (درس) بالذات. قال ابن منظور: «درست الكتاب، أدرسه درساً، أي ذللته بكثرة القراءة». (وكذلك الحال في تذليل الخيول).

وقال: «والدُّرسة: **الرياضة**». (كما هو حال الحصان حين **يروَّض**، أعني يذلل، ويدرب dressé (dressage/ dresser) وهي الصيغة الإسمية من المصدر dress = العربية: درس < درّس).

فهذا هو ذاك.

34

إذا ما عَنَّ لأحد أن يعاتب صاحبه على هلعه وينبهه إلى نتائج تكالبه على جمع الأموال وخزن ما أمكنه انتهابه بأي سبيل، ردَّ عليه قائلاً: يا أخي! لقد قال تعالى في كتابه العزيز ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [سورة الكهف: 46]. وينسى، أو يتناسى بقية الآية الكريمة: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [سورة الكهف: 46]. صدق الله العظيم.

لكن هذه سنة الحياة. فقد كان المال منذ بداية الحضارة الإنسانية هدفاً وذريعة، غاية ووسيلة في الوقت نفسه. والمال كلمة تطلق على ما امْتُلِك من أي شيء، عقاراً وأنعاماً ومعادن ثمينة وما إليها بسبيل. ثم خصت النقود في مختلف أشكالها وتنوع قيمتها.

وقد يبدو أن كلمة «مال» مكونةٌ من مقطعين: **«ما»** بمعنى «الذي» + **«ل»** (لام الملكية) ـ والملكية غريزة من غرائز الإنسان. ثم يضاف الضمير: مالي، مالُك، مالُه، مالهم. وجمعت على «أموال». هذا جائز. غير أني أجد صلة بين العربية «مالٌ» والإنكليزية money ـ بتعاقب اللام والنون ـ وقد خصت «النقود» (والنقود ـ بالمناسبة ـ جمع «نقد» وهو سمي نقداً لأن من العادة، في القديم، أن «ينقد» المرء وحدة العملة المعدنية قبل الرضا بها، أي يتفحصها ويتأملها ليرى إن كانت صحيحة أم هي زائفة رديئة).

كلمة money الإنكليزية يؤثلها معجم أكسفورد الإشتقاقي إلى اللاتينية moneta وهو اسم معبودة لاتينية صُكّت النقود في معبدها بروما أول ما صُكَّت. وقد نقول إن **«مونيتا»** هذه تقابل المعبودة العربية **«مناة»** وهي «مناة الثالثة الأُخرى» إلى جانب «اللات والعزّى» التي ذكرها القرآن الكريم ـ لولا خشية الشطط. فلنراجع، إذَنْ، معجم اللاتينية الإشتقاقي ذاته فإن لديه الخبر اليقين. قال في الصفحة (412) منه: إن **«مونيتا»** اسم المعبودة الرومانية ذا الصلة بالنقود أصله mones ـ بمعنى: يحسب، يفكر ـ من ناحية وبالفرنسية monnaie (مال، نقود) من ناحية أُخرى. **وهو ذو أرومة كنعانية**. هكذا

بالنص. والكنعانية لغة عروبية صميمة، ورد في نصوصها المكتشفة في «أوغاريت»: م ن ي = عدَّ، حسب، و: م ن ت = العدُّ، النصيب، الحصة. ونجدها في السريانية mena بنفس المعنى، وكذلك في العبرانية menah (فريحة؛ ملاحم وأساطير... ص672). ونقلها اليونان في صورة mina وكانت إحدى وحدات عملتهم على مر الزمان.

والعربية؟

لننظر في مادة (مني) نجد: المَنا = الكيل أو الميزان، وقد يكون من الحديد أوزاناً، وتثنيته: مَنَوان ومَنَيان، والجمع: أمناء، وبنو تميم يقولون: منٌّ ومنّان وأمنان. وهو مِنِّي بِمَنَى ميل أي بقدر ميل.

وفي مادة (منن) جاء: المنُّ لغة في المَنا الذي يوزن به، وهو رطلان. قال ابن سيده: المنُّ = كيل أو ميزان.

هذا ما ورد في (لسان العرب). ونحن نعرف أن النقود كانت «توزن» وزناً في الزمان القديم، وتقدَّر تقديراً، كما أنها تحسب حساباً وتُعدُّ عداً، من هنا نجد في مادة (منن): مَنٌّ = حَسَب. وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [سورة القلم: 3] جاء في التفسير: غير **محسوب**. قال: والمنون من النساء التي تُزوَّج لمالها فهي أبداً تَمُنُّ على زوجها (أي تحسب وتعدِّد ما ينفق من مالها). والمنّانة كالمنون. وقال بعض العرب: لا تتزوجن حنّانة (أي شكاءة

بكاءة) ولا منّانة (تلك التي تعدِّد أفضالها وفضائلها وتحسب على الزوج حركاته وسكناته).. ولقد صدق! وقال أيضاً: والمِنَّة = العطيَّة. ويمكننا هنا أن نذكر الإنكليزية many (كثير) رغم أن معجمها الإشتقاقي يعيدها إلى الجرمانية manag (فلنقارن، رجاءً، العربية «منح» = أعطى) فإننا نلمح في العطية الكثيرة معنى **«المنّ»** أي الحساب والتقدير.

في لغات الفرنجة دخلت مفردات عربية كثيرة في عالم المال. من ذلك مثلاً **«خروب» التي صارت** carob و**«قيراط»** (karat) وهما وحدتا وزن للمعادن الثمينة، والذهب خاصة. وفي الإنكليزية كلمة sequin وهي عبارة عن قطع ذهبية صغيرة تنظم في العصائب تتخذها النساء زينة ظهرت أول مرة في (البندقية)، عن الإيطالية zecchino تصغير zecca عن العربية «سكة» (وفي العربية: السَّكِّي = الدينار).

وهناك check ـ وقد صارت كلمة عالمية تستعمل في صورتها هذه حتى في البلاد العربية: «شيك» (والفرنسية cheque) وتجمع على «شيكات». لكن أصلها العربي الأصيل هو «صَكٌّ» وجمعها: صكوك و صكاك و أَصُكٌّ.

قال في (لسان العرب):

الصّك: الكتاب، فارسي معرَّب، أصله «جَكْ» ـ نقلاً عن أبي منصور الثعالبي. وكانت الأوزان تسمَّى صكاكاً لأنها كانت تخرج مكتوبة (كما هو الحال اليوم). قال: ومنه الحديث في النهي عن

شراء الصكاك والقطوط. . . وذلك أن الأمراء كانوا يكتبون للناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتباً فيبيعون ما فيها قبل أن يقبضوها معجّلاً، ويعطون المشتري الصكَّ ليمضي ويقبضه. فنُهوا عن ذلك لأنه بيع ما لم يقبض.

الغريب أن يقرر الثعالبي، وينقل عنه ابن منظور، أن «**صك**» معربة عن الفارسية «**جك**» ـ وهما يعلمان أن الأصل الأول للكلمة مادة «**صكك**» العربية ـ ولا جدال في عروبيتها ـ بمعنى «ضرب»، ومنها: «صك النقود» ـ أي صوغها وطرقها حتى تتشكل بالشكل المطلوب. ومن الواضح أن الفرس أخذوا عن العربية كلمة «صك» وحرفوها إلى «جك»، فظنها الثعالبي ـ وهو فارسي ـ فارسية عربت. وهو قول غير صحيح. إنها من تلك الألفاظ العربية الكثيرة التي نقلتها الأمم الأُخرى، ثم عادت بعد زمن محرَّفة مشوهة فحسبت معرَّبة وهي العربية أصلاً.

35

الدولار. . وما أدراك ما الدولار؟

هذه اللعنة التي أصابت الجميع، وطالت الجميع ـ ونالت من الجميع.

وعندما يقال «الدولار» ينصرف الذهن إلى وحدة العملة الأمريكية المتداولة التي تنقسم إلى مائة «سنت» والعشرة منها تسمى dime وهو من ابتداع الرئيس الأمريكي «جفرسون» الذي شن حرباً

على بلادنا أوائل القرن التاسع عشر، وكانت أول حرب تخوضها الولايات الأمريكية خارج بلادها، وأنشأ لهذه الغاية نواة الأسطول الأمريكي. وكلمة dime تعود إلى اللاتينية decem بمعنى «عشرة» الفرنسية diame أما «سنت» cent فهي من اللاتينية centum بمعنى «مائة».

وليس «الدولار» عملة خاصة بأمريكا؛ إذ هناك الدولار الكندي والأسترالي والبنمي وغيرها كثير. وقد احتار الباحثون في أصل التسمية، وفيها قولان متداولان، الأول يورده «ماريو بيي M. pei» ويرجع التسمية إلى الألمانية Thaler وهي مجتزأة من كلمة طويلة محرفة عنها هي Joachimsthaler نسبة إلى مدينة Joachimstal في مقاطعة بوهيميا الألمانية حيث ضرب الدولار أول مرة من منجم فضة بتلك البلاد سنة 1519ف. أما القول الثاني ـ وهو الأعرف ـ فيذهب إلى أن كلمة «دولار» dollar مأخوذة عن الفرنسية du l'or (= الذهبي. أو حرفياً: ذو الذهب). وهي مكوَّنة من du (عربيتها: **ذو**) ثم **le** (أداة التعريف. عربيتها: **ال**). وأخيراً or (ذهب) ـ وهي من اللاتينية aur-ur (وتأتي كذلك ôr-um وهو نطق متأخر). فانظر بالله عليك ـ ماذا نجد في مادة (أور) العربية؟

الأُوار ـ بالضم: وهج النار ولهبها.

فهل ثمة شيء أكثر شبهاً مما بين لهب النار ووهجها وسطوعها، والذهب في حمرته ولمعانه؟

فكأن اللاتينية نقلت عن العربية «أُوار» وأطلقته على الذهب بعد أن كان للنار. ومن هنا جاء اسم «الدولار»، أو لتقل: ذو الأُوار.. وأنت على صواب.

وقد استعمل الرومان في القديم مصطلحاً آخر أطلقوه على أصغر وحدات العملة المعدنية لديهم، هو assis > as وكانت عملة نحاسية تكون جزءاً من اثني عشر جزءاً من الـ uncia. لكن المعنى البعيد كان: الأصل، البداية، الأول. العربية: (**أُسس**) ـ ومنها: الأُسُّ، الأساس = الأصل، البداية، الأول. ومن هنا جاءت كلمة (لاصْ) التي لا نزال نستعملها في لعبة الورق (الكارطة) بمعنى: الأول، الرقم واحد. والطريف أننا نجد في اللغة العروبية الأكادية التي كانت سائدة في بلاد الرافدين منذ أكثر من خمسة آلاف عام كلمة «**أَشْ**» بمعنى: الأول، الرقم واحد.

في بعض الأقطار العربية لا يزال القوم يتخذون «**الجنيه**» أو «الكنيه» اسماً للعملة الرئيسية. وهي من الإنكليزية guinea استعملت للتجارة مع غرب أفريقيا ـ ما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر (بالتأريخ الإفرنجي) ـ عن البرتغالية guinê ـ وهي ذاتها الكلمة التي اشتقت من جذرها تسمية «غانا» (وكانت تعرف باسم «ساحل الذهب») وكذلك تسمية «غينيا» التي انقسمت إلى «غينيتين». ويبدو لي أن الأصل من العربية «**غِنَى**»، ومنها: الغِنى = المال. وما يقتنى مما يملك ويغتنى به.

وهنا طرفةٌ طريفةٌ؛ فقد ذكر لي صديق من بلاد «غانا» أن اسم

وطنه في لغة الهاوسا Gana يعني: امرأة. هكذا. ونقرأ في مادة (غنا) في (لسان العرب): الغانية = الجارية الحسناء، سميت غانية لأنها غنيت بحسنها عن الزينة وقال ابن شميل: كل امرأة (تسمى) غانية وجمعها: الغواني. وقال ابن قيس الرقيات:

لا بارك الله في الغوانِيِ هل

يصبحن إلا لهن مطلّب؟

ولم يهم ابن شميل من هذا البيت الموجع إلا تحريك الشاعر لياء «الغواني» فقال: «في الغوانِيِ» - وإنما حرك الياء بالكسرة للضرورة وردّه إلى أصله، وجاز في الشعر أن يرد الشيء إلى أصله.

وها نحن نرد الأشياء إلى أصولها. فليكن الله في العون.

و«الجنيه» في مصر ينقسم إلى مائة «قرش» (وكان عندنا كذلك). والـ goroschen عملة بلاد النمسا في أيامنا هذه، ويبدو أنها كانت عملة مهمة ذات صلة بكلمة gross الإنكليزية (= كبير، عظيم) وهي من اللاتينية grossus. فقارن العربية في مادة (قرس): القراس والقراسية: الضخم الشديد من الإبل وغيرها، للذكر والأنثى. والياء زائد كما زيدت في رباعية وثمانية. قال الراجز:

لما تضمّنت الحَواريات

قربت أجمالاً قراسيَات

ومُلك قراسية: حليل.

وكأنما كان هذا حال «القرش» (الكُروشن) قبل أن يتضائل به

الزمان وتُصغر قدره الأيام وتصاريف الحدثان.

والقرش، ولعلنا لم نَنْسَ بعد، ينقسم إلى عشرة «مليمات» ـ وبعضهم يقول: ملاليم ـ و«المليم» من الفرنسية millime عن اللاتينية mille ومعناها «ألف» إذ أن «المليم» جزء من ألف جزء من «الجنيه». ويقرر معجم اللاتينية (ص403) أن الدلالة الأصلية تعني الكثرة والوفرة والغزارة، تماماً كما في العربية «ألف» ـ وهي من الأئتلاف، الاجتماع، و«عشرة» من مادة (عشر) أي: كثر.

وهنا نقارن بالعربية «**ملأ**» ومنها الامتلاء (الكثرة) والمَلء، (الإكثار) والمِلء: كثرة العدد والكِظّة، ورجل مليء: كثير المال، والمَلأ: القوم المجتمعون، وتمالأنا: اجتمعنا.. إلخ.

وتسهل همزة «ملأ» فتكون «ملا». أليس هذا هي اللاتينية mille ومنها الفرنسية mille (= ألف) التي انبثقت عنها «ملّيم» التي نعرف؟

36

في سوريا ولبنان تسمّى الوحدة النقدية «ليرة» وهي من الإيطالية lira. والمثير للعجب أن الإيطاليين لم يستعمروا بلاد الشام، ومع هذا اتخذ اسم عملتهم تسمية للعملة هناك، رغم أن الفرنسيين هم الذي احتلوا سوريا ولبنان. الإيطاليون استعمروا ليبيا، وكان الليبيون يستخدمون كلمة «**فرنك**» وهو اسم العملة الفرنسية ولم يستعملوا «**ليرا**». ولعل أهل الشام أجروا «**الليرة**» على ألسنتهِم بتأثير من الأتراك الذين تدعى عملتهم «ليرة» كذلك، ولعل الليبيين اتخذوا

«الفرنك» تسمية لليرة الإيطالية بتأثير من الاستعمار الفرنسي لتونس وكرهاً للإيطاليين.. فكلهم مستعمرون!

«ليرا» الإيطالية نجدها في الفرنسية livre وهي من اللاتينية libra بالباء بعد اللام، وترجع إلى اليونانية litra بالتاء. ذكر الأستاذان Ernout وMeillet في معجمهما الإشتقاقي (ص356) أنها كانت تتخذ للكيل وخاصة كيل السوائل (كما هو حال «اللتر» (= اللترا) في أيامنا هذه) وللميزان كذلك (كما هو «اللبرا» في زماننا عند الإنكليز خاصة). وهما يؤكدان ما مؤداه أن «أصل الكلمة مجهول وأنها جاءت من حضارة خارجية» غير يونانية وغير لاتينية، ولا يقدمان تحليلاً ولا تأثيلاً.

والسؤال الذي نطرحه: ألا نرى وشيجة بين «لترا» التي تأتي litron كذلك في اليونانية وmitron في تلك اللغة التي نعرفها في صور «متر» (الإنكليزية metre) وهي مقياس طول؟.

لقد تعاقبت اللام في litron (لتر) والميم في mitron (متر) كما تعاقبت الباء في libra والتاء في litra.. وتداخلت المكاييل والموازين والمقاييس، وهي كثيراً ما تفعل. والمقياس الطولي المتداول (متر) عبارة عن أداة قياس الامتداد، أي الطول. فلنقرأ شيئاً مما ورد في مادة «متر» العربية: «المَتْر: المدُّ، ومَتَر الحبل، يمتُره: مدَّه»؟

وهذا ما يفعله المرء إذا رام قياس طول شيء ما، إذ يمتر (يمد) «المتر».. أعنى أداة المَتْر.

والذي حدث أن اليونانية نقلت «المتر» العربية في صورة «مترون» ـ ولاحظ التنوين في آخر الكلمة من فضلك ـ فكانت منها الإنكليزية metre (والفرنسية mitre) والإيطالية metro. وهكذا في بقية اللغات، وصارت كلمة عالمية تدخل في عدد كبير من كلمات علمية وعملية، أشهرها لدينا «كيلو متر» أي «ألف متر» للمسافات البعيدة. ثم أبدلت الميم في «متر» لاماً فكانت «لترا» واتخذت مكيالاً، وأبدلت التاء باءً فكانت «لبرا» وهي مكيال وميزان في الوقت ذاته، وأبدلت الباء فاءً (V) في الفرنسية فصارت livre لوزن النقود، واختصرت إلى «ليرا» lira في الإيطالية، ومنها الليرة السورية واللبنانية.

فهل نسيت **«رطل»** يا ترى؟

إنها وحدة وزن تجمع على «أرطال». وقد تردد الأب «أدي شير» في كتابه (الألفاظ الفارسية المعربة) بين القول بأنها معَّربة عن الفارسية أو هي يونانية الأصل. فلو قرأ ما سبق ذكره لآمن بأن الأصل عربي مبين.

فلندع «الليرة» وشأنها الآن، ولنمض إلى **«الريال»** وهو وحدة نقدٍ في بعض الأقطار العربية. وقد جاءت من إسبانيا هذه المرة: real ـ عملة إسبانية قديمة كانت تعادل ربع peseta ـ ومعناها الحرفي: ملكي مثل الإنكليزية royal، وهي ترجع إلى اللاتينية rex ذات الصلة بالسنسكريتية **«راجا»** raja عربيتها: رأس، رئيس.

ووحدة النقد في إسبانيا اليوم تدعى peseta، ويرى عدد من الباحثين في هذا الموضوع أنها من العربية «**بسيطة**». . ولا أكاد أقبل هذا الرأي رغم ما يبدو من وجاهته.

لكن ما الرأي في «الروبية» الهندية rupee (وفي إندونيسيا rupiah)؟ إنها أقرب ما تكون إلى العربية «**رُبعية**» بسقوط العين. ولعلها في الأصل كانت تقوّم بربع وحدة نقد أُخرى. ويمكننا أن نضيف إليها «الروبل» الروسي بإضافة اللام، وكثيراً ما تضاف.

أما في هولندا فعند أهلها الـ gilder ومعناها «الذهبي» كما في الإنكليزية golden من gold (ذهب). وكلمة gold هذه ـ كما يقرر معجم أكسفورد ـ من الجرمانية gutlham والقوطية gulth والنوردية العتيقة gull ذات صلة بالصفة yellow (أصفر)، والأخيرة ذات صلة بالإيطالية giallo والفرنسية jaune.

والألوان تختلط وتتداخل، كما تختلط وتتداخل المقاييس والموازين والمكاييل. ونقرأ في مادة (جون) العربية: الجوْن: **الأسود** اليحمومي، **والأحمر** الخالص، **والأبيض**.

قال في (لسان العرب): والجوني (نسبة إلى «الجون»): ضرب من القطا **سود** البطون والأجنحة ولبان الجونية **أبيض**، وبلبانها طوقان **أصفر وأسود**، وظهرها أرقط أغبر، تعلوه **صفرة**.

ونحن نعلم أن الذهب (gold في الإنكليزية وjaune في الفرنسية) يوصف بالصفرة كما يوصف بالحمرة سواء بسواء. وقد

يكون ذهباً غُشَّ بنحاس فيميل لونه إلى السواد. وهناك الذهب الأبيض الذي يسمى «بلاتين». . وكل هذه الألوان «جون» كما جاء في (لسان العرب).

بذا لا تخرج الهولندية gilder عن بقية زميلاتها السابقات في صلتها بالعربية. . مهما بعد الزمان ونأى المكان.

37

حديث الفلوس طويل، ويبدو كأن لا نهاية له.

هل قلت «الفُلوس»؟

إي والله! وهي كلمة تحل محل «النقود» الآن في الاستعمال الدارج ـ جمع فَلس، بفتح الفاء. وفي دارجتنا صيغة جمع جموع لها مؤنثة على التصغير: «فُلِيسات»، وأحياناً: «فليّسات»، جمع «فليّس»، مصغر «فَلس». قال في (لسان العرب):

الفَلْس: معروف، والجمع في القلة: أفْلُس، وفُلوس في الكثير، وأفلس الرجل: صار ذا فلوس بعد أن كان ذا دراهم، يُفلس إفلاساً: صار مفلساً كأنما صارت دراهمه فلوساً وزيوفاً. وأفلس الرجل إذا لم يبق له مال. يراد به أنه صار إلى حال يقال فيها: ليس معه فَلس.

ويظهر أن الأصل في «الفَلْس» القطعة الصغيرة، فإن الجذر الثنائي «فل» إذا ثلّث أفاد القطع، في مثل: فلج، فلح، فلذ، فلع،

فلغ، فلق، فلل، فلك. فينبغي أن تفيد (فلس) معنى القطع كذلك. ومن هنا جاءت فلوس السمكة، وهي تلك القشور المتراكبة على ظهرها قطعاً صغيرة لامعة ـ فشبه بها «الفَلس» من النقود.

على أن تقصِّى نشأة أسماء وحدات العملة ومعانيها يؤدي إلى نتائج طريفة مفيدة. فالفرنك الفرنسي (وهناك أيضاً الفرنك السويسري) Franc نشأ نسبة إلى قبيلة الـ Franks الجرمانية التي غزت بلاد الغال Gaul (فرنسا الآن) واستقرت فيها، وأهلها نعرفهم في العربية باسم «الفرنج» و«الفرنجة» و«الإفرنج». فهذه الكلمات الثلاث (فرنك، فرنسا، إفرنج) ذات أصل واحد. وكان الإنكليز ينظرون إلى قبيلة «فرانكس» هذه باعتبارها همجية متوحشة لا تحسن السلوك المتحضر، فكانت كلمة frank الإنكليزية تعني: جلف (لنقل: شْلافطي)، غير متمدين. ثم عنت: صريح، واضح، ليس لديه ما يخفيه. ويقول لك الإنكليزي frankly speaking (= فلنتحدث بصراحة) ـ وهو يخفي عنك أكثر مما يبدي. . بالطبع!

أما في البرازيل فعملتها تدعى cruzeiro ـ ومعناها: الصليبي ـ نسبة إلى صليب النصارى (الإنكليزي cross).

وفي كوستاريكا Costarica (ومعنى اسم هذا البلد حرفياً: الساحل الثري. وهو من أفقر بلاد العالم. . فتأمل!). في «كوستاريكا» تسمى وحدة النقد لدى أهلها colon إحياء لذكرى «كريستوفر كولومبوس» طبعاً.

وقد اختارت غواتيمالا أن تدعى عملتها quetzal، وهذا هو اسم المعبود الأكبر لدى شعب «المايا» الهندي الذي كان يعمر القارة الأمريكية قبل أن يسلبه إياها بيض أوروبا ويدمروا حضارته ولم يحتفظوا إلا باسم معبودها مطبوعاً على العملة. وقد حَذت الباراغواي حذو غواتيمالا فأسمت عملتها quarani ـ اسم القبيلة الهندية التي كانت تعيش في تلك البلاد قبل محقها. بينما استعملت البيرو كلمة sol اسماً لعملتها ومعناها في الإسبانية: الشمس.

غير أن أعجب تسمية لعملة نجدها في «هايتي»؛ إذ تدعى gourde ومعناها «قرعة حمراء» ـ كما تعرف في طرابلس ـ أو «بكيوة» كما يدعوها المصارتة، أو هي «بَكْوَة»، كما في بنغازي وما حولها. فما أصل هذه التسمية الغريبة؟

قال «ماريو بيي» في: (the Story of Language) إن أحد طغاة هايتي، المدعو Christophe جمع كل ما في جزيرة هايتي التعيسة من قرع أحمر ذات يوم، وكان يستعمل في أغراض شتى منها خزن الطعام والشراب، وقدره بقدر معين من المال، فلما صكت العملة أطلقت عليها هذه التسمية (gourde = قرع أحمر).

وما ذكرت وحدات نقد تكاد تكون مجهولة لدى الكثير من الناس. لكن منذا الذي يجهل «الين» الياباني اليوم وهو يقارع الدولار الأمريكي والمارك الألماني بعد أن انقضى عهد الستيرلنك الإنكليزي؟

كلمة yen اليابانية تعني «الدوَّار» ـ وليس المدوَّر. ذلك لأن اليابانيين اعتبروا «يِنَّهم» شيئاً متداولاً، يدور من يد إلى يد ومن كيس إلى كيس، وهو الآن يطوف حول العالم من مصرف إلى مصرف.

أما عند الروس فهناك الـ kopek ـ وهو الوحدة الأصلية للروبل وأصلها kopeika من جذر يعني: ادَّخر، كوَّم، جمع. كما يعني: اشترى. بمعنى آخر: اشترى ليكوِّم ـ وهذا ما يفعله الروس، بعد عصر الانفتاح السعيد!

والملاحظ أنه مهما تغيرت أسماء العملة وتبدلت قيمتها فإن بقايا من الماضي تظل عالقة بها لا تزال. خذ مثلاً sterling pound ونترجمه (جنيه استرليني). لكن معناه الحرفي هو: رطل فضة. ويوضع حرف اللام مع خطين يقسمانه عرضاً علامة (£). وحرف اللام هذا جاء من الاسم القديم: «لبرا» libra (أي: رطل). في حين يتخذ حرف السين بخطين طوليين فوقه ($) علامة للدولار. والأصل كلمة sterling الإنكليزية بمعنى «فضة»؛ إذ كان الدولار من ذهب أولاً، ثم صار من فضة، حتى بات من ورق.

وتجد على قطعة «البنس» (pence) أو «البني» (penny) كما يدعى في عملة الإنكليز منذ مدة قصيرة، حرف الدال (D). وهو يرمز أساساً إلى «دينار» أو "denarius" كما دعي عندهم. فانظر ـ حفظك الله ـ كيف تضاءلت قيمة الدينار البريطاني حتى صار مجرد «بنس» واحد لا يسمن ولا يغني من جوع؟!

38

باتساع أطراف الدولة الإسلامية واعتناق شعوب غير العرب الدين الجديد، واضطرار أبناء هذه الشعوب إلى تعلم العربية، لغة القرآن الكريم، كثر اللحن على الألسنة وأعوجّ الكلام، وتسربت مفردات من اللغات الأُخرى إلى الكلم العربي، خاصة في العصر العباسي وما تلاه، وبتأثير من العناصر الفارسية بالذات. فصارت تصك الأسماع ألفاظ من مثل «**شنبذ**» بمعنى «كيف؟» أو «كيف الحال؟» و«**بوستان**» بمعنى «خُذْ» و«**زُوْد**» بمعني «عجِّل»، «أسرع» (وهذه الكلمة الأخيرة «زود» لا نزال نستعملها في بلادنا حتى يومنا هذا في صورة «زوِّد». فنقول: «زوِّد» = تقدم، أسرع، عجِّل. «زوِّدله» = تقدم إليه، امض إليه. «زوِّد كول» = تقدَّم، أسرع وكل وما أمامك من طعام. مثلاً.. إلخ. وهي كلمة فارسية).

ولقد أغاظ هذا الكلم الأعجمي عربياً أنوفاً كان يأنف من النطق به ويصر على النطق بالعربية الشريفة التي لا تشوبها شائبة من عجمة، يدعى أبا المهدية الأعرابي. ويروى عن هذا الأعرابي المعتز بعربيته أنه سمع رجلاً يقول لصاحبه: «**زود**» (في لهجتنا: زَوِّدْ) فسأل عن معنى الكلمة فقيل له: معناها «عجِّل». فقال أبو مهدية: أفلا يقول «**حيهلك**»؟

معه حق. أفلا يقول «حيهلك»؟!

فإذا رمت أن تعرف من أين جاءت «حيهلك» هذه فاعلم أنها

مكونة من مقطعين: «حيهل» بمعنى «تقدم» كما نقول «هلمّ». وهي تدخل ضمن ما يسميه النحاة (أسماء الأفعال). «ك» ـ ضمير المخاطب. تقول: حيهل الثريد، كما تقول: حيهلك الثريد. أي: تقدم، هلمّ، «زوِّد» إلى الثريد، بالصحة والعافية إن شاء الله!

وعلى ذكر الثريد فقد كان من العادات المحمودة في مجتمعنا أن يُحَيَّى من طَعم أوشرب بالقول: «هنياً» (وهي مسهَّلة عن «هنيئاً» المهموزة) فيرد: هنّاك الله. أو يقال له: صَحة (بفتح الصاد والصواب كسرها) فيرد شاكراً: «سَلّمك» أي: سلَّمك الله. فإذا أريد المبالغة في التحية قيل: صحة وعافية. ويأتي الرد: الله يعافيك. كلام جميل!

ومن العادات الحميدة التي كنا نعرفها في أيامنا أن يودع رب الأسرة (بو العيلة) وهو خارج إلى عمله بالقول: «مربوحة»! تأتيه من زوجه وأولاده، فيجيب باسماً سعيداً مبرنشقاً: «الله يربحكم»! وينطلق مغموراً بالفرحة والبهجة والهناء. فإذا آب إلى أهله حاملاً إليهم ما طاب من (الحاجات) استقبل بتحية عذبة رقيقة: «قايلتك والعافية»! أي أن قيلولتك، وهي وقت الظهر، مصحوبة بالعافية. ويجيء الجواب: «وجهك والملائكة»!. فما أروع هذا التعبير الراقي الجميل!

بيد أنه ما من تحية تتردد على الألسنة أكثر من «السلام عليكم».. في الشارع والمقهى والجامع و(المربوعة) والسوق و(السانية) وفي كل مكان. نسمعها في التمثيليات الإذاعية آلاف

المرات، وعلى ألسنة مقدمي الأحاديث والبرامج: السلام عليكم.. وعليكم السلام. السلام عليكم.. وعليكم السلام.

هذه تحية الإسلام. وكان العرب قبل الإسلام يحيي بعضهم بعضاً بالقول: عم صباحاً ـ إن كان صباح ـ و: عم مساءً ـ إن كان مساء. وكلمة «**عم**» اختصار لكلمة «**أنعم**» ـ بمعنى: ليكن صباحك أو مساؤك، نعيماً ناعماً منعّماً. ولقد أبدل القرآن الكريم هذه الصيغة من التحيات بكلمة (سلام). ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة الأنعام: 54]. ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ﴾ [سورة يونس: 10]. ﴿يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: 32]. ومن هنا جاء التسليم بمعنى التحية: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [سورة النور: 27]. ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النور: 61]. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة: 233].

هذه التحية الجميلة (سلام) انتقلت إلى أرجاء العالم الإسلامي الشاسعة وصارت تتردد على الشفاه. وحين بلغ الإنكليز في حملتهم الاستعمارية بلاد الملايو وجدوها على ألسنة أهلها فنقلوها إلى لغتهم في صورة Solong ودخلت معجم الإنكليزية حتى اليوم. لكن أغرب ما حدث أنها تترد أكثر على ألسنة الأمريكيين الذين لا يعرفون من «السلام» إلا لفظه!

39

مثلما استعارت الإنكليزية كلمة «سلام» العربية وحولتها إلى solong اقترضت كلمة أُخرى، نقلاً عن اللاتينية هذه المرة، هي «صلاة» وجعلتها salute (يحيِّي، يسلِّم) والاسم منها salutation (تحية، سلام). ونحن نعرف أن كلمة «صلاة» ـ والفعل منها: صلَّى، يصلِّي ـ من الألفاظ التي اكتسبت دلالة جديدة بمجيء الإسلام، فهي كانت تعني في الأصل: الدعاء ـ كما جاء في شعر الأعشى:

وصهباءَ طاف يهوديُّها
وأبرزها وعليها خَتَمْ
وقابلها الريح في دَنِّها
وصلَّى على دنِّها وارتسمْ

وقال:

عليكِ مثلَ الذي صَلَّيْتِ فاغتمضي يوماً فإن لجنب المرء مُضْطجَعًا معناه أنه يأمرها بأن تدعو له مثل دعائه، أي تعيد الدعاءَ له، ويروى: عليك مثلُ الذي صليت، فهو ردَّ عليها، أي عليكِ مثلُ دعائك.

المهم أن الإنكليزية salute، مثلها في ذلك مثل الفرنسية والإيطالية مأخوذة عن اللاتينية ـ saluto التي يتحير معجمها في أصلها الأصيل ولا يجد لها تأثيلاً، ويقول إن جذرها هو ـ salu.

فلو نظر في مادة (صلا) العربية لما احتار. ونضيف هنا أن كلمة «صلاة» في الرسم العثماني للقرآن الكريم تكتب «**صلوت**» ولعل هذا هو نطقها في القديم. فهي مطابقة للاتينية ـ Salut حذو النعل للنعل.. كما يقال.

وكما حدث من تطور دلالة «الصلاة» في العربية من معنى الدعاء إلى معنى العبادة المعروفة من ركوع وسجود في أوقاتها المعلومة، وإلى معنى التحية، كان لها أن تتنوع دلالتها في اللاتينية كذلك، فعنت فيها: الصحة والسلام ـ تماماً كما هي صلة «السلامة» بـ «السلام» في العربية. لكن الصلة لم تنقطع باللغة الأم؛ إذ نجد في مادة (صلا) أيضاً إلى جانب ما ذكرنا أن الصُّلاية: الفهر ـ والفهر: الحجر ـ يكون صلباً متماسكاً صحيحاً سليماً، حتى ليضرب به المثل في قول الشاعر:

أشعث مما ناطح الصُّلِيّا

والصُّلي جمع صِلاية. كما يقال:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنَه الوعِلُ

أهذا آخر المطاف؟

أسمعك تسأل. كلا.. فلا يزال في الجعبة المزيد. فانظر ماذا حدث للجذر العربية (صلا). لقد أبدلت لامه عند الفرنجة نوناً فكانت في اللاتينية sanu(s) (صحيح، سليم) ومنها الإنكليزية sane

(سليم، عاقل، ممتلك لقواه العقلية)، وضدها insane (غير صحيح، مجنون، معتوه) واستعملت كلمة sanitary في مجال النظافة الصحية وهي صفة، الاسم منها sanitation ـ تعبير يعرفه الأطباء والعاملون في المستشفيات والعيادات الطبية.

ولو تتبعنا هذا الجذر المبارك (صلا) لوجدنا عجباً.

خذ مثلاً الإنكليزية sun، أي «الشمس»، والصفة منها sunny (مشمس) وsunday (الأحد = يوم الشمس) وهي في الفرنسية soleil، والإيطالية sole ويمكننا القول إن الإنكليزية sun تقابل العربية (سنى) ومنها: السناء = النور، الضياء. وكان القمر في اللغات العروبية القديمة ـ كالبابلية والحميرية ـ يسمى «سين» أو «سن» أي: السني، ذو السناء، المضيء، المنير. لكن لا جدال في أن الفرنسية soleil والإيطالية sole تعودان إلى اللاتينية sol ومنها في الإنكليزية solar (شمسي) كما في solar system (النظام الشمسي) على سبيل المثال. لكن المعنى الأصلي هو: الحرارة، النار ـ باعتبار الشمس مصدرَ الحرارة، كتلةً ملتهبة منذ بدء الخليقة حتى يرث الله الأرض وما عليها.

ونقرأ في مادة (صلا) العربية: صلى اللحم وغيره، يَصليه: شواه. وصَلَّى: أحرق. قال شاعرهم:

ألا يا اسلمي يا هندُ، هندَ بني بدر
تحيةَ من صَلَّى فؤادك بالجمر

أراد أنه أحرق قلبها. وصَلِيَ بالنار وتَصَلَّى: قاسى حرها. قال:

فـقـد تـصـلَّـيـت حـرَّ حـربِـهِـمُ

كـمـا تـصـلَّـى الـمـقـرور مـن قـرسِ

وفي التنزيل العزيز ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ [سورة النساء: 30]. والصُلِي: الاحتراق. قال تعالى: ﴿هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ [سورة مريم: 70].

ومن أبيات للعجاج:

تـا الله لـولا الـنـارُ أن نـصـلاهـا

أو يـدعـوَ الـنـاس عـلـيـنـا الـلـهَ

لـمـا سـمـعـنـا لأمـيـر قـاهـا

فلنعد ـ بعد إذنك ـ إلى «صلاة»، وتجمع على «**صلوات**». لكن لهذا الجمع معنى آخر غير معنى الركوع والسجود أو الدعاء: إذ ورد في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [سورة الحج: 40]. وقرئت «وصُلُوتٌ ومساجد» وقيل إن أصلها بالعبرية «**صَلُوتَا**» بمعنى: كنائس اليهود.

ونحن نجد في اللغة اليمنية القديمة كلمة «**س ل ي**» (بالسين المهملة) بمعنى «معبد»، «خلوة للعبادة»، وبالسريانية «**ش ل ي**» (بالشين المعجمة) بذات المعنى. وهذا ما يكافىء الإنكليزية cell بمعنى: غرفة خاصة للعبادة، أولاً، ثم تطورت إلى معنى «خلية» (وهي من مادة «خلا» كما هو حال «الخلوة»). وهذه ذات صلة

باللاتينية والإيطالية cella (وتستعمل في السجون بمعنى: زنزانة»، حبس انفرادي، غرفة منفردة). وعن هذه انبثقت كلمة شهيرة لدينا هي «صالة» من الإيطالية sala، التي صارت في الفرنسية salleوsallon وفي الإنكليزية saloon ـ وكثيراً ما نسمعها في الكلم المستعجم: صالون الحلاقة، صالة العرض، صالون البيت.. إلخ.. إلخ.

فانظر ـ يا رعاك الله ـ كيف تشتبك الألفاظ وتتداخل المفردات وتتنوع الكلمات وتعود ـ في النهاية ـ إلى أصل عربي واحد؟!

40

يتقابل الصديقان، بعد غيبة تطول أو تقصر، فيتبادلان العناق وتحيات الاشتياق، ويسأل أحدهما الآخر: هيه يا صاحبي! **كيف حالك**؟ فيرد الصاحب: الحمد لله، **وأنت كيف حالك**؟. الحال عال، والحمد لله. **وأنت كيف حالك**؟ **كيف حال** الصغار (أو يقول: الصغيويرة، أو العيال، أو الواشون ـ بحسب المنطقة التي درج على لهجتها). باهيين (أو يقول: طيبين، بخير) **وأنت كيف حال** الأهل؟

ويظلان على هذا المنوال يسأل أحدهما عن **حال** صاحبه فيجيبه بسؤاله هو عن **حاله**.

والسؤال عن الحال والأحوال أول ما يفتتح به الحديث في مجتمعنا، غير أن صيغة السؤال تتباين وتختلف من مكان إلى مكان.

فأهلنا في المنطقة الشرقية يسألون: «**اشلونك؟**»، وهي مختصرة عن «أي شيء لونك». فإذا كان لون وجه المسؤول أحمر مورَّداً زاهياً دل هذا على تمام صحته وحسن عافيته وأن أموره «عال العال». أما إذا شاب لونه كدرة أو صفرة فالحال هنا ليس «عال العال» وينبغي أن ينظر في شأنه على عجل. ويلاحظ أن هذا التساؤل (اشلونك) يكثر في أهل البوادي عنه عند أهل الحضر.

في بلاد مصر يكون السؤال عادة: «**إزّيك**»؟ وأصله: «أي شيء زِيَّك» ـ أي: ما هيأتك؟ كيف تبدو صحةً وثياباً؟

في السودان ـ وإلى عهد قريب في بلادنا ـ يأتي السؤال هكذا: «**كيفنَّك**»؟ حرفيا: كيف أنك/ كيف إنك؟ بمعنى: كيف أنت؟ وفي الشام يكتفى بـ: «**كيفك**»؟. . سؤال عن «الكيف» بمعنى «الحال» مضاف إليه كاف المخاطب. منتهى الاختصار.

فإذا كنت في المغرب سئلت: «**واش داير**»؟. والسؤال هنا عن إدارتك لشؤونك وتدبيرك أمورك، وهل هي على خير ما يرام يا ترى؟

في الجزائر يكون السؤال: «**واش راك**». أي: أي **شيء أراك**»؟ كيف أراك يا صاحبي. . مزيان أم غير مزيان؟!

وقد صيغت عبارة جديدة على ألسنة الشباب في بلادنا، صارت تستعمل للسؤال عن الحال، هي: «**شي الجّو**»؟/ «شنو جّوك»؟. وكان السؤال عن «الجو» خاصاً بالإنكليز من قبل، فإذا به يعم.

وبمناسبة الحديث عن الجو أذكر أنني سمعت أخاً عربياً يخاطب رفيقاً له قائلاً:

ـ إنني أسمع إخواني الليبيين يتحدثون اليابانية!.

ـ كيف؟. استفسر رفيقه مندهشاً، فأجاب:

ـ سمعت أحدهم يقول: «**الجوْ نوّ توْ مَوّا**» ولم أفهم ما يقول.

وتفسير العبارة، كما يعرف القارىء الليبي حتماً: «**الجو نوء** (أي حَرٌّ) **توّاً** (الآن) أما هو (أليس كذلك)؟»

فإذا مضينا إلى بلاد الفرنجة ألفيناهم يختلفون في سؤالهم عن الحال. فالإنكليزي يسأل: How do you do? ـ والمعنى: كيف تعمل؟ وقد يكون لطبيعة بني سكسون العملية أثر في هذه الصياغة. وتأتي هذه الصيغة في اللقاء الأول، فإذا تكرر اللقاء كان السؤال: How are you? (كيف تكون؟) حتى يطمئن على الكينونة بعد أن اطمأن إلى العمل.

أما الفرنسي فيسألك: Comment allez vous? (حرفياً: **كيف تمشي؟**). فالفرنسيون قوم مغرمون بالمشي في الشوارع والجولان في الطرقات وما بين المقاهي والحدائق والأسواق، لا يقر لهم قرار. ولذا تجد بيوتهم خالية وشوارعهم مكتظة بهم يدبُّون في كل مكان. فإذا كان للمرء ساقان تحملانه ليمشي فلا ريب أن حاله طيبة، بصحة وعافية.

ويستفسر الإيطالي عن حالك قائلاً: ?come sta/ أو يقول: ?come stai. وترجمتها: كيف **تقعد**؟ أو: كيف **تجلس**؟ وهو سؤال غريب، وإن كان لا يستغرب من إيطالي همُّه الجلوس إلى طبق «الإسباغيتي» وقنينة «الفينو» والتلويح بيديه ذات اليمين وذات الشمال!

فماذا لو زرت بلاد الصين؟

إذا تعرفت على أحد من أهلها ـ وهم بعدد النمل ـ وتبادلت معه الحديث، بالصينية طبعاً، فسوف يتدخل في شؤونك الخاصة ويستفسر عن أحوالك متسائلاً: «**هل أكلت أرزك؟!**» فإذا كنت ـ يا صاحبي ـ قد تناولت أرزك ذاك الصباح (ولا يهم إن كان أرزاً «بالبُصلة» أو مطبوخاً أو حتى مشوياً على الطريقة الصينية) فإن حالك على ما يرام. فالأرز هو الحياة هناك.. أعني هو «العيش».. وبه تعرف الأحوال.

(بمناسبة الحديث عن «العيش»، نلاحظ أن هذه الكلمة تطلق على الطعام الغالب في قطر من الأقطار. فالعيش في مصر يعني «الخبز»، وفي الخليج العربي هو «الرُّز»، وفي جنوب الجزائر هو «الكسكسي». أما في ليبيا فهو الذي نسميه «البازين» ـ لأنه كان أغلب ما يعيش عليه الناس).

والذي يهتم بحالك يتوقع أن تشكر له اهتمامه. تقول للإنكليزي: I'm fine, thank you (حالي طيب، أشكرك). و thank

you أصلها I thank you. وكلمة thank تعني الآن: شكر، حمد، أثنى على. لكنها في الأصل ذات صلة بـ think (فكّر) وهذه قريبة جداً من «ظنّ» في العربية التي تفيد التفكير.

وتقول للفرنسي merci ونترجمها الآن: شكراً. لكن معناها الأصلي: رحمة (الإنكليزية mercy) فكأنك تقول له: (الله) يرحم والديك ـ كما هو تعبيرنا المعروف.

أما الإيطالي فتقول له grazi (شكراً) فيرد هو مجاملاً: prego (عفواً).

ولكل هذه الألفاظ وشائج عربية، سنحاول أن نعطي كل لفظ حقه من البيان.

41

في حديثنا السابق ذكرنا عبارة الشكر في الإنكليزية thank you وقلنا إن كلمة thank (يشكر) ذات صلة بالكلمة الإنكليزية الأُخرى think بمعنى: يفكر، فكأن المرء عندما يشكر غيره «يفكر» فيه تفكيراً جيداً، أي يَقْدِره ويبجله، وزعمنا أنها تكافىء العربية «ظنَّ»، فإن حرف الثاء المثلثة في الإنكليزية thank, think دال في الجرمانية denken/ denk.

أما التعبير الشائع عن الشكر في الإيطالية فهو grazi ويحمل التعبير معاني المنة والفضل والنعمة والثناء في آن ـ مما يقابل الإنكليزية gratitude والصفة منها grateful (شاكر، «ممتن») والفعل

gratify، وهي ذات صلة بـ gratis ـ التي تترجم إلى (تأشيرة مجاملة) حين تمنح قنصلية دولة ما تأشيرة دخول إليها دون دفع رسوم التأشيرة، مجاملة لشخص أو هيئة من الهيئات، مما هو متعارف عليه في دنيا المعاملات «الدبلوماسية». وكل هذا يعود إلى اللاتينية gratu(s). وقد شرَّق معجم هذه اللغة وغرّب محاولاً إيجاد جذر آري لها، وأبدل من الحروف والأصوات ما أبدل، حتى استقر على أن الأصل من السنسكريتية (لغة الهند القديمة) في الجذر GR ـ وجاء بمختلف الصيغ في متباين الألسن خلاصتها أن المعنى الأصلي يفيد: المديح، الثناء، رفع الصوت بالحمد والشكر.. إلخ.

وقد نأخذ الجذر العروبي الثنائي «ق ر» مكافئاً لما قال، ومنه: قرأ = رفع صوته، صاح. لكننا نجد أمامنا مادة عربية ثلاثية تقابل ـ gratu (التي منها grazi) هذه بالضبط.. أعني: **قرظ**. جاء في (لسان العرب):

التقريظ: مدح الإنسان وهو حي. وقرّظ الرجل تقريظاً: مدحه وأثنى عليه وفي الحديث: لا تقرّظوني كما قرّظت النصارى عيسى. ومنه حديث علي (ض): يهلك فيَّ رجلان؛ محب مفرط يقرِّظني بما ليس في، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهُتني. وقرّظ فلان فلاناً، وهما يتقارظان المدح: إذا مدح كل واحد منهما صاحبه ـ أي شكره وأثنى عليه.

هل انتهينا من قضية الشكر في الإيطالية.. grazi وعرفنا أصلها اللاتيني ـ gratu الذي يكافىء العربية «قرظ»؟

هذا جيد. لكن الأدب يفترض أن ترد التحية بمثلها أو بأحسن منها. ومن العادة أن يكون الرد على grazi هذه في الإيطالية: prego. وتترجم إلى: العفو، عفواً، لا شكر على واجب يا سيدي!

لكن لـ prego هذه أصلاً بعيداً ولم تظهر هكذا (شيطانياً) كما يقال. فإن أصلها من اللاتينية preca-re أو praeco، وجذرها (PRC) preca كما يقول معجمها (ص530) ويفيد معاني: صاح، نادى، بشر، مدح، أثنى، حمد.. إلخ فكأن المسألة برمتها رد الشكر بشكر أكبر، والمديح بمدح أعظم.

فما هو المقابل العربي لـ prego الإيطالية وقد عرفنا نشأتها الأولى؟

سؤال. والجواب نجده في مادة (برك) المباركة. قال ابن منظور: التبريك: الدعاء للإنسان وغيره بالبركة، وهي النماء والزيادة. يقال: برّكت عليه تبريكاً أي قلت له: بارك الله عليك. والعرب تقول: باركك الله وبارك فيك.

ويحكى أن رجلاً يدعى أبا فرعون سأل امرأة حسنةً، فاكتفت بتبريكه دون أن تعطيه شيئاً فقال:

رُبَّ عجوزٍ هَرمسٍ زبونِ
سريعة الرد على المسكين
تحسب أن بوركاً يَكفيني
إذا غدوتُ باسطاً يميني

جعل «بورك» اسما وأعربه.

فقول الطليان prego عن أجدادهم الرومان في قولهم praeco يماثل بالضبط ما في العربية «بورك» أو «بارك» أو حتى «بركة» و«بركات».

أما الفرنسية merci - التي تترجم الآن إلى: شكراً، أشكرك ـ فإنها كانت تعني: رحمة، شفقة، حنان. ولك أن تقارن الإنكليزية merceful (حنون، شفوق، رحيم). وهي متطورة عن اللاتينية mersu(s) التي عنت أولاً: سعر، ثمن، أجرة، جراية، «مرتّب»، تعويض، ثم تطورت إلى معنى: فضل، نعمة، مِنَّة. وهذه الدلالات، في الواقع، متداخلة؛ إذ أن الذي يرحم يتفضل بشيء عادة، والتعويض عن شيء مِنَّة، والنعمة تقدَّر بثمن ما. . وهكذا. فالمسألة في أساسها إذن مسألة «ثمن» وبيع وشراء. ولا يزال أثر من هذا في تعبيرنا إن فلاناً «يشترى» الحمد، أن المديح والشكر، بما يسبغه على غيره من فضل وما يقدمه من نعمة وما يبديه من كرم يصيب بخيره سواه.

ونلاحظ أن جذر اللاتينية mersu(s) هو mereo ومنه مشتقات كثيرة تفيد في مجملها: **الشراء** ـ وربما كان يخص شراء الطعام أصلاً، وهو ما نجده في العربية تحت مادة (مير). قال في (لسان العرب):

المِيرة: الطعام يمتاره الإنسان، وقيل: هي جلب الطعام للبيع.

وقد مار عياله وأهله، يميرهم ميراً، أي اشترى وجلب لهم طعاماً، ومنه يقال: ما عنده خير ولا مير. أي: ليس لديه ما يبيعه أو يشتريه، ولا ما يمنحه ويعطيه فيشكر له صنيعه ويحمد ويقول: merci!

42

مثلما تهاجر الطيور في رحلاتها الطويلة من مكان إلى مكان، تهاجر أسماؤها كذلك. وكما يتبدل لون ريش بعض الطيور حين تنتقل من بيئة إلى بيئة أُخرى، فإن أسماءها تتحور وتتغير، وإن بقي في الحالين ظل مما في الأصل كان. من هنا فإن نظرة فاحصة إلى تسميات بعض الطير في اللغات الأوروبية تظهرها بالغة القرب من العربية، بل تكاد تكون هذه تلك، وتلك هذه سواءً بسواء. وكثيراً ما تختلط التسميات وتختلف حتى في اللغة الواحدة.

أسمعت عن ذلك الحديث العهد بتعلم اللغة الإنكليزية الذي قصد مطعماً وسأل النادل أن يحضر له hen وهو يعني دجاجة؟

هذا هو اسم الدجاجة وهي حية، فإذا ذبحت وطهيت تحول اسمها إلى ما اصطلح القوم على تسميته chicken ـ وهي كانت تعني فراخ الطير، لاسيما ما كان داجناً منها، كما نقول في لهجتنا **«شوشاو»** ونجمعها على «شواشيو» وعربية ما في لهجتنا: **صأصأ**. أبدلت الصاد شيناً. أماالإنكليزية chicken فقد كانت kûken التي هي ذات صلة بـ cock (ديك) وهذه الأخيرة من اللاتينية coccu(s).

محاكاة للصوت «كوكو» في لغة الطفولة، أو طفولة اللغة.. لا فرق. ومن الطريف أن يرد في مادة (كيك) في (لسان العرب) أن **الكَيْكَة**: البيضة، وجمعها: كياكي. فكأنما هي بيضة فريدة.. أعني ما يعبر عنه بـ «بيضة الديك». فإذا سألت عن تسمية «البيضة» في الإنكليزية فاعلم أنها egg ومنها تسمية نبات «الباذنجان» egg-plant للشبه بينهما. وفي العربية: «**القويقية**» = البيضة. وقيل: **القيقية**: القشرة الرقيقة الملتزقة ببياض البيض الذي يسمى كذلك «**القِيقَى**». في الفرنسية coque = قشرة البيضة وcoq ديك.

هذا ما ورد في مادة (قيق). أما في مادة (قيأ) فقد ذُكر أن أبا منصور الثعالبي قال: **القاوية** هي البيضة. وفسر التسمية بأنها «قويت» عن فرخها. غير أن هذا بعيد، وأحسب أن الأصل في الأمر كله صوت الدجاج «قاق»، فإن «القيق» صوت الدجاجة. فإذا نطقت القاف معقودة وجدتها ذات صلة بالإنكليزية egg، وإذا أبدلتها كافاً وجدتها cock (ديك) وcuken (فرخ الدجاج، كتكوت) ومنها chicken.. وكل هذا من باب محاكاة الصوت في اللسانَيْن.

ومن النوادر في هذا الباب ما يروى عن بعض المتفيهقين كانوا جالسين على شاطىء دجلة ببلاد العراق يتكلمون في نحو القرآن الكريم، فاقترح أحدهم أن يسند الفعل «قُوا» في الآية﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [سورة التحريم: 6] ـ إلى الضمائر المختلفة، فكانوا يتصايحون: قِ (للمذكر المفرد) قِي (للمؤنث المفرد) قِيَا (للمخاطب المثنى) قُوا (للمخاطب الجمع

لمذكر) قِين (للمخاطب الجمع المؤنث: قِ، قي، قيا. قُوا، قين!
وسمعهم صيادون يتصايحون ضاحكين، فغضبوا غضباً شديداً ونزلوا
عليهم بالعصي والهراوات ضرباً مليحاً قائلين: أتقرأون القرآن بلغة
لدجاج أيها الملاعين؟!

فلنعد إلى ما كنا فيه.

هناك «الأكو»، وهو في أغلب لغات الدنيا هكذا تقريباً. ذلك
لطير المقلد الأصوات.. الببغاء، ويقال له في بعض اللهجات:
«البغبغان» لأنه يبغبغ بصوته الأجش ـ يرطن بما لا يفهم، ويردد ما
لا يعي، مثل كثير من عباد الله الصالحين!

إنه يدعى في الإيطالية pappagallo، وهي تبدو قريبة من
«بغبغان» أو «ببّغان» (babbaghan) ـ غير أن التسمية، في الواقع،
مكونة من مقطعين: pappa(= بغبغ + gallo (ديك) ـ وسنعود إليها
بعد قليل.

في الإنكليزية يدعى الببغاء parrot. وقد نحسب أن لها صلة
بالعربية «بربر»، غير أن (معجم أكسفورد) الإشتقاقي يقول أن parrot
من الفرنسية pierrot وهذه صيغة تصغير للاسم المشهور pierre
(الإنكليزية peter العربية «بطرس») فسبحان من جعل «بطرس» هذا
يتحول إلى مجرد «ببغاء» يردد ما يسمع ويعيد ما يقال له حرفاً
بحرف، وينفذ ما يلقى إليه من أوامر!

فلنرجع إلى gallo في اسمه الإيطالي pappagallo. ومعناها:

ديك. والمؤنث gallina (دجاجة). بيد أن المعنى القديم في اللاتينية gallu(s) هو: صاح، صرخ، زعق، نادى ـ تماماً كما نقول نحن: أذّن الديك. وعربية اللفظة واضحة: **قال**. قال، يقول، قولاً، أي صات أو صوّت.

وشأن الطيور الصياح، وهو يختلف من فصيلة إلى أُخرى، قد نسمي بعضه زقزقة أو شقشقة أو تغريداً أو صداحاً أو شدواً. وقد ندعو البعض الآخر نعيقاً أو نعيباً أو زقواً. وكذلك يفعل الآخرون.

من ذلك مثلاً اسم «الغراب» في الإنكليزية Crow ـ وهو جاء كذلك من محاكاة صوته. عربيته في الجذر الثنائي (قر) وثلاثيه (قرر) ومنه:

قرقر: صوّت. قرَّ الحمام: إذا هدر. ورجل قُراقري: جهير الصوت. وأنشد: قد كان هدّاراً قراقرياً. والقُراقر: الحسن الصوت. قال: فيها عِشاش الهدهد القُراقر.

والطريف أن يدعى «الغراب» في الفرنسية corbeau من اللاتينية corvu(s) وهما أقرب ما تكونان إلى العربية (غرب) التي منها «غراب». غير أن معاجم الفرنجة تربط ما بين corvu(s) (غراب) وcorvix في اللاتينية (الفرنسية corneille = الغراب الأسود) من جهة وبين محاكاة الصوت (كاك) = العربية «قرق» ـ من جهة أُخرى. ويمكننا المكافأة بالعربية «**غِرنَوْق**» ـ وهو طائر مائي ـ لصوته الذي يصدر عنه، من ناحية وبـ «**كروان**» ذلك الطائر الليلي المغني من

ناحية أُخرى. فكلها طيور تصرخ، وتملأ الدنيا ضجيجاً لا نهاية له.

43

لن آتي بجديد إذا قلت لك ـ أيها القارىء الكريم ـ إن الأصوات الإنسانية البدئية واحدة في كل زمان ومكان؛ إذ ليس ثمة بكاء صيني وآخر فنلندي، ولا قهقهة روسية وأُخرى يونانية، ولا صياح عربي وغيره منغولي، كما لا يختلف الزعيق والصراخ والعويل والولولة في آسيا عنه في أفريقيا، ولا تتباين أصوات التعبير عن الفرح والألم، أو الغضب والسخط فى أوروبا عما في أمريكا، وهمهمة سكان أستراليا الأصليين في الغابة هي ذاتها همهمة الياباني أمام حاسوبه الحديث. ولا شك في أن أصوات التعبير عن حالات الانفعال المتعددة عند الإنسان الأول القديم هي نفسها ما يصدر عن الإنسان المعاصر اليوم.. وإلى ما شاء الله في مستقبل الأيام.

هذه هي «اللغة البشرية» الأولى التي تقارب «لغة الحيوان» بمعنى: اللغو واللَّغي. أما بمعنى «اللسان» فذاك أمر آخر، إذ تطور اللغو إلى كلام، ثم صار لساناً، واختلفت مظاهره وظواهره. بيد أنها تعود في النهاية إلى أصل واحد. وهذا هو ما يقول به الكتاب العزيز: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة يونس: 19]. وهذا هو السبب الأساسي في ما نلاحظه من تشابه أصول اللغات مهما بدا من تباعد مظاهرها الآن، عند التحليل والتأثيل.

فلنمعن قليلاً في حديث (منطق الطير) لكي نرى ما سيكون.

هناك «البومة» مثلاً، ذاك الطائر الليلي، صياد الفئران والزواحف والحشرات، ذو العينين الواسعتين الحادتي الإبصار. و«البومة» مؤنث «البوم»، وهو «الهَام»، ويسمى «الصدى» و«الصيَّاد» أيضاً. يقال: بومٌ بوّام = صوَّات. فالتسمية إذن جاءت من محاكاة صوت هذا الطائر الليلي الذي ينعب في الخرائب والخلاء حتى صار يتشاءم به، ولا ذنب له سوى أنه يمكنه في الأماكن الخربة أن يجد ما يقتات به من خشاش الحيوان، مما لا يعيش في الأماكن العامرة بالناس. وهذا ما جعل تسميته متقاربة في مختلف اللغات؛ إذ نجده في الأرمنية bu وفي اللاتينية bubo. وفي اليونانية bua(s). وكان في المصرية القديمة bu ثم أبدلت الباء ميماً فكان mu ـ وكلها محاكاة لصوت هذا الطائر، كما هو حال محاكاة صوت الهرة: ماءَ، يموء، مُواء مثلاً.

وإذا كانت الفرنسية سايرت غيرها في محاكاة الصوت فدعت البومة hibou فإنها في الإنكليزية تسمى owl، فإذا كانت بومة صغيرة سميت owlet. فهل نفلتها من بين أيدينا يا ترى؟

كلا.. وألف كلا. فلنلاحقها حتى تعود إلى أصلها الأول القديم. إن owl هذه (بومة) من اللاتينية ulula بمعنى: صاح. هو ذاتها العربية: «ولول» لا جدال، ولا يحتاج الأمر إلى مزيد بيان. أليس كذلك؟

لكن الفرنسية لم تدع العربية (ولول) وشأنها، فاستعارتها في

تسمية طير آخر في صورة alouette وأطلقتها على «القبرة» أو «القنبرة» الصياحة التي يقول لها طرفه ابن العبد (وفي قول هو: كليب بن ربيعة):

يا لك من قبرة بمعمر
خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقرى

ثم انثنت إلى «الهدهد» ذاك الذي ذُكر أمره وسليمان النبي في القرآن الكريم: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [سورة النمل: 20] فأسمته huppe، وزاحمتها الإنكليزية فقالت إنه الـ hoopoe ـ وهما أخذتا عن اللاتينية upupa (= هدهد).

فليتفطن القارىء الكريم إلى أن العربية «هدهد» مضاعف «هُد» وهي محاكاة لصوت ذاك الطائر الملون الجميل، يتهادى في المحاصد يلتقط الحب الذي ظل بعد الحصيد، ويصيح منتشياً. وكنا في صبانا نحاكيه ونناوشه لاهين: «يِبْ يِبْ».. يِبْ يِبْ»! فيرد علينا محيياً: «يِبْ يِبْ» أو لعله كان يصيح: «هب هب» (ومنها upupa, huppe, hoopoe) أو يقول: «هد.. هد» ـ ونحن لا ندري!

آه.. أليس (الهدهد) هو ذاته «**البو عبعاب**».. وتسميته الدارجة في لهجتنا من نفس المصدر.. محاكاة الصوت؟

تمام!

وما دمنا لا نزال نرفرف في حديث الطير، فلأذكر لك طرف من

طرائف التعريب. فقد قرأت في معجم الأستاذ منير بعلبكي (المورد) كلمة woodcock وعرَّبها إلى «**الودقوق**»، فلو ترجمها إلى «**ديك الغابة**» لكان أدق وأجمل ـ وهذه هي الترجمة الحرفية لـ woodcock المكونة من wood (غابة ـ عربيتها: عود) + cock (ديك، وقد مر تحليلها من قبل).

وعلى ذكر الديوك أتدري ماذا تسمى الدجاجة الصغيرة التي لم تبض بعد في لهجتنا؟ طبعاً أنت تدري.. فهي «**العتّوقة**». أليس غريباً أن تكون في اللاتينية attogena بمعنى صغير الطير؟ وهي صيغة تصغير على وزن gallina ـ وقيل إنها من اليونانية attigen فانظر ما جاء في مادة (عتق):

العاتق: الناهض من فراخ القطا، وقيل: العاتق من الطير فوق الناهض، وهو أول ما يَتَحسَّر ريشه الأول وينبت له ريش جُلذي، أي جديد. وقيل: العاتق من الحمام ما لم يُسِنّ ويستحكم، والجمع: عُتُق.

44

إذا كان صغير الطير عند الرومان يدعى attagena، وكافأناها بما في الدارجة الليبية «**عتوقة**» (معقودة القاف) وهي في العربية الفصحى «**عاتق**» فإن في لهجة مصر «العتاقي» ـ في الصعيد و«العتائي» في شمال الوادي ـ ولكن معناها: كبير الطير، والدجاج خاصة. وثمة مثل شهير لدى إخوتنا أهل مصر يقول إن «**الدهن في العتاقي**».. أي

أن ما أسن من الدجاج كان أسمن وأكثر دسماً ودهناً. مثل يتعزى به من تقدمت به السن وطوحت به الأعوام. وفي مادة (عتق) العربية ما يفيد هذه الدلالة، فإن العتيق: القديم.

ويبدو أن الجذر «عتق» بمعنى «قدُم» دخل اللغة اليونانية منذ عصر مبكر، فسميت إحدى كبريات المدن اليونانية attica بمعنى «القديمة» كما تسمى «المدينة القديمة» في طرابلس مثلاً ـ وعربيتها «عتيقة». وأضيفت إليها نون في اللاتينية فكانت antic(us)ومنها الإنكليزية antique (وهو من الفرنسية) وantiquity ـ بمعنى: قديم وقِدم. ومنها تسمية الآثار antiquities (بالجمع) أي المخلفات العتيقة. ولا يزال أثر في لهجتنا الليبية في قولنا: (فلان هذا رجل أنتيكة) ـ أي عتيق، لا يماشي روح العصر ولا يحيا الحياة الحديثة.

فلنعد إلى حديث الطير بعد هذه الوقفة القصيرة.

أفتدري ما هو «**البطروس**»؟

هكذا عرّبنا التسمية عن الإنكليزية albatross ـ وهو ضرب من الطيور التي تعيش في المحيط الهادىء والبحار الجنوبية، أكبر الطيور المائية. المثير في الأمر أن تسمية «البطروس» هذه عربية النشأة فهي منقولة عن الإسبانية والبرتغالية في صورتي alcatroz وalcatruz عن العربية «القادوس». وكلمة «**القادوس**» بمد القاف صيغة «فاعول» ـ اسم أداة مثل: قادوم، شاقول، ناقوس، ناقور.. إلخ ـ وأصلها من مادة (قدس) التي جاء فيها: القَدَس = السطل، بلغة أهل الحجاز.

وقد فسر الزجّاج سبب التسمية بأن السطل سمي قَدَساً لأنه يتقدس منه، أي يُتطهر بما فيه من ماء. وهذا قول غير سليم، فإن الأصل البعيد من المصرية القديمة «ق د» بمعنى: وعاء، إناء، جرة. ثم زيدت السين فكانت «قدس» كما زيدت على «كرم» فكانت «كرموس».. على سبيل المثال.

لكن السؤال: ما صلة السطل (القدس) بهذا الطائر يا ترى؟

قال (معجم أكسفورد) الإشتقاقي إن العرب أطلقوا هذه التسمية على هذا الطائر بسبب ما يتدلى تحت منقاره من وعاء كبير حسبوه يحمل فيه الماء، فشبهوه بالسطل. وحقيقة الأمر أن هذا الطائر المائي يتخذ حوصلته الضخمة مخزناً للأسماك التي يلتقطها من البحر، عِجلاً، واحدة إثر أُخرى، ثم يهضمها ويتمثلها على مهل.

قال نفس المعجم إن «البطروس» هو ما يدعى في الإنكليزية الـ pelican «البليكان» وهو علامة تجارية مشهورة لسلسلة من الكتب الإنكليزية. فما هو هذا «البليكان»؟ إنه «البطروس» لكن اسمه pelican يرجع إلى اليونانية pelekan.. ولا يزيد.

ونحن نعلم أنه لا وجود لحرف الحاء في اللغات الهند ـ أوروبية، فإذا ما أخذت عن العروبية لفظة فيها حاء أبدلت، عادة، كافاً. وعلى هذا فإن جذر pelikan هو "PLK" الذي يقابل الجذر العربي (بلح) بتعاقب الباء المطبقة (B) والباء المهموسة (P). ونقرأ في هذه المادة:

البُلح: طائر أعظم من النسر، أبغث اللون محترق الريش، يقال إنه لا تقع ريشة من ريشه في وسط ريش سائر الطير إلا أحرقته. وقيل: هو النسر القديم الهرم، وفي (التهذيب): البُلح طائر أكبر من الرخم، والجمع بِلحان وبُلحان.

وهنا ملاحظتان:

الأولى: هذه الصورة الأسطورية لطائر البلح الذي «لا تقع ريشة من ريشه في وسط ريش سائر الطير إلا أحرقته «تقابلها الصورة الأسطورية عن الـ pelican عند الإنكليز التي تزعم أنه يقيت فراخه من دمه حسبما يورده معجم أكسفورد الإشتقاقي. **والثانية**: انطباق صيغة الجمع في العربية «بِلحان» على pelican (= pelikan) التي قد تكون منقولة في اليونانية عن صيغة الجمع العربية هذه (بِلحان).

إلى جانب «البليكان» هنا «البنغوين» penguin، طائر بحري جنوبي كذلك، وضع اسمه علامة تجارية لدار نشر شهيرة في بريطانيا، وكثيراً ما نجد صورته على علب الجبنة أو الزواق، أسود الريش عدا صدره الأبيض، يتهادى على رجلين مفلطحتين مهرولاً. وتقول المعاجم الأوروبية إن أصل التسمية غامض. أما عندنا فهو مكوَّن من pen (لاتينية penna = ريشة) + guin. وقد جاء في مادة (جون) العربية:

الجوْن: من الألوان يقع على الأبيض والأسود. والجَوْني: ضرب من القطا، سود بطون الأجنحة والقوادم قصار الأذناب، ولَبان

الجوني أبيض، بلبانه طوقان أصفر وأسود، وظهره أرقط أغبر، لا يفصح بصوته إذا صاح، وإنما يغرغر بصوت في حلقه.

وهذا ما ينطبق تمام الانطباق على طائر **«البنغوين»** عربي الاسم (أو لنقل: عربي نصف الاسم) مهما بعد حتى يصل المحيط المتجمد الجنوبي، ومهما تخفَّى وراء كتل الجليد.

45

تحدثنا فيما سبق عن طائر «البنغوين» وربطنا المقطع الثاني من اسمه (gouin/ guin) وبين العربية «جون: (gawn) ومنها «الجوني» ـ المدهش أن العرب المحدثين تخلوا عن التسمية العربية القديمة ودعوا هذا الطائر باسم آخر هو «البطريق». ولعل هذه التسمية ترجع إلى الشبه بين طائرنا هذا ـ الذي لا يمكنه في الواقع الطيران لأنه لا ريش له يمكنه من ذلك وإنما أدخل في زمرة الطير لأن له جناحين صغيرين، مثله في ذلك مثل «الخفاش» الذي نسميه في لهجتنا «طوير الليل» ـ وبين «البطريق» الذي هو كبير قساوسة النصارى؛ إذ يرتدي القس الأكبر هذا في العادة ثياباً سوداً وتغطي صدره لحية كثة بيضاء، يتهادى في مشيته فيبدو كطائر «البنغوين». . والله أعلم!

أتدري ما «البطريق»؟

قال في (لسان العرب): البِطريق، بلغة أهل الشام والروم هو القائد، معرب، وجمعه: بطارقة. وهو الحاذق بالحرب وأمورها عند الروم، وهو ذو منصب وتقدم عندهم، وأنشد ابن بري:

فــلا تــنــكــرونــي إن قــومــي أعــزة

بــطــارقــة بــيــض الــوجــوه كــرام

ويقال إن البطريق عربي وافق العجمي، وهي لغة أهل الحجاز، وقال أمية بن الصلّت:

مــن كــل بــطــريــق لــبــط

ريــق نــقــي الــوجــه واضــح

وفي مادة (بطرك): البطْرك: مقدم النصارى، وجاء في الشعر «البِطَرْك». قال الأصمعي في قول الراعي يصف ثوراً وحشياً:

يـعـلـو الـظـواهـر فـرداً لا ألـيـف لـه

مـشـي الـبِـطَـرْك عـلـيـه رَيْـط كـتـانِ

وهذه هي مشية «البنغوين» (البطريق ـ كما دعوناه في لغتنا المعاصرة). وفي قول ابن منظور إن «البطريق» عربي وافق العجمي شيء من الصواب ولكن بتحليل مختلف؛ فهذه الكلمة نجدها في الإنكليزية patriarch ذات دلالة دينية تاريخية، تعني «الأب الحاكم» في أسرة أو قبيلة (تقابل عندنا: الشيخ) وأطلقت في الدين النصراني على الأنبياء: إبراهيم وإسحاق ويعقوب وأبنائهم، كما أطلقت على قساوسة مدن أنطاكية والإسكندرية والقسطنطينية والقدس وروما. وهي من اليونانية Patri-Arkhe(s) ـ مكونة من مقطعين: Patri (اللاتينية Pater) = أب، والد، والمعنى الأصلي: **خالق** ـ عربيته «**فاطر**» + Arkhe(s) = حاكم، قديم، شيخ ـ عربيتها: «عريق».

«**الفاطر العريق**» = الأب الحاكم. Patriarche = بطرك = بطريق.

والحق أن تسميات الطير تختلط وتختلف؛ فمعاجم العربية القديمة لا تفرق مثلاً بين «**البط**» و«**الوز**» أو «الإوز»، وهما طائران مائيان بينهما تفرقة وإن لم تبن عند الأقدمين. غير أن ما يهمنا في هذه الأحاديث تسمية كل منهما.

ولنأخذ في أمر البط أولا؛ إذ يعرّفه (اللسان) بأنه «الإوز» واحدته: بطة ـ تطلق على الذكر والأنثى، مثل حمامة ودجاجة ـ أعجمي معرب، قال ابن جني: سميت كذلك حكاية لأصواتها، والبطبطة: صوت البط.

ولسنا ندري كيف تكون تسمية البط «أعجمية معربة» مع كونها حكاية لأصواتها؟ والذي غرّ ابن منظور أن «بط» هذه موجودة في الفارسية، ومنها تسمية الآلة الموسيقية «بربط» بمعنى: صدر البط، أي: العود. وفي الإنكليزية duck وتبدو حكاية للصوت كذلك.

ويقول: البطة: الدَّبة، وهي إناء كالقارورة، بلغة أهل مكة لأنها تعمل على شكل البطة من الحيوان، ويروى عن عمر بن عبد العزيز أنه: أتي «**بطةٍ**» فيها زيت فصبه في السراج (مادة: بطط).

وهنا يظهر الخلط مرة أُخرى؛ فكلمة «بطة» ـ التي هي وعاء كالقارورة ـ بلغة أهل مكة ليست سوى ما نعرفه باسم «بِتّية» أو «بَطْية» أو **بوطي**»، وهي في الإيطالية botto. وفي الإنكليزية pot (= إناء، وعاء فخاري) وليس بعيداً عنها bottle (قنينة، قارورة) ـ وهي

ي لهجة عرب العراق «بُطُل» ـ الإيطالية bottiglia (بوتّيلْيا). ومن
po وفي الإنكليزية مشتقات.. منها: pottery (صناعة الفخار)،
في الـفرنـسـيـة potterie وpotter (فـخّاري، خزّاف)، ومـن ذلـك
potag في الفرنسية، بمعنى: حساء من خضروات مطحونة، لأنه
عد في الـ pot (وعاء فخاري).. إلخ. حتى نصل إلى كلمة شهيرة
ي «بوتاس» potass (أيضاً potash) المادة القلوية المعروفة عند
يات البيوت، تدخل في عمليات التنظيف. وهي مكونة من
قطعين: pot = إناء، وعاء فخاري. ass (= ash) = رماد.

فهل تدري أن الكلمتين كلتيهما عربيتان؟

كيف يا أخي؟

إسمح لي أن آخذك إلى معجم اللغة الأكادية في بلاد الرافدين
نذ آلاف السنين قبل أن يكون للإنكليز وجود. ففي معجمها وفي
ص103) نجد: بَطِـ(ـيوم) bati(um) = وعاء، إناء (Gelb; Glossary
of Old Akkadian) وهذا أقدم مصدر وجدت فيه هذه اللفظة. ويبدو
نها انتقلت إلى اللاتينية في صورة Potu(s) (وعاء للشراب) ويقرر
معجمها أنها لفظة أجنبية، غير لاتينية، «دون شك» (ص529). أما
ass (= ash) بمعنى «رماد» في كلمة potass فهي العربية «آس». قال
في (لسان العرب): الآس = بقية **الرماد** بين الأثافي في الموقد.
(مادة: أوس).

أرأيت أن «**البوتاس**» كلمة عربية في مقطعيها؟

46

قرأت ذات يوم مقالة طريفة لشيخ عراقي عالم ظريف هو المرحوم الأستاذ عبد الحق فاضل في كتابه (مغامرت لغوية) عن أثر تسميات الحيوان في تعبيرنا المعنوي. وقد اقتبس الدكتور محمد التونجي الفكرة وتوسع فيها بعد ذلك في كتابه عن (لغة العرب)، ومن ذلك مثلاً أن كلمة **«جَمال»** وما يشتق منها: جميل، يتجمل، يجمُل، يجامل، مجاملة.. إلخ. ذات صلة بتسمية «الجمل» وكلمة **«أناقة»**، ومنها: أنيق، تأنق، ترجع إلى «الناقة» لأن الجمل والناقة كانا أهم ما لدى العربي في صحرائه الشاسعة. ويمكننا أن نضيف تسمية **«الغزال»** تلك التي منها: الغزَل، والتغزل، في باب الحب والغرام والشعر والأنغام. ويبدو أنها انتقلت إلى التركية **«غوزيل»** gôzel، فتسمع فيها تعبيراً من مثل **«شُوُكْ غوزيل»** shôk gôzel بمعنى «جميل جداً». وعادت إلى اللهجة الدارجة الليبية في صورة: **يقوزل»** (بالقاف المعقودة) بمعنى: يتأنق، يتجمل. و**«فلان مْقُوزِل»** ــ والاسم/ المصدر: **«تْقُوزِيلْ»** أي: التأنق وتحسين الهندام.. وإصلاح ما أفسد الدهر!

وهكذا تنشأ الألفاظ وتنمو وتتطور دلالاتها وتتبدل معانيها، وعند البحث عن (أصلها وفصلها) نجدها ألفاظاً بسيطة النشأة ملتصقة بالحياة الساذجة الأولى قبل أن تتعقد هذه الحياة وتشتبك خيوطها وتصبح لا تطاق!

خذ «البطة» التي جرى حديثها من قبل مثلاً: فقد جاءت تسميتها

من صوتها التي تصدره: بَطْ بَطْ.. بَطْ بَطْ. وكذلك الأمر في الإنكليزية duck. ومن شكلها سمي العود (الآلة الموسيقية المعروفة) في الفارسية «**بربط**» (صدر البط). وكذلك سمي القِدْر في العربية «بطِّية» (على النسبة إلى البط) ومنها الإنكليزية pot والإيطالية botte (وفي لهجتنا: بوطّي، وبِتّية). وسمي الراووق (الذي يروق فيه الماء) في العربية: **باطية** ـ وهو المصفاة. وسميت «**البُوطة**» التي يذيب فيها الصائغ وغيره من الصناع المعادن. ومن الواضح أن «البوطة» العزيزة هذه انتقلت إلى اليونانية فكانت فيها potikos. وحين عُرِّبت علوم اليونان نقلها التراجمة في صورة «**بوتقة**» وهي الوعاء الذي تذاب فيه المعادن، ثم استعيرت للتعبيرات الاجتماعية والسياسية: بوتقة المجتمع، بوتقة السياسة الدولية، حيث تختلط المسائل وحيث تمتزج العناصر ـ كاختلاط المعادن وامتزاجها عندما تذوب. وقد ظن كثير من الناس أن «البوتقة» يونانية معَّربة، وثبت خطأ هذا الظن، إذ هي تعود إلى تلك «البطة» المجيدة!

ولم تكتفِ البطة العجيبة بهذا الأثر فانصرفت إلى ناحية أُخرى؛ فمنها اشتقت في العربية كلمة «**باطية**» وهي هنا تعنى «**الدَّبة**». أتسألني: ما هي «الدَّبة» يا صاحبي؟ حسن. فاعلم إذن أنها تدعى «الدُّباء» و«الدُّباءة» كذلك، وهي «القرعة» التي يعرفها الطرابلسيون باسم «**القرعة الحمراء**» والمصراتيون يسمونها «**بْكِيوة**»، أما البنغازيون فيدعونها «**بَكْوة**».

قال صاحب (لسان العرب): الدَّبَّة: التي يجعل فيها الزيت والبزر والدهن، وجمعها: دِباب. ويقال: دُباء، ودباءة. وفي شعر ينسب إلى امرىء القيس:

إذا أقبَلت قلت دُبّاءة
من الخُضر مغموسة في الغدر

قال: وهي اليقطين الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾ [سورة الصافات: 146].

فاليقطين إذن هو القرع، والقرعة تدعى «باطية»، والباطية هي الدَّبة. وكان من العادة أن يتخذ من ضرب من القرع أوعية للسوائل تحفظ فيها، وللماء أيضاً، عند أهل الريف كما هو حال القربة عند أهل البداوة من القوم. فلما عمت أوعية الزجاج بطل استعمال القرع أوعية لكن التسمية ظلت سارية على كل حال. ففي المغرب والجزائر تدعى قنينة الشراب **«قرعة»**، أما في بلاد تونس فتسمى **«دبُّوزة»**. . ولا جدال في أن الأخيرة مشتقة من **«دَبّة»** بزيادة الزاي. . من باب البركة (زيادة الخير خيرين. . كما يقال!).

لا حول ولا قوة إلا بالله. يبدو أن هذه البطة لن تتركنا وشأننا، أو أننا لن نتركها وشأنها، إذ تلاحقنا وهي «تقاقي»: أنا هنا. . إحِّم. حتى نسينا صويحبتها «الوزة» بائسة حزينة لعدم الاكتراث بها. فلنجاملها قليلاً. . لو سمحت.

قال في (لسان العرب): الوزة البطة. (وهذا غلط. حتى أطفالنا

يعرفون الفرق ما بين الوزة والبطة!). وهي: الإوزة أيضاً. وجمعها: إوز و إوزُّون. قال الشاعر (ولم يسمه):

تلقى الإوزين في أكناف دارتها

فوضى وبين يديها التين منثور

أي أن هذه المرأة تحضرت، فالإوز في دارتها تأكل التين.

قال الجوهري: الوَزُّ لغة في الإوَزّ ـ وهو من طير الماء. (صَحْ!) وهناك حديث طويل عن الوز والإوز يعود إليه من يحب الاستزادة.

أويشك أحد في عروبة الوزة التليدة؟

إن لم يكن ثمة شك فلنر ماذا تدعى في لغات الفرنجة، أو في بعضها على الأقل. فهي في الإنكليزية goose. فلو نُطقت القاف المعقودة ألفاً مهموزة كما هو نطق عرب شمال مصر وحاضرة الشام مثلاً ـ لكانت «**أوز**» ôoze. وهذه هي ذاتها «**إوز**». غير أن معاجم الروم تقول إن goose هذه ذات صلة باللاتينية aus-er وهي في السنسكريتية hansa وفي اللتوانية zasi (وجمعها zasu) وكلها قريبة جداً من «وز» و«إوز» في العربية. ألا ترى هذا يا صاحبي؟!

ولا ينتهي الأمر عند هذا الحد. فمن العجيب أن يدعى ذكر الوز في الإنكليزية gander التي يرددها أطفال السكسونيين في بداية حياتهم:

"Goosey, goosey, gander

where shall I wonder,
upstairs, downstairs
till my lady comes back”

وفي العربية الفصحى: الغُنْدَر؛ الغلام الناعم السمين الغليظ.. مثل ذكر الوز. وفي العربية الدارجة: الغندور؛ الفتى المزهو بفتوته يمشي مختالاً. ولا تقولن إن العربية أخذت عن الإنكليزية، إذ أن كلمة (غندور) آرامية قديمة ومنها «اتغندر» مشى مختالاً (رفائيل نخلة اليسوعي؛ غرائب اللهجة اللبنانية والسورية، ص91).

أخيراً.. قال ابن منظور في مادة (وزز): الوزوزة: مقاربة الخطو مع تحريك الجسد.

وهذه هي «الغندرة» في اللهجات العربية، ومنها الإنكليزية gander وكله إلى البط يرجع وإلى الوز يعود.

47

من منا لا يعرف «**الكارْطَة**»؟

إنها لعبة الورق المعروفة على مستوى العالم كله، ويقال إن الصينيين كانوا أول من ابتدعها، للتسلية وتزجية الفراغ، ثم تحولت إلى ضرب من القمار يأخذ بخناق صاحبه فلا يفلت أبداً إلا بمعجزة من المعجزات. وقد تعددت طرق اللعب بالورق وتنوعت أساليبه، منها ما هو متداول لدينا ومنها المجهول الغريب. ولها تسمياتها ونعوتها، من مثل: **الشكوَّبة**، **السكمبيل** (وهما أشهر لعبتين عندنا)

ثم: **البازقة، والروندة، والبرنجي، والرومينو**. وهي ألعاب تسلية، بينما يعرف المقامرون: **البوكر، والبكاراه**، ونحوهما.

ولا يقتصر استعمال الورق هذا على اللعب، حلالاً أو حراماً، بل تعداه إلى عالم آخر.. عالم المجهول، أو عالم الغيب، إن شئت. فظهر من يزعم الإطلاع على الغيب، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، عن طريق ما يدعى «فتح الورق»، وذلك بالنظر في مجموعة الأشكال المرسومة على أوراق اللعب وحزر ما «تنبيء» به من أحوال الراغب في معرفة ما خفي عنه من مسائل الحياة. واتخذ فريق من العيَّارين هذه الأوراق وسيلة لخداع السذج وغش البسطاء، ينتشرون في الأسواق أو بين حشود المناسبات ويضعون أمامهم ثلاث ورقات يطلعون المرء عليها ليحدد موقع إحدى الأوراق بعد أن يحركها العيار بين يديه بسرعة خاطفة ويضعها على الأرض مقلوبة، فيصيب المراهن مرة ويخفق مرات، حتى يسلب ماله وما كسب. وهذا ما أدى التعبير المصري الشهير عن الغش والخداع بأنه «شغل الثلاث ورقات».

وعلى ذكر التعابير المتصلة بلعبة الورق هذه نجد في بلادنا من يقول لصاحبه يستحثه على عدم الاهتمام بمسألة ما: «**يا أخي.. برّه شنكة**» ـ أي ارم «شنكة» وهي ورقة غير ذات قيمة في قانون اللعب. أو يَصِفُ شخصاً ما بأنه «ما يسواش **صايلي**». و«الصايلى» ورقة يحسب لها قدر ما عند اللعب، أو هو يصفه بأنه «**لا يكوّز** ولا يعطي **سكمبيل**» ـ وكلمة «يكوّز» فعل مشتق من «الكوز» الذي يمثله

«اللاص» (= الرقم1) و«التريس» (= الرقم3) وهما عظيما القدر في لعبة «السكمبيل» التي تلعب بأربعة أشخاص أو بستة، وبالمناسبة فإن (**سكمبيل بستة**) عنوان رواية من روايات الصديق الدكتور محمد صالح القمودي.

ومع أن ما ذكرت من أسماء أنواع اللعب بالورق أجنبية واضحة، إيطالية أو فرنسية، فإن المرء يلاحظ شيئاً عجيباً، هو أن تسميات أوراق اللعب ذاتها إسبانية في مجملها، ننطقها كما هي في لغتها تلك. إذ نعرف الأوراق التي تحمل علامات من (1) إلى (6) كما يلي: «**لاص**» (الإسبانية as)، «**دوس**» (الإسبانية dos)، «**تريس**» (الإسبانية tres)، «**كواترو**» (الإسبانية cuatro)، «**شِنْكوِي**» (الإسبانية cinco)، «**شيش**» (الإسبانية seis). أما الورقة التي تحمل العلامة (7) فاسمها «**سبعة**». ولا أدري لِمَ لَمْ تُدْعَ siete وهو اسمها في الإسبانية.

ليس هذا فحسب بل إن تسميات الأوراق الثلاث ذات الصور المكملة للعشرة إسبانية كذلك. نجد «البنت» ـ كما يدعوها عرب مصر ـ تسمى عندنا «**موجيرة**» وهي في الإسبانية mujer وتنطق حديثاً muher بمعنى: امرأة، سيدة. و«الولد» ندعوه «**كاوان**»، وفي الإسبانية caballero (فارس، من caballo = فرس ـ لأن الصورة القديمة كانت تمثل بفارس يعلو صهوة جواده) و«الشايب» نسميه «**رَيْ**» وفي الإسبانية rey.

أما في تسميات أقسام الورق الأربعة فإن لدينا: «**الديناري**» (في

الإسبانية dinar)، و«**الكُبِّي**» (الإسبانية copa)، و«**البسطون**» (الإسبانية pistol)، ما عدا «**السباطة**» التي جاءت، فيما يبدو، من الإيطالية spada إذ هي في الإسبانية azada.

والسؤال الذي يحير المرء في هذا المجال: ما الذي جعل الأثر الإسباني لا يبين في غير هذا المجال، مجال «الكارطة» يا ترى؟

نعم. لقد احتل الإسبان طرابلس في القرن السادس عشر (الإفرنجي) وظلوا فيها مُدَّةً حتى أسلموها بعدئذ إلى فرسان القديس يوحنا الذين كانوا يتخذون من جزيرة رودس، ثم مالطة بعد ذلك، مركزاً لهجماتهم الصليبية على الشواطىء العربية الإسلامية. لكن الاحتلال الإسباني ظل قاصراً على مدينة طرابلس ليس غير ولم يتعدَّ المحتلون أسوارها. ولا نعرف لهم من أثر ثقافي أو حضاري يذكر. كل ما نعرفه أنهم بنوا قلعة طرابلس التي ندعوها الآن «السراي الحمراء»، وأنهم خلفوا من ورائهم تسميات ما يتعلق بلعبة الورق. ويبدو لي، والله أعلم، أن الإسبانيين ظلوا محصورين داخل أسوار طرابلس معتصمين بقلعتهم جملة عقود من الزمان لا يجرؤون على الخروج. فماذا كانوا يفعلون سوى أن «يلعبوا الكارطة». فكان هذا الأثر؟!

جائز. فمن كان يملك تفسيراً غير هذا فليفدنا به محموداً مشكوراً وله من الله الأجر والثواب.

قد يقول قائل إن ما أوردته مأخوذ عن الإيطالية. عفوك ـ أقول

له ـ فالطليان لا يدعون الرقم (2) dos بل due، والرقم (3) عندهم: tre وليس tres. والسيدة: donna وليس mujer (= muher) الإسبانية. . إلخ. وهذا لا يعني أنه لم يكن للإيطالية والإنكليزية، بل والألمانية، دور في ما نحن فيه.

لقد «ختلطت الأوراق». وهذا تعبير مستحدث مقتبس من لعبة «الكارطة» أو لعبة «الورق»، تعبير يستعمل كثيراً في حديث السياسة وأراجيف السياسيين، بعد أن «مَشْكِينا الكارطة» يا صاحبي.

معذرة.

أتحب أن تعرف أصل ما ذكرناه من كلمات؟ فتابع معي ما يلي. . من فضلك!

48

من التعابير المقتبسة عن لعبة الورق (الكارطة) التي تحدثنا عنها فيما سبق قولهم عن الأمر الذي لا يصمد للملمات إنه «بيت من ورق»، وليس المقصود الورق المألوف بل أوراق اللعب، إذ إن الأصل في الإنكليزية house of cards وليس house of paper. ذلك لأن المرء يتلهى بأن يوصل هذه الأوراق بعضها ببعض مكوناً أربعة جدران وسقفاً سرعان ما تتهاوى.

وفي المفاوضات الفردية والعامة كثيراً ما نسمع أحدهم يقول: «فلنضع الأوراق على المنضدة»، كناية عن بدء المفاوضة والمساومة. . والحاذق هو الذي يعرف كيف «يستعمل أوراقه».

وحين يحتدم النقاش ويثور الجدل ويصل المتقابلون إلى نقطة الحسم ينبري من يقول: «فلنكشف أوراقنا الآن» يعني أن المسألة باتت في حاجة إلى وضوح لا يشوبه غموض. أي فلنكن صرحاء وليطلع كل منا صاحبه على ما ينوي.

فانظر - بالله عليك - أثر هذه «الكارطة» العجيب في لغتنا الاجتماعية العامة، كما هو في لغة الأدب والفكر والسياسة والاقتصاد.

ولقد وعدت بتأصيل بعض مصطلحات هذه اللعبة وتفصيلها. فلنفعل إذن قبل أن «نركِّح الطرح» كما نقول.. وهذا تعبير آخر يضاف إلى ما سبق، بمعنى تهدئة اللعب، ثم استعير للنصيحة بتناول المسألة بهدوء.

و«الطرح» في لهجتنا، كما تعرف قطعاً، يعني الجولة الواحدة من جملة جولات اللعب، والأصل فيه: **طرح** أوراق اللعب على المنضدة، ثم استعمل «الطرح» مجازياً **للفصل** في لهجة عرب مصر، أو هو «المقلب» كما يعبرون.

تتكون أوراق اللعب العادية من أربعين ورقة تنقسم إلى أربعة أقسام وإلى لونين؛ أحمر وأسود. وينقسم اللون الأحمر إلى شكلين أولهما مضلع الشكل يسمى **«الديناري»**.. من الإسبانية dinar بمعنى **«أحمر»**، ولا شك في أن الإسبانية آخذة عن العربية **«دينار»** - تلك العملة المسكوكة من الذهب الأحمر اللماع. أما الثاني فعلى شكل

قلب هو في أصله يدعى «**الكُبِّي**» ـ إسبانيته copa ومعناها: قدح، كأس. وهذه من العربية «**كوب**» لا جدال. وينقسم اللون الأسود إلى شكلين، أحدهما يسمى «**البسطون**» ذو ثلاث شعب، ويبدو أن التسمية الأصلية من الإسبانية baston بمعنى الهراوة أو العصا المزينة الرأس التي يحملها كبار الضباط، كما هو الحال في «عصا الماريشالية» مثلاً. ومن هنا جاء التعبير الليبي: «فلان طاح بسطونه» ـ أي أنه ذلَّ بعد عز بأن سُلب عصا السلطة فزالت هيبته. . والأمر لله من قبل ومن بعد! . وفي الإسبانية bastonada (ضرب بالعصا، قرع). ومثل ذلك في الإيطالية bastone (عصا، قضيب، هراوة) bastonare (يقرع). وهذا يكافىء ما في لهجة عرب العراق «بسط» بمعنى: ضرب ضرباً مليحاً، و«البسطة» عندهم هي «الطريحة» في لهجتنا و«العلقة» في لهجة عرب مصر.

أما الشكل الثاني فندعوه «**سباطة**»، ويبدو على شكل «مجرفة» (بالة ـ في لهجتنا) وهي تلك الأداة الحافرة القاطعة تحفر بها التربة ويزال التراب. والدلالة الأصلية فيها هي دلالة القطع. نجدها في الإنكليزية spade (مجرفة) وفي الإيطالية spada (سيف) وفي اللاتينية spatha (قطع) وفي اليونانية spathê (حد قاطع، شفرة). وفي الإسبانية espada (سيف). وأين العربية يا أخي؟ إنها في مادة (**سبت**) وفيها: سَبَتَ الشعَر عن الجلد = حلقه وأزاله (كما تفعل المجرفة). وسبت عنقه: قطعها (كما يفعل السيف) ومن ذلك: **السِّبت** = السير المقطوع من الجلد (نسميه في لهجتنا: «**سِبتة**»

ونجمعه على «سُبِتْ»، نتخذه حزاماً). والدلالة نفسها نجدها في مادة (سبد) بالدال، وفي (سبط) بالطاء، أيضاً.

فمن شاء ـ بعد هذا ـ أن يعرف تسميات أوراق اللعب، أو يعيدها إلى عروبتها، فليبق على «**الديناري**» ـ لأنه نسبة إلى الدينار، وليسم «الكُبِّي»: الكوبي، نسبة إلى الكوب، وليدع «البسطون»: البسطي، وليكن «السباطة»: السبطي ـ فيأمن الملامة!

هيه! ما رأيك في أن «**تمشكي** الكارطة» الآن؟

أتسأل: ما معنى «**يمشكي**»؟

معناها: **يخلط** الأوراق. وهي في الإيطالية mischia (اختلاط) mischiare, (يخلط، يمزج دون ترتيب). وفي الإنكليزية mix (وأصلها البعيد misk). وفي الفرنسية mixte (مختلط). قالوا إنها من اللاتينية misce-re. وهذه من اليونانية misqô. أيغفلون العربية «**مزج**»؟ مزج الشيء، يمزجه: خلطه. وسمّى أبو ذؤيب الماء الذي تخلط به الخمر مِزْجاً، فقال:

بِمزجٍ من العَذب، عذب السَّراة
يزعزعه الريح بعد المطر

وكذلك الأمر في «مشج»، ومنها: الأمشاج ـ بمعنى الأخلاط الواردة في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [سورة الإنسان: 2].

الإنكليز يعبرون عن خلط أوراق اللعب بـ shuffle ـ ومن هنا

جاء التعبير السياسي reshuffle أي إعادة تشكيل الوزارة لديهم. قالوا مرة إنها من الجرمانية العتيقة العليا scioban (وهذه نكافئها بالعربية «شوب» بمعنى: خلط ومزج). وقالوا مرة أُخرى إنها من الجرمانية skeubh (وهذه نقارنها بمقلوبها في العربية «**شبك**»). لكنني لا أجد مقابلاً للإنكليزية shuffle هذه أدق من الدارجة الليبية: «**يشفلك**»، أي يخبط خبط عشواء، يخلط، يعمل عملاً مضطرباً ممتزجاً متداخلاً بعضه في بعض. فهو رجل «شفلاك».

49

عندما ترتفع عقيرة ذاك المغني الكفيف تصحبها أنغام الآلات، منشداً بصوت جهوري: «**الأرض بتتكلم عربي.. وتقول: الله!**»، فإنما هو يعلن للملأ واقعاً حقاً وحقيقة واقعة.

انظر إلى كلمة «**أرض**» ذاتها في العربية وقارنها بما في لغات أُخرى؛ تجدها في الإنكليزية earth وفي الألمانية earde وفي السويدية jord (يورد) وفي اليدية erd، وفي العبرية erets، وفي الآرامية «إرعا» (وقد أبدلت الضاد عيناً كالعادة)، ونضيف: القوطية airtha والجرمانية القديمة erda والنوردية العتيقة jorth (يورث).. وهكذا إلى ما شاء الله. وهي العربية «**أرض**» بالضاد التي خصت بها هذه اللغة الشريفة.

فإذا أخذت الصيغة الإنكليزية earth مثلاً لحقت بها مشتقاتها من مثل: earthy = أرضي، دنيوي، طيني. earthen = مصنوع من

الطين/ الأرض، فخار. earthquake = هزة أرضية، زلزال. وearth = طمر بالطين، غطى جذور النبت بالتراب.. إلخ.

لكن الفرنسية تستعمل كلمة terre بمعنى «الأرض» والإيطالية terra والإسبانية tierre ـ ومن ذلك في الإنكليزية terrestial (أرضي) و terrace (تَلَّة من الأرض تبنى عليها صفوف منازل) وterracotta (تماثيل أو زخارف بيوت من الفخار) ومشتقات أُخرى لا أثقل بها عليك. وقالوا إن الأصل في هذا كله اللاتينية terra. أليست هذه هي العربية «ثَرَى»؟

وإذا كان معنى «الثَّرَى» قد تطور إلى معنى التراب الندي فإن الأصل فيه الأرض وقوله عز وجل: ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [سورة طه: 6] جاء في التفسير أنه ما تحت الأرض (اللسان: ثرا). ونحن نقول في المثل يضرب للفرق الشاسع بين الأمرين: أين الثرى من الثريّا؟ ـ أي: ما أوسع الشقة بين الأرض والسماء.

والثريّا ـ إذا رمت أن تعرف ـ مجموعة من النجوم اللامعة، أو هي اسم نجم معروف. لا يتكلم به إلا مصغَّراً وهو تصغير على جهة التكبير. والثريّا من السرج، على وجه التشبيه. وكذلك نفعل؛ إذ نسمي في لهجتنا مجموعة المصابيح المعلقة في السقف «تريّا» ونجمعها على «تريّات».

وفي السماء نجم آخر شهير هو «الزُّهَرة» (بضم الزاي وفتح الهاء) عرفه ابن منظور بأنه: «هذا الكوكب الأبيض «قال فيه الشاعر:

قـد وكـلـتـنـي طَـلَّـتـي بـالـسـمـسـرة

وأيـقـظـتـنـي لـطـلـوع الـزُّهَـرة

ومن البين أن الزُّهَرة سميت كذلك لزهورها، أي لتلألؤها الوهاج.

وقد سطت اليونانية على العربية «زُهَرة» ونطقتها Seirios وعنها أخذت اللاتينية ثم الإنكليزية Sirius وتعرف عند عامتهم باسم Dog-Star (نجمة الكلب).

ويبدو أن ثمة صلة قريبة بين «الزُهَرة» و«الشِّعرى» ـ وإن اختلف التعريف قليلاً. وفي قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ [سورة النجم: 49] قيل إن الشعرى كوكب نير. وهما الشعريان؛ العبور التي في الجوزاء، والغميصاء التي في الذراع، تزعم العرب أنهما أختا سهيل. وعبد الشعرى العبور طائفة من العرب في الجاهلية. وكانت تُعبد، فأنزل الله تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ [سورة النجم: 49] أي الشعرى التي تعبدونها.

ولقد كانت عبادة النجوم سائدة عند الشعوب العروبية القديمة، وكان أشهر من اهتم بعبادتها البابليين ـ أهل العراق القديم ـ الذين عرف من ظل يعبدها منهم حتى ظهور الإسلام باسم «الصابئين» في القرآن الكريم، و«الصابئة» في المؤلفات العربية ـ وسيلي حديث عنهم بإذن الله. وكانت المعبودة الأهم لديهم تدعى **«عشتر»**، التي عرفناها حديثاً في صورة **«عشتار»** ويكثر ذكرها في شعر المحدثين

وتعرف في العبرية بصيغة الجمع (**عشتُروْت**) وفي الكنعانية مؤنثة (**عشترت**) وعند أهل اليمن القدماء مذكرةً (**عثتر**) بتعاقب الشين والثاء المثلثة. وفي القلم المسماري الذي كتب به البابليون لا وجود لحرف العين الذي يبدل ألفاً مهموزة فتكون «**أشتر**». وخصت نجم الزَّهَرة (= الشعرى، Seirios).

ها قد وصلنا.

أتدري ما اسم «النجم» في الإنكليزية؟ إنه Star. وفي أغاني أطفال السكسون ترنيمة شهيرة تقول:

Twinkle, twinkle, little star,

How I wonder what you are!

أي: اسطع، اسطع، أيها النجم الصغير

لكم أعجب ماذا تكون!

وشبيه بهذا ما في الألمانية stern (نجم/ نجمة) والسويدية stjarna والإسبانية strelle. أما عند الطليان فهي stella. وفي الفرنسية étoile. وكلها من اللاتينية stella التي بين معجمها (ص 646) أن اللام فيها مبدلة من الراء (ster = stel) ولكنه احتار في أصلها. فلو نظر في اليونانية astor (نجم) لأدرك أن هذه من العروبية البابلية «أشتر» وهي ذاتها «عشتر» (عشتار) = نجمة الزهرة، ثم النجم عامة. وقد أسقطت الفرنسية السين فكانت étoile وظلت كما هي في الإنكليزية، وقريباتها، star.

من اليونانية astor المنقولة عن البابلية «أشتر» أخذت اللاتينية astru(m) بمعنى «نجم» أيضاً (الفرنسية astre = نجم، كوكب) ومنها الصفة astral في الإنكليزية (نجمي، متعلق بالنجوم) وتعبيرات علمية من مثل: Asrtonomy (علم النجوم، علم الفلك) Astrology (علم التنجيم) وAstronaut (رجل الفضاء، حرفياً: ملاّح النجوم)، وAstrolabe (آلة فلكية عربناها من قديم: اسطرلاب)، وله حديث.

50

في حديثنا السابق ذكرنا «الاسطرلاب». ويقول عنه أبو عبد اللّه محمد الخوارزمي في كتابه المعروف (مفاتيح العلوم. ص134):

«لاسطرلاب معناه: مقياس النجوم. وهو باليونانية: (اصطرلابون). و(اصطر) هو النجم و(لابون) هو المرآة. وقد يهذي بعض المولعين بالإشتقاقات في هذا الاسم بما لا معنى له، وهو أنهم يزعمون أن (لاب) اسم رجل و(أسطر) جمع (سطر) وهو الخط. وهذا اسم يوناني اشتقاقه من لسان العرب جهل وسَخَف».

وللخوارزمي الحق في تجهيل من قال هذا القول السخيف فِعْلاً غير المبني على حُجَّة تأثيلية أو برهان تأصيلي. غير أنه أخطأ في تفسيره كلمة «لاب» (وأصلها» لابون») بمعنى «المرآة» ـ فإن معنى الكلمة في اليونانية (Labe) هو الأخذ والإمساك، وAstro: النجم. فكأن الترجمة الحرفية لـ Astrolab(on) هي «أخذ النجوم»/ «الإمساك بالنجوم» وذلك برصدها عن طريق هذه الآلة وضبط

حركتها وتحديد مسارها ومعرفة أنوائها، فكأن الراصد «أمسك» بها و«أخذها» بين يديه.

وقد بينا أن astro اليونانية (نجم) مأخوذة عن العروبية «أشتر» (أو «عشتار»). ومن هنا جاز لنا القول إن نصف الكلمة المركبة (اسطرلاب) عربي الأرومة، رغم اعتراض الخوارزمي ـ رحمه الله ـ وله عذره: إذ لم يكن يعرف شيئاً عن اللغة العروبية البابلية أو غيرها من العروبيات.

ولم ترتبط «عشتار» بديانة البابليين الأقدمين فحسب، بل نجدها في النصرانية الغربية في صورة Easter عند الإنكليز وهو عيد يقع في الشهر الرابع من السنة، تذبح فيه الديوك الرومية قرباناً قديماً لربة الفجر الإنكليزية العتيقة Eastre (في الجرمانية Astarûm) وهي نجمة الصباح وإتباعاً لعيد يهودي احتفالاً بخروج بني إسرائيل من مصر ـ حسب تقاليدهم ـ نعرفه باسم «الفِصْح» (في العبرية pesah. اللاتينية pascua/ pascha. اليونانية paskha. العربية: **فسق**).

«ربة الفجر» الإنكليزية هذه تعرف عند اللاتين باسم: Aurora ـ وهي كذلك في الإيطالية، وفي الفرنسية Aurore. ثم صارت تعني الفجر ذاته، أو بداية الصباح حين تبدو أشعة الشمس الأولى من وراء الأفق. وهذه هي العربية «**أوار**». والأُوار ـ بالضم ـ وهج الشمس.

والشمس كوكب منير تنسب إليه مجموعتنا الشمسية، وهي واحدة من مجموعات لا تحصى في هذا الكون العظيم بأفلاكه

وسُدمه يمتد إلى ما لا نهاية ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة يس: 40] يدور الكوكب حول نفسه ويطوف حول سواه ويطوف به غيره في «مدار» لا يعلم بدايته ولا غايته إلا الله سبحانه وتعالى. وهذا المدار يدعى في الإنكليزية Orbit (وهذه اسم محطة إرسال فضائي للبرامج المرئية ما من أحد، في ظني، إلا سمع بها على الأقل إن لم يكن شاهدها).

كلمة orbit (المدار) كما هو حال كلمة orb (حلقة، دائرة، خاتم) والصفة orbicular (دائري) يقود إلى اللاتينية orbi(s) (حلقة) وorbita (طريق عجلة المركبة، ثم مدار القمر) ثم صارت تستعمل بمعنى مدار الفلك في عالم النجوم والفضاء الوسيع. ويقرر معجم اللغة اللاتينية (ص466) أن أصلها غامض غير معروف. وهو حاول أن يصلها باليونانية erefô بمعنى: غطى، أخفى، غيب، ستر ـ إشارة إلى غروب النجوم. ونسي أن هذه ليست سوى العربية «**غرب**».

فلو نظر هؤلاء الفرنجة في معاجم العربية لوجدوا بغيتهم، ولما احتاروا كل هذه الحيرة؛ فإن مادة (عرب) في اللغات العروبية القديمة تفيد السير والدوران معاً. ومن ذلك: **العَرَبة** = النهر الشديد الجري (اللسان: عرب). بل لقد قيل في تفسير نشأة كلمة «**عرب**» نفسها إنها تعود إلى جولان القبائل العربية ودورانها في شبه الجزيرة من مكان إلى مكان.

ولماذا نبعد؟ هناك «العَرَبة» (وجمعها: عربات) التي أطلقت في البداية على «السيَّارة»، وحرِّفت إلى «**عربيّة**» تطلق في مصر على

السيارة التي تجري بوساطة محرك كما تطلق على تلك التي يجرها حصان. ومن ذلك: عربية الكارُّو، وعربية الحنطور.. إلخ. وفي بلادنا تحدد استعمالها بالعربة التي تجرها حصان، وهي ذاتها «الكرُّوسة» ـ وكنا نسميها: عربية، أي: عربة ـ تلك التي تجري على الطرقات وتدور عجلاتها في مدارها الملعوم.

ها هي الـ Orbit عادة عربية خالصة، بفضل الله.

غير أن الجذر «عرب» في لغتنا الشريفة لم يكتف بهذا، فإننا نجده في مفردات إفرنجية أُخرى، من مثل urban الإنكليزية (مديني، نسبة إلى المدينة). وأصلها من اللاتينية urb(s) (مدينة) لكن المعنى الأصلي يفيد **الدوران** أي إحاطة الجُذُر أو السور بالمدينة، كما هو حال العربية «**دار**»، «ديرة» فهي من مادة «**دور**».

ونجدها في كلمة orphan (يتيم) ومنها orphanage (دار الأيتام/ ملجأ الأيتام) التي تعود إلى اليونانية orphan/os بمعنى: قطع (تماماً كما أن «قزُّون» بمعنى اليتيم في لهجتنا من مادة «قزن = قزل» = قطع) لأن اليتيم مقطوع الأبوين أو أحدهما. وهذه هي «عرب» بالذات. قال في (لسان العرب): التعريب: قطع سعف النخيل.

وتضاف النون فيقال «**عربن**» الشجر، أي قطع أطراف أغصانه وشذبها. وهي عينها اليونانية orphano(s) ومنها الإنكليزية orphan (يتيم ـ مقطوع من شجرة، كما هو تعبير إخواننا عرب مصر).

وهناك ـ أخيراً ـ العُرْبون (ويقال: العَرَبون) أي مقدم شراء الشيء، حسبه ابن منظور أعجمياً معرباً. وقد أخطأ؛ فإنما هو **«قطعة»** من المال تدفع مقدماً من جملة الثمن، فهو جزء «معربن» من كُلّ.

وكم في لغة الأعاريب من أعاجيب!

51

ليست الأرض وحدها هي التي «تتكلم عربي»، بل السماوات أيضاً. وأعلاها.. في أوج الأفلاك.. يدعى عند الفرنجة zenith. ولا يختلفون في إعادة الكلمة إلى العربية «سَمْتُ» (الرأسِ). وقريب من ذلك الإنكليزية summit (أوج، ذروة، قمة) وتتردد في لغة السياسة والمؤتمرات summit meeting (اجتماع القمة) يأتمر فيها رؤساء الدول والحكومات أو يتآمرون.. سيان. وهي تعاد إلى اللاتينية summu(s), summa بمعنى: الأعلى، الأرفع (الفرنسية sommet). وقد تكون السين مبدلة من القاف في العربية **«قمّة»**، لكنهم قالوا إن الأصل البعيد يعني الجمع، كما هو الحال في الإنكليزية sum (مبلغ من المال ـ مثلاً. الفرنسية somme). وهنا نقارن بالعربية: صمم ـ وفيها معنى الجمع والاجتماع؛ رجل صَمَمٌ = مجتمع الخلق، والصِّمْصِمة: الجماعة من الناس، كالزِّمزِمة. قال:

وحال دوني من الأنبار صِمْصِمَةٌ

كانوا الأنوف وكانوا الأكرمين أبا

وتبدل الصاد زاياً فنجد: **زمم**. وفيها: الزِّمزِمة = الجماعة من الناس، كالصِّمصِمة. قال:

إذا تـدانـى زِمـزِمٌ لـزِمـزِم
من كـل جـيـش عَـتِـدٍ عـرمـرم
وحـار قـوّارُ الـعـجـاج الأقـتـم
نـضـرب رأس الأبـلـح الـغَـشَـمْـشَـمِ

وتتعاقب الصاد والزاي والضاد فنجد: **ضمم**. والضم: جمع الشيء إلى الشيء.

من اللاتينية summa التي تكافىء العربية: صَمَّ، زَمَّ، ضَمَّ ـ جاءت الإنكليزية sum (مجموع، مبلغ من المال) كما انبثقت أيضاً summary (ملخص، موجز) التي نسمعها تتردد في الإذاعات كثيراً news summary أو summary of the news (موجز الأخبار) والفعل منها summarize (يوجز، يلخص، يجمل) والاسم summation (إضافة، جمع، ضم «اليكون» في الحساب).. وهلم جراً.. فإن الكلم يجر بعضه بعضاً.

في عالم الفضاء، في عصر الفضاء هذا الذي نعيش أيامه، دخلت لغتنا مفردات أوروبية حديثة. من ذلك مثلاً **«الستلايت»**، ويعبر بعض القوم بها عن الطبق الذي يستقبل موجات التلفزة الفضائية، وهي إنكليزية Satellite قيل إنها من اللاتينية Satellit (حارس) لكن المعنى الأصلي هو: تابع، والمعنى الأبعد: ذيل

(بالمناسبة: كلمة «**ذيل**» العربية، هي في الإنكليزية tail. . فتأمل!).

فلنعد إلى «الستلاليت». فإن أصلها ـ قبل ما لحق بها من إضافات ـ هو "sat". وفي المصرية القديمة نجد "SD" بمعنى «ذيل». وفي العربية نلقى بغيتنا في مادة (سدد) وفيها: السَّدُّ، والسُّدُّ، والسِّداد: ما سُدَّ به. ومن ذلك: سِداد القارورة، وهو صِمامها لأنه يَسُدُّ رأسها. . إلخ.

وفضل بعض قومنا أن يسمى طبق استقبال الموجات التلفزية الفضائية «دِشّ» ويجمعونها على «أدشاش». وهي من الإنكليزية dish بمعنى «طبق» وهي ذاتها disc وdisk (طبق، قرص) وتطلق على قرص القمر كما تطلق على الأسطوانة المسجلة سواء بسواء، وهي تترد على الألسنة عندنا في مثل «ديسكو» (مرقص ذو موسيقى صاخبة) و«ديسكو» (فقرة في الظهر تؤلم لداء أو كسر).

فهلا نظر أحد في مادة (دسق) في (اللسان)؟

قال: الديسق: الحوض، والخوان من فضة، وهو اسم مكيال أو إناء وهو الطست. . وكلها دائرية الشكل «قال أبو عبيد: الديسق معرَّب وهو بالفارسية طَشْتخُوان». وهذا غير لازم، فإن الدلالة الأصلية في «الدسق» هي اللمعان والبياض، كلمعان الماء وبياض الفضة، ولذا خصت في البداية الماء في الحوض، ثم خصت خوان الفضة، كما عنت الخبز الأبيض، فجمعت البياض والدائرية معاً. . تماماً كما هو حال الأسطوانة الذهبية في عصرنا هذا.

وقد ورد «الديسق» في شعر الأعشى. قال:

وحور كأمثال الدحى ومناصفٌ
وقِدْرٌ وطبَّاخٌ وصاع وديسقُ

والديسق هنا: خوان من فضة.

ويقال لكل شيء ينير ويضيء (تماماً كما تنير برامج التلفزة في الفضاء وتضيء) يقال له ديسق.

ويوم ديسقة: يوم من أيام العرب مشهور، وكأنه اسم موضع. قال الجعدي:

نحن الفوارس يوم ديسقة الـ
ـمُتغَشوُ الكماةِ غوارب الأكَمِ

فإن «الديسق»: الفلاة، يتلألأ فيها السراب.

وهي مادة طويلة نكتفي منها بهذا القدر.

فلو قلت لبائع أطباق الفضائيات: أعندك ديسق جيد يا أخانا؟ لرماك ـ حفظك الله ـ بالخبل. فلتقل له: نبي «دش» باهي.. من فضلك.. فتأمن العاقبة!

وأخوة لنا مغاربيون لا يقولون **«ستلايت»** ولا **«دش»**، بل هي عندهم **«بارابول»**. وهي كلمة ثقيلة الوقع على السمع رغم كونها فرنسية، ويفترض في لغة الفرنسيس الرقة والسلاسة والعذوبة. parabole هذه تعني حرفياً: خط مُنْحَنٍ ـ منحدرة من اليونانية

parabolé ـ سمي به الطبق الفضائي لانحنائه وتقوسه وتحدبه ليساوق انحناء الأجرام السماوية، فإن الكون كله حسب رأي طيب الذكر «أينشتاين» صاحب نظرية النسبية محدودب الشكل ولذا سمي «الكون الأحدب».

يا سبحان الله!

كنا نتحدث عن «الستلاليت» و«الدش» (أعني عن: السد والديسق) فإذا بنا نتكلم عن نظرية النسبية. وأين الثرى من الثريا يا صاح؟

52

نحن نعرف، كما يعرف أطفالنا الأعزاء، «فيغا الكبير»، تلك الشخصية المرعبة المسيطرة في رسوم الفضاء المتحركة، وهو يأمر زبانيته بتدمير العالم الأرضي، يصدر صوته الغليظ الأجش وكأنه يتكلم من جوفه: الآن. . حطموا كل شيء. . أحرقوا وأسحقوا وخرِّبوا كل ما جاء في طريقكم. . هيَّا!. وتتطاير الصواريخ المدوية ذات اليمين وذات الشمال وترتفع ألسنة اللهب وأعمدة الدخان، وأطفالنا مشدودون إلى هذا الرعب المدمر، حتى يظهر المنقذ. . «غراند دايزر». . بمركبته المعجزة والقرص الدوار.

وما لا يعرفه أطفالنا هو أن «فيغا» Vega هذا ليس سوى اسم نجم نيِّر في كوكبة القيثارة، وتنطق Wega كذلك ـ مأخوذة عن العربية «**الواقع**» مجتزأ من «النسر الواقع» وهو اسم ذات النجم عند

العرب، نقله الأوروبيون عندما كانوا يغترفون من عملنا بالفلك ثم عاد إلينا محرَّفاً مدمَّراً في آن.

وإذا ما نظر أحدنا في كتاب من كتب علم الفلك (الاصطرونوميا ـ كما يسميه الخوارزمي) لوجد عشرات من أسماء النجوم والكواكب في لغة الفرنجة عربية الأرومة. فهل تحب أن تسمع شيئاً منها؟

لا بأس.. تقول. فاسمع إذن، من فضلك.. مجرد أمثلة ليس غير: Achernar: آخر النهار. (الظليم). Acrab: العقرب. Adhafera: الظفيرة. Adhara: العذارى. Albali: سعد بالع. Aldebaran: الدبران. Algol: رأس الغول. Alchain: الشاهين. Alhya: الحية. Baham: سعد البهام. Beid: البيض. Botein: البطين. Caph: الكف. Cabalrai: كعب الراعي. Cursa: كرسي الجوزاء. Denab: الذنب. Difda: الضفدع. Dubhe: الدُّبة. El nath: النطح/ قرن الثور الشمالي. El nasi: النصل. Enif: أنف الفرس. El rai: الراعي. Fomalhaut: فم الحوت. Gienah: جناح الغراب الأيمن. Gomeiza: العميصاء. Hamal: نيِّر الحَمَل. Izar: نجم الإزار. kiffa: الكفة. Markeb: مركب الفرس. Mebsuta: نجم المبسوطة. Megrez: المغرز. Mintaka: نجم أنور المنطقة. Mirak: المِراق. pherkad: الفرقد. phaet: الفاختة. Rigel: رجل الجبار. Sadal melek: سعد المليك. Sadalsud: سعد السعود. Taurus: الثور. Talitha: الثالثة. Wasat: نجم الوسط. Zosma: الحُزمة/ نجم عرف الأسد.

ولو مضيت في ذكر أسماء النجوم والأفلاك التي نقلها الفرنجة عن العرب لما استطعنا أن ننتهي إلى حد.

ولقد وعدت بذكر شيء عن «الصابئة» عبدة النجوم الذين جاءت تسميتهم في الكتاب العزيز في صورة جمع المذكر السالم (الصابئون) ثلاث مرات، في سور المائدة والبقرة والحج. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة المائدة: 69]. وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [سورة الحج: 17].

وجاء عنهم في (لسان العرب):

الصابئون: قوم يزعمون أنهم على دين نوح (عليه السلام) بكذبهم. وفي (الصحاح): جنس من أهل الكتاب وقبلتهم من مهبِّ الشِّمال عند منتصف النهار. وفي (التهذيب) لليث: قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم عند مهب الجنوب.

وقد أدت مادة **(صبأ)** معنى «طلع». صبأ النجم وأصبأ، يَصْبَأ: طلع، وصبأت النجوم: إذا ظهرت. ثم خصت معنى الخروج من دين إلى دين «وكانت العرب تسمي النبي ﷺ الصابىء لأنه خرج من دين قريش إلى الإسلام، ويسمون من يدخل في دين الإسلام مصبوّاً... ويسمون المسلمين: الصُّباة، بغير همزة، كأنه جمع الصابي، غير مهموز، كقاضٍ وقضاة» (اللسان: صبأ).

والجذر «صبأ» بالغ القدم في العروبية؛ إذ نجده في المصرية القديمة مبدلة الصاد سيناً: «**س ب أ**» (= نجم) ومنها «**س ب و**» (ربة النجوم) وكذلك «**س ب ي**» (متمرد، خارج على القاعدة.. صابىء). والعجيب أن نقرأ في معجم المصرية القديمة كذلك: «**س ب أ**» بمعنى بؤبؤ العين «صْبَيْ العين» في لهجتنا، و«**س ب أ** (ت ي)» (طالب علم، تلميذ.. لنقل «صَبِي»، مثلما هو حال صبي حرفة ما يتعلمها في صغره من «المُعَلِّم» في لهجة عرب مصر، «العَرْف» في لهجتنا.. أعني: المُعَلَّم والعارف).

ويبدو أن ثمة صلة معنوية بين النجم والمعرفة، هي صلة النور والإشعاع حسيّاً ومعنوياً. ومن هنا جاءت «**س ب أ**» بمعنى: يعلِّم، تعليم، مدرسة.

هذا الجذر العربي/ العروبي «صبأ»/ «**س ب أ**» انتقل إلى اللاتينية في صورة sap-ere/ sapio ويفيد: العلم والمعرفة والحكمة والعقل، كأنه مضاءٌ بنور النجم الطالع. وله تصريفات كثيرة، ومشتقات في اللغات الأوروبية تعود إليه. من ذلك مثلاً الإنكليزية sage (حكيم، عاقل ـ الفرنسية sage). ومن مصطلحات علماء الأنثربولوجيا (علم الإنسان): Homosapein (الإنسان العاقل ـ مرحلة من مراحل تطور الإنسان حين أنعم الله عليه بنعمة العقل، تلك الأمانة الثقيلة التي أشفقت منها السماوات والأرض والجبال ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب: 72]. أما في

اليونانية فقد صار إلى sophia (حكمة) ومن هنا جاءت philosophia (حرفياً: محبة الحكمة، أي: الفلسفة).

كل هذا، وغيره كثير، جاء من «صبأ» الذي منه الصابئة/ الصابئون ـ وهم كانوا، في البداية، حكماء بابل المهتمين بمعرفة النجوم وعوالمها وحركاتها ودهشوا مما رصدوه منها فعبدوها.

أتدري ـ يا صاحبي؟

لو مضينا في متابعة الكلمات لوجدنا أنفسنا نسبح بعيداً في الفضاء حتى نوشك أن نبلغ تخوم الكون الرحيب؛ فإن تاريخ «الكلمة» في الحق يعود إلى أمر الإيجاد الأول: **كن**.

فلنبق على أرضنا الطيبة.. هذه الحبة الدقيقة من حبات رمل الوجود.. فذاك أسلم وأقل عناءً.

ألا ترى ذلك؟

53

من التعبيرات الشائعة سخرية بمن يدمن شراب الخمرة وصفه بأنه «**ألكوليزّاتو**» وهي إيطالية (Alcolezzato) أي: مدمن خمر، مشتقة من alcole التي تترجم عادة إلى «**كحول**»، ومنها المشروبات الكحولية، أي المسكرة. ومن ذلك في الإنكليزية alcoholometer (مقياس نسبة الخمرة في الدم)، alcoholic, alcohol وغيرها. وكذلك الأمر في بقية اللغات الأوروبية.

ومن الأخطاء الشائعة إعادة alcohol وما انتسب إليها إلى العربية **«كحل»** (إثمد). ولست أدري ما هي الصلة بين «الكحل» الذي يوضع في العين لتجميلها والخمرة المسكرة.. اللهم إلا أن نعتبر العين الكحيلة من المسكرات!. وواقع الأمر أن إرجاع alcohol (alcole في الإيطالية) إلى العربية «كحل» لا معنى له.. رغم أن جميع المعاجم الإشتقاقية تقول به. والحق أن الأصل عربي.. هذا صحيح.. ولكنه ليس «الكحل»، بل هو: **«الغَوْل»**.

جاء في مادة (غول): الغَوْل: الصداع [هذا الذي يسمى في الإنكليزية hangover يشعر به في الصباح شارب الخمرة ليلته فيحس كأن رأسه يتصدع من الألم]. وقيل: السَّكَر. وبه فُسِّر قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [سورة الصافات: 47] أي ليس فيها غائلة الصداع». قال أبو عبيدة في تفسير تسمية الخمرة غولاً: «أن تغتال عقولهم. وأنشد:

وما زالت الخمر تغتالنا

وتذهب بالأولِ الأولِ

وقال أبو الهيثم: غالت الخمر فلاناً إذا شربها فذهبت بعقله أو بصحة بدنه». فليس صحيحاً إذن ترجمة ما في الإنكليزية alcohol (كما في غيرها) بأنها: الكحول. بل هي: الغَوْل، والغوليات (وليس: الكحوليات).

نعم.. توجد في الإنكليزية كلمة kohl بمعنى الإثمد ـ لكنها

بحرف Kوليس بحرف C ـ رغم أن معجم أكسفورد الإشتقاقي يربط بينها وبين alcohol وهو مخطىء. . لا ريب.

هل أزيدك شئياً؟

فمن منا لا يعرف «**الكولا**» (cola) وتدخل في علامات تجارية لمشروبات سكرية غازية يكثر تناولها في الصيف وأيام القيظ باردة مبَّردة. وهي في الأصل اسم شجرة في أفريقيا الغربية، ولثمارها وبذورها استخدامات منها كونها ترياقاً ضد صداع السُّكْر. (هكذا. . وحياتك!). ونحن نعلم جيد العلم صلة لغات غرب أفريقيا بالعربية. ولعلها هي ذاتها «**غَوْل**» العربية استعملت استعمال الأضداد. أو كما قال شاعرنا:

وداوني بالتي كانت هي الداء

وما دمنا ذكرنا «الكحل» ـ وهو مادة سوداء، شديدة السواد، ومنها في لهجتنا: أكحل = أسود ـ فهل ننسى ما في الإنكليزية coalومعناها: فحم؟

يقول المثل الإنكليزي Like carrying coal to New Castle (كحامل الفحم إلى «نيوكاسل» ـ وهي مدينة في شمال شرقي إنكلترا عرفت بكثرة إنتاج الفحم الحجري). وهو مثل يشبه المثل العربي: كحامل التمر إلى هجر. وهجر منطقة في الجزيرة العربية اشتهرت بإنتاج التمر. أو المثل المصري الدارج: «يبيع الميه في حارة

السقايين». أو كقولنا: «يا تاجوراء ريتيش عمر؟» ـ لكثرة من يسمون «عمراً» في تاجوراء الجميلة.. زمان!

coal الإنكليزية هذه (= فحم) هي في السويدية kol وفي الألمانية kohle وهي ذاتها العربية: **كحل**.

قال في (لسان العرب): الكُحل: ما وضع في العين يُشتفى به. وكحَّل العين: وضع فيها الكحل. وأنشد ثعلب:

فما لك بالسلطان أن تحمِل القذَى

جنونُ عيونٍ بالقذى لم تُكَحَّل

والمكحال: المِيلُ تكحل به العين من المكحُلة. قال الشاعر:

إذا الفتى لم يركب الأهوالا

وخالف الأعمام والأخوالا

فأعطه المرآة والمكحالا

واسْعَ له وعُدَّه عِيالا

وقال لبيد يصف رجلاً:

كميش الإزار يكحل العين إثمداً

ويغدو علينا مسفراً غير واجم

فسره (ابن الأعرابي) فقال: معنى يكحل العين إثمداً أنه يركب **فحمة** الليل وسواده. والعين الكحلاء: الشديدة السواد، تراها مكحولة دون إثمد فيها ـ كما وصفها الشاعر:

كأن بها كحلاً وإن لم تُكَحَّلِ

يا سلام! وأيم الحق، إن للعيون الكحيلة في أدبنا تاريخاً وأي تاريخ!

و«كما يُسرق الكحل من العين» حسب تعبيرنا الشعبي، سرقت الإنكليزية مادة (كحل) العربية، فكانت فيها coal وجعلتها تعني: فحم - والمعنى الأصلي يفيد «السواد»، كحلاً كان أو فحماً، وكذلك فعلت السويدية والألمانية.

فماذا يسمى «الفحم» في الإيطالية يا ترى؟

carbone. . أليس كذلك؟ وفي الفرنسية charbon. ذلك الذي يعرف في الإنكليزية بـ "charcoal" - وقد مرت مكافأة coal بالعربية (كحل). أما char فهي من الفرنسية القديمة cerr - ولعل أصلها العربية (شجر). فلنقل إن chacoal = حرفياً: شجر + كحل. كحل الشجر: أي (فحم النبات)! وهي ربما خصت الفحم النباتي، أحياناً، ذلك الذي نسميه في لهجتنا «بياض» (وهذه من أسماء الأضداد. . كما تعلم).

قالوا إنها جميعها من اللاتينية - carbo.

54

توقفنا عند اللاتينية - carbo ومنها الإنكليزية carbon والفرنسية charbon والإيطالية carbone - التي نعرفها في تعبيراتنا من مثل:

هذا الشيء نسخة «كربونية» من ذاك. أو: فلان ينقل نقلاً «كربونيا». . أي مقلداً دون نظر ولا تأمل ولا بحث ولا تمحيص. ومعنى الكلمة: فحم. أما التعريف العلمي للكربون فهو أنه «عنصر لا فلزي يوجد على صور مختلفة بعضها غير متبلور كالسناج والفحم، وهما صورتان نقيتان، وبعضها متبلور كالماس».

ونحن كثيراً ما نسمع عن ثاني أكسيد الكربون الذي ينبعث من فحم الكوانين، ويؤدي أحياناً إلى الاختناق إذا أقفلت الغرفة، دون تهوية، في ما نعرفه في لهجتنا باسم «الزنزانة» ـ حفظكم الله ـ في ليالي الشتاء الباردة. ومن «كربون» هذه مشتقات عديدة يعرفها أهل الكيمياء ـ أساتذة وطلاباً.

فما هو أصلها يا ترى؟

يقول معجم اللاتينية والإشتقاقي (ص99) إن جذر الكلمة هو ـ ker ويحتار في منشأها كما يحتار في سبب زيادة الباء لتكون kerb ثم ـ carb ثم carbon. ويقرر أن الدلالة الأصلية تعني: النار، الحرارة، الاحتراق.

هذا جيد.

فلنذكر أولاً أن حرف الحاء لا يوجد في حلوق الأروام، وأنه كثيراً ما يتحول إلى كاف حين تقترض كلمة عربية يكون فيها هذا الحرف. فالجذر ker (KR) يقابل الجذر الثنائي العربي (حر) على هذا الأساس. ولننظر بعدها إلى ما يؤدي إليه الجذر الثنائي المبارك

إذا ما ثلّث، أعني إذا ما أضيف إليه حرف ثالث. خذ يا سيدي:

حرب. الحرب: اشتعال نار القتال. رجل حَرِب: اشتد غضبه، غلى غضباً.

حرج. الحرج: اشتداد الغضب والغيظ، حتى «يفور» الإنسان حنقاً. والحرجوج: الوقّادة.

حرد. الحَرَد: الغضب.

حرر. الحَرور: حر الشمس واستيقاد الحر ولفحه. والحرارة: الحر والحركة. والحَرَّة: أرض ذات حجارة سود نخرات كأنها أحرقت بالنار.

حرض. الحَرَض: الذي أذابه الحزن أو العشق ـ حرارةً.

حرف. الحرافة: طعم يحرق اللسان والفم.

حتى نصل إلى **«حرق»**. والحَرَق، بالتحريك: النار. ومن ذلك: الحُرقة = الحرارة. والحرُوق: ما تقدح به النار. والحرّاقات: سفن مرامي النيران يرمى بها العدو في البحر. ونار حِراق: لا تبقي شيئاً. وهي مادة طويلة متصلة بالنار وفعلها وآثارها، حساً ومعنى، أعني واقعاً ومجازاً.

وكل هذا ـ وغيره كثير جداً ـ أدى إليه الجذر الثنائي «حر» في العربية الذي يكافىء الجذر (KR) وهو أصل كلمة ـ carbo ومنها carbon وبقية المتشابهات في اللغات الأوروبية.

باهي؟!

وكلمة «كربون» هذه تدخل في مصطلحات علمية كثيرة. من ذلك، مثلاً، «كربونات البوتاسيوم» (وقد سبق أن أرجعنا كلمة «بوتاس» إلى أرومتها العربية: بطية + آس = رماد الإناء = آس البطية). وهناك **«كربونات الصوديوم»**. وكلمة «صوديوم» sodium تعود إلى اللاتينية sodanum وأصلها soda التي نعرفها في استعمالنا اليومي: صودا كاوية (للغسيل) وصودا المشروبات المرطبة. وهي مادة توجد في الملح أيضاً كما توجد في بعض النباتات.

أتدري أنها عربية؟

ولست الذي يقول هذا، بل هو معجم أكسفورد الإشتقاقي الذي أرجعها إلى العربية < Sudā (صُداع) وعرفها بأنها تعني نباتاً يدعى في الإنكليزية glasswort. ولم أجد في مادة (صدع) شيئاً مفيداً سوى قول (لسان العرب) إن الصدع نبات الأرض لأنه يصدعها أي يشقها.

قصدت معجماً آخر هو: The Oxfor Un. Dictionary (معجم أكسفورد العالمي) فلم أجد بغيتي إذ قال إن أصل كلمة soda غير معروف.

فيممت شطر معجم ثالث هو (معجم وبستر) الشهير الذي ذكر أن أصل الكلمة عربي هو suwwad (سُوَّاد) التي تقابل الإيطالية barilla. بحثت عن كلمة barilla فقيل إنها هي الـ glasswort. فما

هو هذا الـ glasswort إنه «الباريلاً». ما شاء الله. . تبارك الله. فما «الباريلا»؟! إنها نبات «القِلَّف». وما القلَّف يا أخانا؟ إنه ـ ببساطة ـ ما نعرفه باسم «الغسول»، ويعرف بـ «الودّينة» أيضاً.

فتأمل ـ رعاك الله ـ ما يحدث بعد هذه «الدوخة» الفظيعة!

وأنت تعلم قطعاً أن «الغسول» نبات شديد الخضرة حتى ليميل إلى السواد لشدة خضرته ولذا سمي السُّوَّاد (على وزن «فُعَّال» ـ للمبالغة)، وأنه تظهر على أطرافه حبيبات بلورية تسطع تحت ضوء الشمس كالزجاج (من هنا جاء اسمه في الإنكليزية galsswort = نبت الزجاج) وأنه يحوي مادة قلوية منظفة ـ وكان أهلنا (ذكرهم الله بالخير) يحرقونه ويتخذون من رماده مادة تنظيف للأواني والقدور تفوق في جودتها صابون «الغسول» الذي نشتريه اليوم «بالغلا والكوا». . ولا حول ولا قوة إلا بالله.

«سُوَّاد» العربية (وليس «صداع» كما قال معجم أكسفورد الوجيز) انتقلت إلى اللاتينية soda التي نعرفها بالصاد (صودا) ومنها «الصوديوم» وعشرات المشتقات في عشرات الاستعمالات. . أشهرها: ملح الطعام.

55

منذ الستينات من هذا القرن وحتى يومنا هذا ودوائر حماة اللغة الفرنسية لا يهدأ لها بال، وهي قامت ثائرة ـ ولم تقعد بعد ـ لماذا؟ قالوا لأن عدداً كبيراً من المفردات والتعبيرات الإنكليزية بدأ يتسرب

إلى لغة فولتير وهوغو وجان جاك روسو وغيرهم من أفذاذ الأدب والفكر الفرنسيين. صار الفرنسي المعاصر يقول مثلاً عن عطلة نهاية الأسبوع weekend وعن الساقي barman وعن تخفيضات المواسم التجارية sale ـ طبعاً إلى جانب computer (الحاسوب) وhamburger (الشطائر المعروفة) وpussycat (القطيطة) وparking (موقف السيارات).. إلخ. وقد أرغى «المجمع الفرنسي» أو الـ Academie Française وأزبد وأثار أعضاؤه (الخالدون) وأنصارهم زوبعة عظيمة في سبيل حماية لغتهم من «الدخيل» الإنكليزي، حتى أصدر «شابان دلماس» رئيس الوزراء في الستينات قراراً يعاقب فيه كل من استعمل كلماً إنكليزاً في المراسلات الرسمية عقاباً رادعاً.

فماذا يقول أعضاء ذاك المجمع المبجل إذن لو علموا أن كثيراً من هذا الكلم الذي حسبوه من لغة البريطان عربي فصيح؟! وماذا يفعلون؟

فلنأخذ على سبيل المثال كلمة barman (الساقي. حرفياً: رجل الحانة). وهي مكونة من مقطعين:

1 ـ bar (حانة). ومعناها الأصلي: حاجز من الحديد بين الشاربين والساقي يصطفون فيه رتلاً واحداً، كل ودوره، أو ليستندوا إليه إذا ما تعتعهم الشراب وأفقدهم التوازن والصواب!. ومنها كذلك barrier (حاجز) وbarritode كذلك. أما المعنى البعيد الأول لكلمة bar فهو: الحديد ذاته. جذرها عربي عتيق، نجده في المصرية القديمة ba (= br) وفي السومرية مركباً في -bar

gal (معدن السماء، لأن السومريين عرفوا الحديد أول مرة من النيازك التي تساقط من علٍ). وفي الأكادية parzelu وفي الكنعانية «ب ر ز ل». أما في العربية فهو «فرزل» (والفرزلي = الحدَّاد). وفي العربية كذلك نجد الجذر «بر» في: **إبرة** ـ وهي من حديد، وفي: **بُرَّة** ـ وهي الحلقة من حديد توضع في أنف الناقة أو الجمل لكي يقادا منها.

وقد تسربت الكلمة الحديدية إلى اللاتينية في صورة ferru(m) ويعترف معجمها الإشتقاقي بأن أصل الكلمة عروبي، مما ذكرت من لغات (ص229). وانتقلت إلى اللغات الأوروبية المعاصرة نعرفها في الفرنسية chemin du fer وننطقها في لهجتنا (أو لأقل: في لهجة جيلي): «**شمندفير**». حرفياً: طريق الحديد، أي سكة الحديد. وتعرفها النسوة «الفالحات» في كلمة «**فيرّو**» ويجمعنها على «فيرُّوَّات» وهي تلك الإبر الطويلة تنسج بها الثياب الصوفية ومناديل المناضد والمفارش. فانظر ـ يا سبحان الله! ـ إلى أين بلغنا.

2 ـ ثم نأتي إلى كلمة man. وهي المقطع الثاني من barman. فيقال لنا إنها تعني «رجل» ونرها في الألمانية mann مشددة النون. عربيتها: مَن. يقال «مَنٌ» و«مَنٌّ» أي: الرجل. هكذا ـ وحياتك ـ ولتراجع مادة (منن) في «لسان العرب» إذا رمت الاستيثاق.

هذه barman عادت عربية، وإن عكست الإضافة فيها، وحقها أن تكون manbar (مَنُ البارِ) أي: رجل الحانة.. فتأمل!

فإذا سمعتهم يقولون pussycat وهم يعنون القطيطة، أي القطة الصغيرة، فاعلم أنها مركبة من العربية: **بسّة** (= pussy) في مقطعها الأول ثم قطة (= cat) في مقطعها الثاني. فهي حرفياً: **بسة القطة** (pussy cat). كلمتان مترادفتان بمعنى واحد عربيته الفصيحة: هرَّة.

ثم نأتي إلى parking (موقف العربات أو السيارات) وأصلها: park. وقد نتعجل فنقول إنها من العربية «**برك**»، يبرك، بروكاً. فهو «مبرك» العربات، كما هو حال «مبرك الإبل». لكن هذا غير دقيق وغير صحيح في آن. ذلك لأن الأصل في park (في الفرنسية parc) مكان محصور، معزول، مسيج، أطلق على «الحديقة» أيضاً كما هو حال تسمية Hyde park اللندنية الشهيرة. وتحتار معاجم الفرنجة في أصلها وتذهب في تأصيلها شتى المذاهب.

بيد أننا نجدها في اللهجة الأمازيغية «أفراڭ» afrag بذات الدلالة والمعنى، وقد استعملها ابن خلدون ذاته ليعني بها معسكر السلطان المعزول عن غيره، كما استعملها ابن بطوطة في (رحلته) كذلك بالمعنى نفسه.. مكان مسوَّر، محاط، معزول.

كلمة afrag الأمازيغية جذرها «**فرڭ**» بمعنى: عزل، فصل، قطع عن سواه ـ تماماً كالمعسكر المعزول، أو الحديقة المفصولة عما حولها، أو كموقف السيارات المسيج، في عصرنا هذا الحديث.

والعربية؟

لعلك أدركت الأصل العربي الآن. إنه في مادة «فرق» ـ أي

فصل وعزل وقطع. فرَّق، تفريقاً. نطق بالقاف المعقودة في اللهجة الأمازيغية وأسبق بهمزة التعريف فكان afrag، وأبدلت فاؤه باءً مهموسة (P) وقافه كافاً ـ لقرب مخرج الصوت ـ فكانت parc/ park وعنت حديقة، مكان مسور، موقع معزول.. محطة منفصلة للعربات.. وأخيراً: موقف السيارات ـ مضافاً إليها علامة المصدرية (ing) فصارت parking. ونطقها الفرنسيون «باغكنغ» واستعملوها رغم أنف مجمعهم المبجل وقرارات شابان دلماس لكنهم لم يعرفوا أنها عربية الأرومة والنسب.. فيا للعجب!

56

كلمتان نستعملها في لغتنا الدارجة استعمالاً متبايناً، جاءتا من مصدرين مختلفين لكنهما إلى أصل واحد تعودان. إحداهما قديمة والأُخرى حديثة في لغتنا المحكية.

أما **الأولى** فهي كلمة **«كَنْشِلُّو»**. ونعني بها «البوابة» الكبيرة تكون على السور المحيط بالمبنى عادةً، قبل أن يدلف المرء إلى باب المبنى ذاته. وهي إيطالية لا شك: cancello ـ وتعني: بوابة، كما تعني: سور. والدلالة الأولى: فاصل، حاجز، قاطع.

وأما **الثانية** فهي **«كَنْسِلْ»**. ويتداولها الشباب، فيقول، أو تقول هي: فلان **كَنسِلْتَه**. أي: قاطعته، لم أعد أكلمه أو أخالطه، ألغيته من حياتي، ومن الوجود كله.. (يا حرام!). وهي من الإنكليزية cancel بمعنى: قطع، قاطع، فصل، محا، ألغى.. إلخ.

الإيطالية cancello والإنكليزية cancel كلتاهما جاءتا من اللاتينية cancelli ومعناها: سور، فَصْل، قَطْع، أي وضع باب فاصل لا يفتح له مصراع.

فما هو أقرب جذر عربي لهما يا ترى؟

أسمعك تقول: إنه الجذر (قصل). عظيم!

(قصل) في العربية تفيد القطع. «القصْل: القطع. قصل الشيء يقصِله قصلاً، واقتصله: قطعه. وسيف قاصل: قطّاع. وأنشد:

مع اقتصال الصَّيَر الغرادم

.. والقصيل ما اقتصل من الزرع وهو أخضر [نسميه في لهجتنا: القِصِّيْل] والجمع: قُصلان» (لسان العرب).

وللتدليل على أصالة «قصل» في العربية يمكنك مقارنة جذرها الثنائي (قص) بمثلثاته: قصب، قصد، قصر، قصع، قصف، قصم.. وكلها تفيد القطع.

ويبدو واضحاً أن «قصل» زيدت نوناً فكانت «قنصل» ـ وهي كثيراً ما تزاد. قارن على سبيل المثال: (عنتر) وأصلها (عتر)، و(غضنفر) وأصلها (غضفر) و(خنزر) وأصلها (خزر). كما زيدت ميماً مرة فكانت **«قصمل»**. «قال الأزهري: القصملة مأخوذة من القصل، وهو القطع». (لسان العرب: قصمل).

المهم أن «قصل» العربية صارت «قنصل» وهي في اللاتينية cancelli ومنها الإيطالية cancello والإنكليزية cancel. استعملنا

الإيطالية بحسب تطورها (بوابة) وفعَّلنا الإنكليزية فكانت: كنسل، كنسلت، توه انكسلك، عدي كنسله، ما تكنسلنيش. . رجاءً!

الطريف أن cancel تحولت إلى chancel في لغة البريطان وتطورت دلالتها لتعني بالتحديد: القسم الشرقي من كنيسة النصارى المخصص للعبادة والغناء الطقسي ـ ذلك لأن هذا القسم في العادة معزول (أي: مقطوع) عن بقية أقسام الكنيسة حيث يعيش الكهنة والرهبان. وعن هذا السبيل جاءت مفردات وألقاب كثيرة في عالم الكنيسة والحكم والقضاء والسياسة. من ذلك مثلاً chancellor التي ترجمناها إلى «مستشار» ـ كما هو الحال في «مستشار ألمانيا» أو «مستشار النمسا» وهو حاكمها ومدبر شؤونها. والأصل في اللقب: مركز ديني رفيع في الكنيسة، هو رئيسها. فانظر ـ بالله عليك ـ كيف تختلط السياسة بالدين في بلاد الإفرنج! . ومن ذلك chancellery (= المقر الرسمي للمستشار). وغير هذا كثير لا أثقل به عليك. وكله من «قنصل» (قصل) في العربية ـ أي قطع. عنت في البداية السور، ثم «البوابة»، وتطورت لتفيد مبنىً خاصاً برئيس الكهنة، والكاهن نفسه، ثم عنت: الحاكم ـ وكله من القطع؛ إذ ينقطع الراهب للعبادة، وينقطع الحاكم عن الناس بسور يبنى حول الاثنين.

هل ذكرت «السور»؟

أي نعم. . أحسب أنني فعلت. فماذا يدعى «السور» في الإنكليزية؟ إنه siege. هكذا: «سِيجّ». ومن هنا انبثقت besiege (يحاصر/ حصار. يحيط بـ. . أي يسوِّر) وهي ذاتها siege مسبقة

بالمقطع be الذي يفيد الفاعلية في تلك اللغة. وقد حاولت معاجم الروم إعادتها إلى اللاتينية sedicum/ sedem بمعنى: يجلس، يقعد. وهذا غير لازم؛ إذ لو نظر القوم في مادة (سيج) العربية لوجدوا فيها الأصل الأصيل. «(قال) أبو حنيفة: «السياج الحظيرة من الشجر تجعل حول الكرم والبستان، وقد سيَّج على الكرْم. ويقال: حظَّر كرمه بالسياج، وهو أن يسيج حائطه بالشوك لئلا يُتَسَوَّر» (لسان العرب: سيج).

وهذا هو السور (siege ـ في الإنكليزية) أي: السياج. اللهم إلا إذا كان أبو حنيفة يتكلم الإنكليزية ونحن لا ندري!

57

ما دمنا اجتزنا بوابة السور، أعني «السياج» (الإنكليزية siege) فلننظر ماذا نرى.

هناك **أولاً** «المبنى» ذاته ـ فلنقل الـ house (البيت، المنزل، السكن) وهو ذاته «**الحوش**» كما يدعوه الليبيون. فإن كان «المبنى» مجرداً أياً كان فهو يدعى في الإنكليزية building. . والمقطع ing زائد، والأصل فيه build (= بنى). قالت معاجمهم إن معناها: أقام، استقر، سكن (dwell) من الإنكليزية العتيقة bold التي ترجع إلى المقطع الأحادي في الجرمانية - bu كما يقولون. فلنأخذ هذه الثلاث واحدة واحدة. ولنبدأ بالمقطع الأصلي - bu بمعنى: سكن، أقام، اتخذ مقراً أو مكاناً. أليست هي العربية (بوأ)؟

جاء في مادة (بوأ): البيئة والمباءة والباءة: المنزل. وتبوأ المكان: حلَّه. وأباءه منزلاً وبوَّأه: أنزله ومكن له فيه. قال (الشاعر):

وبُوِّئت في صميم معشرها
وتَمَّ في قومها مُبَوَّؤُها

وبوَّأتك بيتاً: اتخذت لك بيتاً.

هذه واحدة.

ثم نأتي إلى dwell (سكن، أقام، استقر) فيقال لنا إنها من الجرمانية twellan وdwalian والنوردية develia. فإذا علمت صلة السكن في العربية بالسكون والاستقرار بالقرار وكلها تفيد المكث والبقاء، كما هو حال الإقامة والمقام، أدركت أن dwell الإنكليزية مهما بحثوا لها عن أصول هي نفسها العربية «ظَلَّ» أي مكث ولبث وبقي ودام.. إلخ.

وهذه هي **الثانية**.

أما **الثالثة** فهي build التي بدأنا بها الحديث ـ وأصلها bold. وقد عنت المبنى والبناء. وقيل إنها متطورة عن المقطع - bu وقد سبق لها البيان. بيد أننا نجد أقرب مكافىء لها في العربية الجذر الثلاثي (بلد) المتطور هو ذاته عن الجذر الثنائي (بل). ومنه: بلس، بلط، بلد، وكلها تفيد السكون المتصل بالمبنى والبناء.

إنك تدري، فيما أحسب، أن المقام والقرار مرتبطان بالبناء،

وتدري أيضاً أن تسمية «القرية» جاءت من مادة (قرر). . قرَّ، يقرُّ، قراراً. . بنى قرية. وتسمية «المدينة» من مادة (مدن) بمعنى: سكن، هدأ، أقام لا يريم. كذلك «البلد» و«البلدة» من مادة (بلد) وفيها نفس الدلالة.

جاء في (لسان العرب): بَلَدَ بالمكان = أقام. يبلُد بلوداً: اتخذه بلداً ولزمه. والمكان: البلدة والبلد، والجمع: بلدان، بلاد.

وفي القرآن الكريم: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سورة سبأ: 15]. و﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [سورة البلد: 1و2]. و﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ * ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [سورة الفجر: 7و8].

وكل هذا من مادة (بلد) التي تفيد اللزوم والبقاء المتصلين بالبناء والمبنى (الإنكليزية build).

كلا. . بل إن ابن منظور يقرر أن: «البلدة والبلد: كل موضع أو قطعة مُسْتَحيزَة، عامرة كانت أو غير عامرة. . كل موضع مُسْتَحيز من الأرض، عامر أو غير عامر، خالٍ أو مسكون، فهو بلد». وهذا بالضبط هو الـ build-ing (المبنى) الذي حِيزَ وأقفلت أبوابه، سكنه أهله أو أخلوه، فهو «البلد».

نضيف أن المبنى قد لا يكون بيتاً للسكن، فلعله حصن أو قلعة أو برج، أو مبنى إداري هو بالقلعة أشبه. فماذا تسمى القلعة عند الفرنجة؟ إنها في الإيطالية castello وفي الإنكليزية castle والألمانية kastel. وقريب من هذا ما في الفرنسية chateau. من اللاتينية

castellum > castrum. وهذه هي العربية (قصر) < قَصْرُنْ = قَصْرٌ ـ محرفة محطمة. وقد زعم بعض الزاعمين أن «قصر» العربية من اللاتينية castr-um غير أن الأدلة اللغوية تبرهن بشكل جازم على أن اللاتينية هي الآخذة وترفض ما زعموا.

المدهش أن تعود إلينا (قصر) العربية بعد إعوجاجها في صيغ شتى، منها «**قسطل**» (كأنها نقلت عن الألمانية kastel) في اللغة المشتركة. وفي الدارجات: «كشلة» و«قشلة»، عن التركية «**قشلاك**».

وللقلعة برج مرتفع في العادة يدعى في الإنكليزية tower وفي الفرنسية tourمن اللاتينية turr-is عن اليونانية torris وهي بدورها كلمة مستعارة (E.M. p. 709). جذرها (TR) والتاء مبدلة من الطاء في العربية (طور) ومنها: الطُّور = الجبل. قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ [سورة المؤمنون: 20]. قال صاحب (لسان العرب): والطِّوار = الطول (وفيه دلالة الارتفاع)، والطُّورة: الأبنية.

وهذا هو حال البرج المبني المرتفع الطويل. هو في العربية: «طُور» وفي الإنكليزية tower وفي الفرنسية tour أخذتا عن اللاتينية، عن اليونانية عن لغة العربان. وصدق جل وعلا في قوله ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [سورة نوح: 14].

58

تتخذ القصور، قديماً وحديثاً، مقراً للحكم والحاكم. ولعلك سمعت عن «قصر الخَوَرْنَق» الذي بناه سنمّار للنعمان بن المنذر في

الحيرة ببلاد العراق، فجاء تحفة نادرة ليس لها مثال. قيل: فخشي النعمان أن يبني (المنهدس) سنمار لغيره قصراً آخر يفوق ما شيده له، فأمره باعتلائه وألقاه من فوقه فدُقت عنقه ـ ومات رحمة الله ـ فجاء المثل السائر: فلان جوزي جزاء سنمار.. أي أنه أحسن صنعاً فكوفيء شر مكافأة.. وإنا لله وإنا إليه راجعون!

بالمناسبة: تسمية «**الخورنق**» معرَّبة عن الفارسية «خورنكاه» ومعناها الحرفي: مكان الطعام، محل الأكل ـ مثلها في ذلك مثل كلمة «الخانكة» في لهجة عرب مصر (وأصلها «خوان كاه») أي: مكان المائدة، موضع الخوان ـ صارت تعني محل اجتماع الدراويش في ما يعرف باسم «التكيّة» (وأصلها: التكئة = المتكأ) حيث يأكلون ويتكئون «لا شغل ولا مشغلة». ويبدو ـ والله أعلم ـ أن تسمية «الخورنق» هذه انتقلت بطريقة ما إلى صعيد مصر وأطلقت على قصر عظيم من قصور الفراعنة في مدينة الأقصر (وهي جمع «قصر») هو «الكرنك» ـ اسم أغنية شهيرة من أغاني المرحوم محمد عبد الوهاب.

من القصور في عصرنا الحديث: قصر بكنغهام، وهو مقر ملكة الإنكليز في لندن. وقصر الإليزيه، وهو مقر الرئيس الفرنسي في باريس. وهناك: الكرملين، وهو مقر الحكم وإدارة شؤون الدولة الروسية في موسكو فلندع القصرين الأولين وشأنهما الآن، فإن حديثهما يطول، ولنأخذ بتلابيب الثالث (الكرملين). فهل لديك مانع؟!

تسمية «الكرملين» Kremlin تعني الآن مقر الحكم في موسكو كما ذكرت، بيد أنها كانت تطلق فيما سبق على قلعة أية مدينة من مدن بلاد الروس، وهي في لغتهم تنطق Kreml فجعلها الفرنسيون Kremlin وعنهم انتقلت هذه الصيغة إلى كل لسان. ويمكننا أن نلاحظ الجذر (كرم) في هذه التسمية Krem(lin) > Krem(l). ونجده في اسم مدينة فارسية شهيرة هي «**كرمان**» (وينسب إليها: كرماني) ومعناه: قلعة، حصن، قصر. وفي اللهجة الأمازيغية تبدل الكاف غينا فنجد: «**أغرم**» = الحصن، القصر. وكما أن تسميتي «الحصن» و«القصر» جاءتا من مادتي (حصن) و(قصر) وفيهما دلالة الحفظ والصون والحماية فإن مادة (كرم) العربية تفيد نفس الدلالة. ولماذا نبعد؟ هناك تسمية «**الكرَمْ**» في بلاد تونس، وهي تطلق على بلدة ذات حصن قديم هو قصرها أو «كرمها» أو «كرملينها».. إن شئت.

هذا رأي. أما الرأي الآخر في تسمية «الكرملين» فذو صبغة دينية تعود إلى تقديس النصارى ـ والروس منهم ـ لجبل من جبال فلسطين يدعى «جبل الكرمل» يقول عنه (قاموس الكتاب المقدس) إنه «مقدس لدى جميع الطوائف، وكان يسكنه قبلاً طائفة من الرهبان والمتنسكين» ومعنى التسمية: «مثمر أو مشجر» (يعني: ذو ثمر وشجر). فماذا يمنع أن تكون التسمية أصلاً: «كرم ـ إل» بمعنى: عنب إل (المعبود العروبي القديم)، أو: قصر إل؟

أبعيد هذا؟

فهل ذكرت من قبل قصر الرئاسة الفرنسية (الإليزيه) Elysée؟. أتدري ما أصل تسميته الشهيرة؟

أقول لك..

أصلها ـ يا صاحبي ـ من اليونانية Elysion التي عنت في أساطير اليونان: مقر الصالحين بعد الموت، الجنة. وهذه جاءت من Elysius التي انحدرت بدورها من اسم المعبود العروبي القديم «إل» ومعناه: الإله، كما أن معناه الأصلي: النور، الضياء ـ نجده في الجذر العربي الثلاثي (**ألل**). قال ابن منظور في هذه المادة: أَلَّ لونه: إذا صفا، وبرق. والألُّ: صفاء اللون. وقال ابن سيده: الإلُّ ـ بالكسر: الله عز وجل. وفي حديث أبي بكر (ض) لما تلي عليه سجع مسيلمة: إن هذا الشيء ما جاء من إلٍّ ولا بر، فأين ذهب بكم؟ ـ أي من ربوبية. وقد وصف الله سبحانه وتعالى ذاته العلية بأنه نور فقال عز وجل: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة النور: 35].

الله! ما أجمل هذا الوصف وما أحلى هذا الكلام!

59

من الأخطاء الشائعة على ألسنة العامة والخاصة إطلاق تسمية

«الغُرفة» على «الحجرة» في البيت، فيقال إنه مكون من ثلاث غُرف أو ربع غُرفات ـ مثلاً ـ والمقصود: حجرات. فالغرفة في العربية الفصيحة تعني «العِلِّيَّة» (التي يسميها الطرابلسيون: «العْلِيْ») وهي الحجرة المرتفعة على سطح البناء. وكان هذا هو التعبير الذي كنا نطلقه في جيلنا على العِلْية، وبه عرفت مواقع في بلادنا على جهة التصغير: **الغريفة**. وتسمى الحجرة: الدار (الدار البحرية، القبلية، الشرقية.. إلخ). بينما تعني **«الدار»** البيت ذاته في تونس، وهو ما ندعوه نحن «الحوش» ونجمعه على «حيشان» و«حياش» في غرب البلاد و«حواشين» في شرقها.

هذه الغرفة (الْعْلِي ـ عند الطرابلسيين) ذات شرفة في الغالب تطل على الشارع أو الزقاق، كانت تسمى إلى عهد قريب: **قلالّية** ـ ونجمعها على «قلاليات» منقولة عن الإيطالية galleria، وهذه عن اللاتينية galeria (الفرنسية gàlerie، الإنكليزية gallery) والمقطع (ria) مزيد كما هو الحال في cafeteria (مقهى) من cafe (قهوة) وlavandaria مغسلة من lavanda (غسل) وlatteria (ملبن) من latte (لبن) و confetteria (محل الحلوى) من confettè (حلوى ملبسة) وsegaria (محل النجارة) من sega (ينجر).. إلخ. أما الأصل فهو galea. أليست هذه هي ذاتها العربية **«عالية»**؟ أبدلت العين المنعدمة في حلوق الأروام قافاً معقوداً فكانت **«ڤاليا»** (= عالية) وهي «العِلّية» أي «الشرفة» المرتفعة، تشرف على الشارع وتطل عليه.

هذا في القديم. وكانت للعلية، أو «العْلِيّ» أو «القلالية»،

شبابيك مما يسميه الفرنجة «أرابيسك» (أي: طراز الزخرف العربي) ندعوها «عين الزرزور»، بمعنى: عين العصفور، تبدو صغيرة لكنها أحد ما تكون نظراً ـ فهي كالوصاوص في شعر المثقِّب العبدي. (بالمناسبة.. أتدري لم لُقِّب الشاعر العبدي بالمثقِّب؟ قيل لأنه وصف صبايا كن ينظرن إليه من وراء البراقع (وهي الوصاوص) يثقبنها حتى يرينه جيداً. قال:

أرين محاسناً وكَنَنَّ أُخرى

وثقبن الوصاوص للعيون

فكأنهن يسترقن النظر من شبابيك عين الزرزور.. كما كانت تفعل ذوات العيون النجل الطرابلسية!).

تطورت لهجتنا وتغيرت شأن كل شيء في هذه الحياة، فلم نعد نسمع «الغِلِي» إلا نادراً، ولا نسمع «القلالية» البتة. صار للشرفة اسم آخر هو **«البلكونة»** ـ إي والله! وهي في الإنكليزية balcony وفي الإيطالية balcone. ولعل هذا من الوجهة الدلالية أصوب، فإن «البلكونة» هي الشرفة (العِلِّية) بالتحديد أما القلالية (galleria) فتطلق أيضاً على الممر التجاري وعلى معرض الصور ونحوها وإن لم يكونا في عَلٍ. غير أن «البلكونة» هذه ليست إنكليزية ولا إيطالية ولا لاتينية قطعاً. إنها كلمة فارسية الأصل مركبة من مقطعين اثنين: **«بالا»** pala = عالٍ، مرتفع، مشرف. **«خانة»** khaneh = حجرة، «غرفة». فهي تعني حرفياً: الحجرة العالية، أي الغرفة. «بالاخانه» صارت

balcony عند البريطانيين وbalcone عند الطليان. . وجاءتنا في صورة «بلكونة» ونجمعها على «بلكونات».

أغريب هذا؟ فلا تعجب، فإن ثمة ما هو أغرب؛ إذ يوجد معلم فى إحدى ضواحي لندن يدعى «باربكان» barbican به جملة مسارح وملاعب ومتاحف وملاهٍ ومقاهٍ ومشاهٍ (جمع «مشهى» = محل الشاهي، على وزن «مقهى» = محل القهوة) يرتاده القوم للنزهة والمرح والاستجمام. وقد جاءت التسمية من الفارسية أيضاً وأصلها «بربار خانه» barbâr khaneh ترجمت إلى الإنكليزية house on the wall (بيت على السور) حسب معجم أكسفورد الإشتقاقي، وهذا غير دقيق. . فإن الترجمة الحرفية هي: الشرفة المنزل، أو المنزل الشرفة، أي: الشرفة التي تسكن، فلا تظل هكذا شاغرة زائدة، لا نفع منها إلا في نشر الغسيل! وهي صارت عند الإنكليز barbican بمعنى «المرقب» أو غرفة العسس تبنى أعلى المدينة يراقب منها الحراس ما يدور خارج القلعة حتى لا يباغت أهلها بهجوم وهم غافلون.

وتسألني: أين العربية في ما ذكرت؟

معك حق وحقَّت علي الإجابة. ففي الكلمة الفارسية الأولى (بالاخانه) التي صارت «بلكونة» كما في «بربار خانه» التي صارت «باربكان» المقطع «خانه» ومعناه: بيت، منزل، غرفة. وهو ذاته العربية «خن» ثلاثيه «خنن» وفيه: المخَنة: وسط الدار وفناؤها وحرمها، فهي البيت، المنزل ـ بزيادة ميم المكان. ونحن نعرف

«الخان» وهو منزل المسافر الذي نسميه حديثاً: الفندق (كلمة يونانية) أو النُزل. وتبدل الخاء المعجمة حاء مهملة فتكون «حن» ومنها: الحان، والحانة، كما أن منها «الحانوت» (محل البيع). وتبدل قافاً فتكون «قن» = بيت الدجاج. وتبدل كافاً فتكون «كن»، والكن = السكن. (لاحظ أن «سكن» مكونة من السين + كن). ولا تثريب في هذه «الإبدالات» فقد قال اللحياني: يقال: رجل مجنون ومحنون ومخنون ـ بمعنى واحد.

أتقول لي إن العرب أخذوا هذا كله عن الفارسية «خانه»؟

سامحك الله، وسامح من قال هذا من فقهاء اللغة العرب وهم كثيرون. والرد القاطع أن «خن» هذه وأخواتها جميعاً موجودة في اللغة العروبية المصرية القديمة منذ آلاف السنين.. قبل أن يخلق الفرس بأمد طويل. فمن أين لأحد الزعم بأخذ العروبية عن بني ساسان يا ترى؟

60

في مناسبة من المناسبات السعيدة، أكثرها الله، حفلة عيد ميلاد ابنك العزيز أو عرس كريمتك المصونة، أو فلتكن فسحة مع الأسرة المباركة تحت ظل الشجر الظليل مع نسمات الهواء العليل، فتحمل معك ما يسجل الذكرى الطيبة ويحفظ لحظات الوقت الرائع.. تحمل «صوَّارة». هكذا كنا ندعوها، وهي تسمية جميلة معبرة. الآن صار اسمها «آلة تصوير» ـ تركيب لا يؤدي الغاية تماماً. وكثيرون

يقولون: «كاميرا»، فتسمع مثلاً عن: كامرة فيديو، كامرة سينما، كامرة تصوير ثابت. وقد ألحقت بها تاء التأنيث عند الإضافة، أما إذا خلت من هذه الإضافة فهي مجرد «كامرا». وتثنى «كامرتين»، وتجمع «كامرات». . إلى آخره.

هذه «الكامرا» إيطالية (camera) صارت عالمية وعنت «الصوارة» أو: آلة التصوير. . إن شئت. كما ذكرت. فلماذا سميت كذلك؟ وهذا سؤال إجابته أن هذه الآلة تشبه الحجرة في شكلها الأول عند اختراعها، ذات جدر أربعة، تظلم حين تقفل على ما فيها من شريط خاص تنطبع على سطحه صورة ما يُلتقط من شعاع يدخلها بوساطة نابض معين كلمح البصر. وهي من اللاتينية camara وcamera التي تعني: حجرة. هكذا قالوا. . وسنرى أصلها الأصيل بإذن الله.

قبل التعريب الشامل الكامل في بلادنا كان أهلنا يستخدمون كلمة منبثقة عن «كامرا» هذه للنادل، ذاك الذي يقدم القهوة والشاي والمشروبات في المقهى، هي cameriere ومعناها الأول: الحُجْرِي، خادم الغرفة. والتِّلْفَزِيُّون يعرفون تعبير cameraman (المصور) وهو تعبير إنكليزي يعني حرفياً **«رجل الكامرا»**. أما في عالم السياسة فهناك comrade بمعنى) «زميل»، وعنت عند الشيوعيين: رفيق ـ من الإسبانية comarada أي: رفيق الحجرة، ثم: رفيق الفكر، «الإيديولوجيا»، الزميل في الحزب.

على أن صروف الزمان أبدلت الكاف شيناً وزادت الكلمة باءً في الفرنسية chambre (حجرة) ومن ذلك التعبير المعروف Chambre

du Commerce (غرفة التجارة ـ كما عربت) وكذلك Chambrr du Agriculture (غرفة الزراعة) على سبيل المثال. ثم انبثق عنه في الإنكليزية لقب متداول في الطبقة الحاكمة في إنكلترا هو Chamberlain وأصلها Chamberling (حرفياً: الذي يعيش في الحجرة) ويخص بعضاً من الأشراف واللوردات وأصحاب المعالي في النظام الطبقي البريطاني، فهو قابع في حجرة لا يريم يحيط به الخدم والحشم. قاتله الله! ولعل القارىء الكريم سمع أو قرأ عن **«شامبرلين»** رئيس وزراء الإنكليز الذي فاوض الزعيم الألماني هتلر قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية.. وفشل. ذاك تاريخ قديم تحويه الأضابير والمجلدات ولا يعرف الجديد عنه شيئاً.

في الألمانية أبدلت الكاف في camera والشين في chambre زاياً فكانت zimmer (حجرة). فانظر ـ بالله عليك ـ كيف تعبث الألسن بالكلمات!

فأين هذا كله من العربية يا أخانا؟

مهلاً. فهل تروم أن تعرف؟

حسن. فلننتبه أولاً إلى مسألة إبدال الكاف في camera شيناً في chambre وزاياً في zimmer، وسيتضح لك أن الكاف ذاتها مبدلة من ثلاثة حروف في العربية لا توجد في اللاتينية هي: الخاء والطاء والغين.

أما المعنى الأصلي لـ camera فهو الغطاء والتغطية والستر،

ذلك لأن الحجرة تغطي وتستر ما بداخلها عادةً. ولا يزال في لهجتنا الليبية هذا المعنى.. إذ نسمي ضرباً من الطعام باللحم مغطىً: مكمور. وهذا المكان مكمور، لا نوافذ له.. بل نقول «الدنيا كمر» إذا لم يكن ثمة منفذ للهواء يرطب الجو ويطريه.

فلننظر بعدها في مادة (خمر) فنقرأ فيها: التخمير = التغطية. وخَمَرَ: ستر ووارَى وأخفى. الخمار: ما تغطي به المرأة رأسها.. إلخ. فإذا أبدلت الخاء في (خمر) طاءً كانت (طمر)، ومنها: طمر الشيء = دفنه، أي ستره وغطاه وأخفاه. وتبدل الطاء غيناً معجمة فنجد (غمر) ومنها: ثوب غَمْر إذا كان ساتراً، وليل غَمْر: شديد الظلمة يخفي من سار فيه، والغمر: الكثير يغمر من دخله ويغطيه.

بعد هذا التطواف يحق لك، يا صاحبي، فيما أحسِب، أن تدعو آلة التصوير «كامرا» دون حرج، فإنما هي «الكمِرة» العربية، وهي ذاتها «الخمِرة»/ «الطمِرة»/ «الغمِرة».. ولا تثريب فقد بان أنها من الكلم العربي الأصيل، حجرة كانت للعيش أو آلة للتصوير على التشبيه.

ألا توافقني؟

61

أذكر أنني حضرت منذ بضع سنوات ندوة عن تعريب العلوم في إحدى كليات واحدة من جامعاتنا. وكان الجدل محتدماً بين مؤيد للتعريب ومطالب به وبين معارض متعلل بشتى الحجج ومختلف

الذرائع. واندفع زميل هندسي معماري يعدد أسباب رفضه التعريب.. ثم قال: بماذا أعرب كلمة cove مثلاً وهي كلمة عالمية؟ سألته: ماذا تقصد بالـ cove هذه أيها الصديق؟ قال: ذاك البناء المعقود على مدخل المبنى (العتبة الفوقية ـ في لهجتنا) ـ المحدب. قلت له مداعباً: يا سلام! أتدري أن هذا المصطلح بالذات عربي؟ فرد ساخراً: كل شيء عندك عربي يا أستاذ حتى الـ cove؟!

نعم.. بل هي «الكُوْفْ» يا صاحبي. وتعني «القبة» أيضاً. قال معجم أكسفورد الإشتقاقي إنها من الجرمانية kobhan وفي النوردية kafi وفي الإنكليزية العتيقة kafa وقرنها بكلمة أُخرى هي alcove واعترف بأنها من الإسبانية alcove/ alcoba من العربية «القُبَّة» بمعنى: عقد في البناء، بهو، قبة ـ محتفظة بـ «أل» التعريف. وقد تطورت دلالة alcove لتفيد: مظلة (في بستان مثلاً)، خلوة، مخدع، مضجع. ببساطة: قبو.

نقرأ في مادة (قبا):

«القبو: الطاق المعقود بعضه إلى بعض. هكذا رواه الهروي. وقال الخطابي: قيل لعطاء؛ أيمر المعتكف تحت قَبْوٍ مقبوٌ؟ قال: نعم. قال شمر: قبوت البناء أي رفعته. والسماء مقبوة أي مرفوعة» (وبالمناسبة: في الإنكليزية تعني كلمة cove: القبة السماوية.. وهي محدبة مقعرة في الوقت ذاته ومن هنا عنت الكلمة: السطح المحدب المقعر). ثم تحولت cove إلى cave وأسبقت بالمقطع - con (الذي

يعني: مع) فانبثقت كلمة جديدة هي concave (مقعّر، مجوف، قبة، قنطرة) والاسم منها concavity.

هكذا قالوا. لكنني أرى أن cave ذات صلة بالعربية «كهف» إذا ما عنت «التجويف» أما إذا عنت «التقبب» فهي من (قبا) ومنها «القبو» ومن (قبب) التي منها «القبة».

«كهف» العربية صارت cave كما صارت cavern (تجويف، خليج، فرضة في البحر، مرفأ، ملجأ.. إلخ) وكذلك: cavetto (تقوير، نخر). فإذا ما قصدت طبيب الأسنان تشكو وجعاً في ضرسك العزيز الذي أرقك ليلتك ولم يترك لك فرصة للنوم، فسينظر إليه بعدسته المنيرة ويقول لك: آه.. ياه! يا له من cavity! وهو يعني: يا لها من حفرة عميقة الغور! ولعلك أدركت أن كلمة cavity من cave وهي من العربية «كهف». وكان الصواب أن يقول النطاسي: يا له من كهف! سلامتك!

فهل قال أحد أن «كهف» غير عربية وهي فيها منذ عصر (أهل الكهف)؟!

ما علينا. ولنتابع رحلتنا: «كهف» صارت cave ومنها cavern في الإنكليزية (مغارة) ثم عنت المكان المنعزل يختفي فيه القوم. ومن الواضح أن الكاف أبدلت تاءً في اللاتينية فصارت tabern ومنها الإيطالية taverna التي كنا (أقول: كنا) نستعملها في لهجتنا في صورة «طبرنة» وهي المكان المعزول يختفي فيه محتسو المنكر

مستترين عن عيون الناس في كهفهم، أعني في «طبرنتهم» وعين الله تراهم.

فانظر ـ يا رعاك الله ـ إلى أين مضى بنا الحديث.

ولا نزال نجوس عبر الديار. أعني: «ندّهور في الحوش» كما نقول. وللحوش (للبيت) في العادة ممرٌّ يصل بين بابه وما بداخله (هذا في بيوتنا الحديثة، أما في قديم البيوت فإن الباب يفتح مباشرة على السقيفة، ولعل حديثاً آخر يكون لها). وكثير من أهلنا يسمون هذا الممر: corridore.. إيطالية، وفي الإنكليزية corridor (ممشى، ممرّ). أما الدلالة الأصلية للإيطالية corridore فهي اسم فاعل بمعنى: الجاري، الجراي، الذي يجري. من اللاتينية curro (جرى)؛ إذ يبدو أن القوم في البداية كانوا على عجلة من أمرهم يندفع الواحد منهم عبر الباب جرياً، فما يليه «المجرى» ثم تمهلوا فكان «الممشى»، ثم مجرد «ممر».

اللاتينية curro، يا صاحبي، هي العربية **«جرى»** (وكانت الجيم تنطق قافاً معقودة garâ أما نطق الجيم معطشة «جرى» فهو نطق حديث نسبياً). جرى، يجرى، جرياً، واسم المكان: مجرى. ولم يكن في اللغات العروبية القديمة ما يسمى (ميم المكان) في «مجرى» فهي ذاتها «جرى». ولها حديث يطول.

62

في لهجتنا المعاصرة التي تفصّحت كثيراً في العقود الأخيرة من

هذا القرن نقول: نافذة، ونجمعها: نوافذ ـ تلك الفتحة في جدار المبنى «ينفذ» منها الهواء وأشعة الشمس، أو ينفذ منها رأس الفضولي فيطل على الشارع أو الجيران يرصد الحركة ويتتبع ما يدور، أو تنادي الجارة جارتها ـ إذا كانت النافذتان متقابلتين ـ وتظل «تهدرز» منها إلى ما شاء الله، تتبادلان القيل والقال وآخر الشائعات!

بعضنا يسميها «الشبَّاك» ـ والصواب أن الشباك ما كان مشبوكاً من النوافذ يحوطه الشبك.. ليس غير. وكنا (ولعل بعضنا لا يزال) ندعو النافذة «رُوْشِنْ». وقد جاء في (اللسان): الرَّوْشَن = الكُوَّة (أي النافذة الصغيرة). واشتق منها الفعل «رشن»: رشن الرجلُ إذا تطفل ودخل بغير إذن. وهذا يشبه التعبير المستعمل «خرج من الباب ليدخل من النافذة» ـ وهو الذي يقال له الطفيلي. وقيل إن الرشن والرشون: إدخال الحيوان رأسه في الإناء ليأكل ويشرب. وإدخال الرأس في الإناء هذا يعادل إبرازه من النافذة بالضبط.. «ولا تمثِّل»!

ولم يقل ابن منظور إن «الرَّوشن» ليست عربية. بيد أننا نجدها في الفارسية: «رُوشن» = مضيء، منير. و«روشندان» = مِنور، مكان ينفذ منه النور. و«روشنا» = شعاع، نور. ويقول د. أحمد عيسى في كتابه (المحكم في أصول الكلمات العامية، ص96) إن اللفظة فارسية «تطلق في العمارة على فتحة في السقف يدخل منها الضوء». فهي ممرّ، أي طريق، للنور. وفي الفارسية: «رَوِش» = طريق، ممر. وهذه تقابل العربية «ريع» و«ريه» اللتين تفيدان نفس المعنى. وفي الفارسية: «روز» = يوم، نهار، وضوح = نور. وهي التي نعرفها في

«روزنامِه» (رِزْنامَه) التي تطلق على دفتر (التقويم السنوي) ومعناها حرفياً: كتاب الأيام. كما نعرفها في اسم الأنثى **«نيروز»** المستعمل لدينا. ومعناه: النهار الجديد، أو الفجر الجديد، النور الجديد (لاحظ رجاءً صلة «ني» (جديد) في اسم «نيروز» بالإنكليزية new والإيطالية nuovo والفرنسية nouveau) ومن هنا جاءت في نفس اللغة (الفارسية): **«رَوْزن»** = نافذة، منفذ. وهي ذاتها **«رَوْشن»** بتعاقب الشين المعجمة والزاي، ولا يُستبعد أن يكون هذان الحرفان مبدلان من العين في المصرية القديمة في اسم الشمس: **«رع»** ـ وهي في العربية: «رائع» = مشرق، مضيء، منير، و«رائعة»؛ رائعة النهار = الشمس. وغير بعيد من هذا الإنكليزية ray بمعنى: شعاع من نور.

هل أثقلت عليك بهذا التداعي يا صاحبي؟

معذرة.. فإن الأمر مُغْرٍ بالتتبع حقاً، و«كلام يجيب (يجيء بـ) كلام».. كما نقول في العادة.

ولعلك تعرف أن النافذة، أو الروشن، في الإنكليزية window وهي في الفرنسية venetre وفي الإيطالية venestra وقريب من هذا ما في بقية لغات الفرنجة. وكلها تعود إلى اللاتينية vent < ventu(s). ومعناها: الهواء، الريح. وإليها ترجع الإنكليزية ventilation (تهوية) وبقية المشتقات وهي كثيرة. كما ترجع كلمة wind (الريح كذلك. وهي مكونة من الواو والنون والدال (WND). ونجدها مقلوبة قلباً مكانياً في لغة عروبية عتيقة هي السبئية (اليمنية القديمة) في صورة «ن

و د» ومعناها: ريح ـ بالضبط (معجم بييلا). أما في العربية العدنانية فنقرأ في مادة «نود»: تنوَّد الغصن إذا تحرك ـ ولا تكون حركته إلا من هواء شديد، أو ريح.

لكن أطرف ما حدث لـ wind (ريح) هذه أن جاءت في صورة wend بمعنى: ذهب، مضى، فات.. أي: راح (وهي من مادة «روح» التي منها «الريح»). وأبدلت الدال تاءً فكانت went.

أتدري ما went هذه؟

إنها ماضي الفعل المضارع go (يذهب، يمضي) تعني: ذهب، مضى. وكثيراً ما عجبت كيف يجوز أن يكون الفعل الماضي من غير مادة الفعل المضارع في الإنكليزية الهجين. ذلك لأنها فعلاً لغة هجين.

أو تدري أيضاً ما أصل go؟

إنه من الجرمانية **goe/ gai**. وهذه هي العربية **«جاء»** (بنطق الجيم في صيغتها القديمة gā'a) وهي تعني الآن القدوم لكنها تعني الذهاب أيضاً. تقول: جاء فلان المكان ـ أي ذهب إليه ـ مثلها في ذلك مثل **«باء»** بمعنى القدوم والذهاب معاً، وكما هو حال **«أتى»** التي تفيد القدوم إلى الشيء والذهاب إليه في آن.

أو تذكر شريطاً من أشرطة الخيالة شهيراً، قد تكون شاهدته أو سمعت به أو قرأت، على الأقل، روايته، يدعى في لغة البريطان

وترجم إلى (ذهب مع الريح)؟ Gone with the Wind

هذا جيد؛ فإن عنوانه يذكرك بما ذهب من حديثنا وراح!

63

يقول أحدنا لصاحبه، مرحباً به في بيته: يا ألف أهلاً وسهلاً.. آنست والله.. تفضل أدخل «**الصالون**». وهذه مفردة حديثة نسبياً، وكنا نسمي هذا «الصالون» من قبل: **المربوعة**، ونجمعها على: مرابيع.. وهي قاعة استقبال الضيوف حيث «يتربع» الجمع في جلستهم المريحة على البسط والأكلمة يتبادلون الأحاديث الودية ويحتسون كؤوس الشاي الأخضر بالنعنع الفواح.

في الإيطالية salone والفرنسية salon والإنكليزية saloon = قاعة أو بهو. وقد خصت في لهجتنا قاعة الضيوف، ثم صارت تطلق على الكراسي فيها على مختلف طرزها ومتباين أنماطها، فيقال: صالون تركي، أو طلياني، أو فرنساوي، وحتى صالون مغربي. وأطلقت أيضاً على محل الحلاقة والتزيين: صالون الحلاق ـ مثلاً. وهي ذات صلة وثيقة بمفردة أُخرى هي «**صالة**» (ونجمعها: صالات) التي تشير إلى مساحة وسط المنزل حيث يقعد أهله من غير أضيافهم، ونطلقها كذلك على قاعات المناسبات الفسيحة في الفنادق والمعارض، أو قاعات عرض أشرطة الخيالة.. وما إليها بسبيل. وهي في الإيطالية sala وفي الفرنسية salle (الفرنسية القديمة sale وsol). أما في الإنكليزية فقد أبدلت السين هاء فكانت hall (تنطق:

هُوْل). من الجرمانية العتيقة halla = هالاً = صالا = صالة) ـ ولا وجود لها في اللاتينية. أهي عربية؟ نعم. . وإليك البيان:

في القرآن الكريم وردت «**صلوات**» (قارن جمعنا لها: صالات) إذ قال عز وجل: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحج: 40].

وجاء في تفسير كلمة «صلوات» أن «صلوات اليهود: كنائسهم. . . قال ابن عباس: هي كنائس اليهود أي مواضع الصلوات، وأصلها بالعبرانية: **صَلُوتا**، وقرئت: وصُلُوتٌ ومساجد. . . وقيل إنها مواضع صلوات الصابئين، وقيل: معناه لهدِّمت مواضع الصلوات فأقيمت الصلوات مقامها. . . وقال بعضهم: تهديم الصلوات تعطيلها. وقيل: **الصلاة** بيت لأهل الكتاب يُصلُّون فيه» (لسان العرب: صلا).

هذه إذن هي القاعة أو البهو أي «**الصالة**» حيث تؤدى شعائر العبادة. لكن لا صلة لها بالصلاة (العبادة أو الدعاء) فإن صلتها الوثقى في مادة (صلا) التي تجد فيها: **الصِّلاية** = الفِهر، والفهر = الحجر. و«الصالة» مبنى، والمبنى يكون عادة بالحجارة ـ أي «الصلاية». والقارىء العزيز يدرك ـ بلا ريب ـ صلة **الحُجرة** بالحجارة، وصلة **البناء** ذاته بمادة «بن» الثنائية التي تفيد في اللغات العروبية القديمة: الحَجر.

من هنا جاءت في السبئية (اليمنية القديمة) كلمة **«س ل ي»**

بتبادل السين والصاد بمعنى: غرفة منعزلة، خلوة خاصة بالناسك المتعبد. (معجم بييلا). ولا تعجب.. فإن من نفس المادة اسم مدينة «**سلا**» في المغرب، شقيقة «الرباط» يفصل بينهما وادي أبي رقراق، فإن معناه الأول: الحجر، ثم المدينة، وهي عرفت عند الرومان بإبدال السين أو الصاد شيناً معجمة فكانت «شِلَّة» shella. والمدينة كانت في العادة مسوَّرة، محصنة، معزولة، ومن دلالة العزل في السريانية shla (انعزال، انفراد) وshli (خلا، انفرد).

وتتداعى المفردات بعضها في إثر بعض، ولتطق معي صبراً. ونحن نعرف في لهجتنا كلمة «شِيلاّ» cella الإيطالية بمعنى: غرفة منفردة، «زنزانة» في السجن مثلاً. إنها من اللاتينية cella. وفي الإنكليزية cell (خلية. لاحظ رجاءً صلة «خلية» بـ «خلوة» فإنهما معاً من مادة «خلا»). وقريب من هذا: shell (قوقعة/ منفردة) وceil (يسقف) ومنها ceiling (سقف) وconceal (يخبىء، يعزل، يخفي). وقد لا ننتهي إذا ما تتبعنا ما أخذ من «صلا» العربية هذه. وكل هذا جرنا إليه «**الصالون**» و«**الصالة**» سامحهما الله!

هل أدعك، أو أودعك، قبل أن أخبرك بشيء؟

ففي «صالونك» العامرة مقعد طويل إلى جانب المقاعد الفردية.. طبعاً. أتدعوه «**صوفا**»؟ إن لم تكن تفعل فغيرك يفعل. وهذا هو اسمه في اللغات الأوروبية كلها sofa. وهو اسم عربي صميم: «**صُفَّة**».. تلك التي يصطف عليها القوم «مقعمزين» سعداء هانئين.

64

إلى جانب «**الصوفا**» التي ذكرت في ما سبق أن الأروام نقلوها عن العربية «**صُفَّة**»، يكاد ألا يخلو بيت من بيوتنا العامرة بالأثاث من خزانة ثقيلة ضخمة ذات أبواب وأرفف تشغل جداراً كاملاً من جُدُر الحجرة، تملأ فساتين وقفاطين وبطاطين وبذلات وبزّات متنوعات مختلفات، وتكدس فيها الفرش والبسط و«**المناديل**» أحياناً حتى تنبعج أحشاؤها وتتفكك أوصالها.. كان الله في عونها!

هذه الخزانة الرهيبة ندعوها في لهجتنا «**مْهَنّي**». وقد يظن أن التسمية جاءت من «الهناء» أي السعادة؛ إذ يسعد منظرها الفخم وحجمها الضخم ربة البيت.. رغم ما دفع فيها رب البيت المسكين من ثمن باهظ رسعر غالٍ. أو يُحسب أن «المهنّي» سمي كذلك لأنه «يْهَنّي» (أي: يحفظ ويصون ـ في لهجتنا) ما وضع فيه من متاع كثير بدلاً من أن يظل مبعثراً منتشراً في كل ركن من أركان المنزل السعيد. غير أن هذا كله بعيد عن أصل التسمية الغريبة التي يبدو لي أنها جاءت من اسم الخشب الذي كانت تصنع منه هذه الخزانة الفخيمة في الإنكليزية mahogany وهو خشب استوائي صلب يصنع منه الأثاث، كالكراسي والمناضد ونحوها، والخزائن الخشبية طبعاً، قابل للجلي والتلميع حتى يبرق، ولونه أسمر محمر. وإذا كانت هذه الأوصاف تنطبق على «المهنّي» القديم، فإن «مهنّي» هذه الأيام صار يصنع من خشب رهيف، أو من نشارة الخشب المضغوطة، فلا تكاد تفتح له باباً أو تقفله حتى تسمع له صريراً وأزيزاً، ثم تكتكة

وطقطقة، ثم بعد حين تجده يَهْتز ويرتعد كأن به رعشة صاعقة. فإذا كررت الفتح والإقفال لقلق وطقطق، وتداعى منهاراً كومة واحدة، متناثر الألواح، مبعثر المسامير، محطم الأضلاع، مكسور الأبواب.. فعليك «بمهني» جديد.. وأمرك لله!

قال معجم اللغة الإنكليزية إن أصل كلمة mahogany مجهول. بيد أننا نجد ذات الكلمة في الفرنسية في صورة mahonne وهي تعني نوعاً من المراكب الصغيرة تستعمل في مرافىء البحر الأبيض المتوسط. دخلت الفرنسية من التركية màoùna سنة 1540م. ولعلك أدركت أن الكلمة التركية ليست إلا العربية **«ماعون»** أو **«ماعونة»** = القادس، المركب الصغير.

فما هي الصلة بين «الماعونة» العربية وmàoùna التركية وmahonne الفرنسية وmahogany الإنكليزية و«مهنّي» في الدارجة الليبية؟

إنها صلة الخشب. فالمركب تصنع ألواحه من خشب متين طبعاً، واشتهرت تسمية «الماعونة» العربية، عن طريق التركية، وهي المركب المصنوع من هذا الخشب المتين، حتى أطلقت على الخشب ذاته، يؤتى به من المناطق الإستوائية فكان في الإنكليزية mahogany وهو ما يعمل منه الأثاث الجيد، وصار عندنا «مهنّي» ربما من الفرنسية mahonne.

الطريف أن التسمية العجيبة أطلقت على أحد مرافىء جزر

«الباليار» شرقي أسبانيا: Port-Mahon وينسب إليها mahonia.
فهي: مرفأ الماعون، والماعونية.. بالضبط.

ولا ضير.. فإن «**المهنّي**» في الحق ليس إلا «**ماعوناً**» يضخم حتى يوشك أن يكون مركباً صغيراً، يحشى بمتاع أهل البيت ولباسهم وما استغنوا عنه من أردية وثياب.

ومن «المهنّي» ننتقل إلى «**الغانجو**».. وهي مفردة كان جيلنا يستخدمها كثيراً في بيوتنا القديمة، عبارة عن قضيب من حديد يغرز طرفه في قوس مدخل الدار، ليثبت طرفه المعقوف في حلقة خاصة في مصراع الباب حين يقفل فلا يمكن فتحه من خارج ولو جيء بجن سليمان ليفتحوه. كان هذا قبل ورود الأقفال اللولبية والإلكترونية والكهربائية الحديثة، فرحم الله «أيام زمان».

هذا «الغانجو» المبارك يدعى في الإنكليزية hinge واللفظ قريب مما في الإيطالية gancio (دعامة/ إسناد) وهي التي نقلنا عنها ما في لهجتنا. والفكرة الرئيسية في الأمر هي المساندة والدعم، كما يسند «الغانجو» الباب. من هنا نجد في الإنكليزية كلمة gang (عصابة، زمرة من المجرمين عادة يسند بعضهم بعضاً) ومنها gangster (عضو عصابة/ لص/ قاطع طريق) وهي كلمة شهيرة خصت الآن المنحرف من الأحداث والمراهقين. ويحتار معجم الإنكليزية الإشتقاقي في أصل كلمة gange وما اشتق منها من جهة، كما يربط بين hinge وhang (يعلق/ يشنق) من جهة أُخرى. فلو التفت إلى مادة «**عنج**»

العربية لوجد الأصل الأصيل. قال صاحب (لسان العرب):

العناج: خيط أو سير يشد في أسفل الدلو ثم يشد في عروتها... وربما شد في إحدى آذانها... ويقال: إني لا أرى لأمرك عناجاً أي ملاكاً (يقصد أنه غير موثوق). والعناج: العقد. قال الحطيئة يمدح قوماً عقدوا لجارهم عهداً فوفوا به:

قوم إذا عقدوا لجارهم
شدُّوا العناج وشدُّوا فوقه الكَرَبَا

وهذا هو حال الربط والعقد، تماماً كما هو حال «**الغانجو**» الذي «يربط» مصراع الباب إلى قوس مدخل الدار، فليس له من فكاك.

وأسمعك تتساءل: حتى «الغانجو» لا تدعه وشأنه؟

وأجيبك: نعم.. حتى هذا.. وحتى تدرك أن لغتنا العربية الشريفة هي أم اللغات.

65

لكل مبنى صَغُر أو كبر، خاصاً كان أو عاماً، باب ـ وجمعه: أبواب، وجاز في الشعر أن يجمع على «أبوبة». أما «بيبان» وهو الجمع المستعمل في لهجتنا فليس بعربي فصيح، وكذلك «بوّابة» التي تعني بها الباب الحديدي الكبير يكون في السور عادة، فإن «البوّابة» مؤنث «بوّاب» وهو الحاجب على الباب.

هذا الباب ـ بسلامته ـ يدعى عند الطلليان porta ولدى الإسبان

puerta وبين الفرنسيس porte. وكلها من اللاتينية port وقد سبق أن بيَّنَّا أصلها العربي: «**برّة**» (براً) = الخارج ـ ثم: المخرج الذي هو مدخل في الوقت ذاته. أم الإنكليز فيسمون الباب door وقريب من هذا ما في بقية اللغات الجرمانية: القوطية duru والنوردية dyrr والألمانية tur. . إلخ. وهي تعود إلى اليونانية thura كما قالوا ـ وهذه الأخيرة محرفة عن كلمة أُخرى في اليونانية أيضاً هي delta وهي مفردة شهيرة نعرفها جيداً في شيئين؛ **أولهما** كونها اسم الحرف الرابع من حروف الهجاء، أعني حرف الدال (أ ب ج د) **وثانيهما** كونها تطلق على أرض بعض الأنهار قرب البحر إذا انقسم النهر قبل وصوله مصبه إلى فرعين فشكل ما يشبه حرف الدال اليوناني. ومن ذلك «**دلتا النيل**» في مصر وهي الأرض الواقعة ما بين فرعي رشيد ودمياط ـ على سبيل المثال.

وقد أخذ اليونان الأقدمون حروف الهجاء والكتابة ذاتها عن العرب الكنعانيين كما هو معلوم مشهور. وفي الكنعانية يسمى الحرف الرابع من الترتيب الهجائي «**دالت**» وهو حرف الدال في العربية، وكان يرسم على شكل باب مربع، ثم تحول إلى شكل مثلث. والكلمة (دالت) تعني: الباب، عند بني كنعان (ولفنسون؛ تاريخ اللغات السامية، ص99). وهي صيغة مؤنثة بحرف التاء، مذكرها «**دال**» (= «**دل**» في الكنعانية التي لا توجد بها الحروف الصائتة، علامات التحريك). ومن هنا (صدق أو لا تصدق) جاء

الجذر العربي «**دول**» الذي انبثقت منه مشتقات كثيرة من مثل: داول، تداول (أي تعاقب) والمداولة في المحكمة مثلاً، بل و«الدولة» ذاتها. فكلها تعود إلى الصورة الحسية للباب الذي يفتح ويقفل ويدور مصراعه حول الرَّزة مرات ومرات، فهو متداول أبداً.

والأروام كثيرو الأخذ من لغتنا، وكثيرو إفساد موسيقاها ولحنها الجميل. وهكذا حول اللام في الجذر «دول» إلى راء فصار «دور».. كلا.. بل إن «دور» ذاتها ذات صلة وثقى بـ «دول»؛ فإن الدوران من شأن الباب قطعاً.. أليس كذلك. وتحول الدال في اليونانية إلى ثاء مثلثة فكان thura ولكنه ظل كما هو في اسم الحرف الرابع من حروف الهجاء delta. ومرت بهذا الجذر تقلبات وتصاريف ـ كما رأيت ـ حتى صار في الإنكليزية door (باب).

فهل نغلق هذا الباب يا صديقي؟

ليس بعد؛ فإن للباب قفلاً في العادة، ويدعوه البريطان lock. وثمة مشتقات كثيرة منها locksmith: صانع الأقفال ـ مثلاً. نرى أن lock (أقفل، قفل) ليست إلا العربية «**غلق**» ـ أغلق، يغلق، إغلاقاً.

وإذا كانت العربية «غلق» تحولت إلى lock بسقوط الغين ونطق القاف كافاً عند الإنكليزية فإن القفل عند الإسبان يقال له cerradura والطليان يدعونه serratura بينما هو عند الفرنسيين serrure، وكلها تعود إلى اللاتينية serr-re. عربيتها: سرر ـ ومنها: السّر والإِسرار. ولك أن تقارن كذلك مادة (أسر) وفيها دلالة الربط والحفظ، وأختها

(صرر) وشقيقتها (أصر). . فإن هذه هي تلك.

وللقفل مفتاح ـ طبعاً. يدعى عندهم key، ولدى الطليان chiave وعند الفرنسيس clef, clé. وكلها تعود إلى اللاتينية clau-s. ولا يدري معجم الأخيرة الإشتقاقي ما أصلها. . فلننبئه بأن أصلها عربي مبين نجده في مادة «كلأ». وينبغي ألا ننسى أن «**المفتاح**» هو في ذات الوقت «مقفال» و«مغلاق»، وكذلك الأمر في key الإنكليزية وأخواتها.

هل تتابعني يا صاحبي بالله عليك؟

إذن. . فلننظر في مادة «كلأ» العربية. قال صاحب «لسان العرب»: كلأك الله كِلاءة: حفظك وحرسك، وأنشد:

إن سلمى والله **يكلؤها**

ضنت بزادٍ كان يرزؤها

وفي الحديث أنه قال لبلال وهم مسافرون: أكلألنا وقتنا. هو من الحفظ والحراسة. قال جميل بثينة:

فكوني بخير في كِلاءٍ وغبطة

وإن كنت قد أزمعت هجري وبغضتي

والكلاء: مرفأ السفن الذي يحفظها. ومن ذلك اسم «المكلاً» (وأصله: المكّلأ) مرفأ شهير في جنوب اليمن. ولعلك سمعت أغنية جميلة عن «بنات المكلا» فاعلم أن هذا من ذاك. . رعاك الله!

فإن قيل إن العربية «كلأ» مأخوذة عن اللاتينية clau-s فما الرأي في العروبية الكنعانية البالغة القدم وفيها ورد: «ك ل أ» = أغلق، أقفل، وفي العروبية السريانية: «كِلا» kela بنفس الدلالة؟ (فريحة؛ ملاحم. . ص660).

يا الله! معذرة. . هل يمكن أن نقفل هذا الحديث بعد أن فتحناه على مصراعيه؟!

هنا، يا قارئي العزيز، تنتهي مرحلة من (رحلة الكلمات) هذه، كانت أحاديث مذاعة، لنحط رحالنا ونستريح قليلاً، ثم نظعن لنتابع السير معاً في أحاديث أُخرى كانت منشورة مشاعة.



خرافة أم سيسي(*)

(وتنطق «خرّافة» بتشديد الراء). حكاية شعبية لطيفة ترويها الجدات للأحفاد عن ذلك الفأر الذي أرسلته أمه إلى «أم سيسي» ليأتي بغربال وكانت هذه قد غطت به إناء اللبن فسمحت له بأخذ الغربال وحذرته من شرب اللبن. لم يقاوم الفأر الصغير إغراء اللبن فرشف رشفتين وأخذ الغربال ومسح أثر اللبن. لكن «أم سيسي» لاحظت قطرة على طرف «شارب» شارب اللبن، فغضبت وأسرعت خلفه لعقابه وكان الفأر ـ طبعاً ـ سريع الفرار فلم تلحق إلا بطرف

(*) قارن تسمية البومة في مصر (أم قويق) أي ذات الصوت الصارخ «قويق» والعصفور المسمى «بورفراف» أي المرفرف بشدة، و«بوجحار» وما إليها. كذلك قارن: (أم الأرانب) أي ذات الأرانب الكثيرة، و«أبو ظبي» أي كثيرة الظباء، وفي العربية: أبو، وأخو، وأم = ذو/ ذات، صاحب/ صاحبة...

«أم سيسي» وتنطق على الأغلب «أم بسيسي» ولعل هذا يرجع إلى إدماج «أم سيسي» و«أبو سيسي» (السريع، الخطاف) فكانت «أم بسيسي» وبذا جمعت «أبو» و«أم» في تركيب واحد، وهو من عجائب اللهجة المدهشة!

ذيله فأمسكت به، فانقطع، وظل رهينة لديها. تضرع الفأر الصغير كي ترد له «أم سيسي» ذيله المقطوع لكي «يعيِّد به يوم العيد) فرفضت هذه إلا إذا رد اللبن الذي شرب دون إذن. وبقية القصة معروفة: ذهب متوسلاً إلى العنزة والعنزة طلبت العشب، والعشب في الوادي، والوادي يريد الماء... حتى وصل إلى الحداد الذي يصنع المناجل للحصاد فأمره هذا بنفخ النار كي يتم صناعة المنجل، فطارت شرارة أفقدت الفأر التاعس إحدى عينيه. لكنه في النهاية حصل على شيء من لبن العنزة وجاء به إلى (أم سيسي) التي ردت له ذيله وكان قد فسد، فما انتفع به ولم (يعيّد به يوم العيد)!

(أم سيسي) هي طائر الخطاف المشهور بسرعته، يمد جناحيه في الأماسي والأصباح يحوم في الجو رشيقاً يلتقط الحشرات، بلونه الأسود الفاحم، وطوقه الأبيض الجميل، وهو طائر مهاجر وكان أحد المعبودات في مصر القديمة مقدساً مباركاً. لعل هذا هو السبب في احترامه واعتباره (طائر بركة) حتى أيامنا هذه في ليبيا. وكنا أيام الطفولة والصبا نصطاد العصافير بالفخاخ فإذا وقع خطاف في الفخ أو صيد بطريقة ما ذهبنا به إلى الأمهات فيصبغن رجليه الدقيقتين بالحناء ثم يطلقن سراحه. ولن تجد أحداً ذبح خطافاً أو طعمه مطلقاً. ونحن نرى أثراً من هذا التقديس في ما ورد في مادة «خطف» في (لسان العرب) قال:

«والخطاف: العصفور الأسود وهو الذي تدعوه العامة عصفور الجنة وجمعه: خطاطيف. وفي حديث ابن مسعود: لأن أكون

نفضت يدي من قبور تبنى أحب إلي من أن يقع من بيض الخطاف فينكسر. قال ابن الأثير: الخطاف الطائر المعروف. قال ذلك شفقة ورحمة».

وقد تكون في قول ابن مسعود الشفقة والرحمة، وقد يكون فيه معنى التوقير والاحترام لهذا الطائر المعبود القديم. يقول الأستاذ «والس بدج» W.Budge في كتابه: آلهة المصريين، (ص373 The Gods of the Egyptians II) ما فحواه أن الروح الإنسانية كانت عند قدماء المصريين تحل بعد موت صاحبها في طائر الخطاف كما جاء في (كتاب الأموات) وأن القرابين كانت تقدم لهذا الطائر المعبود، وطبقاً للمؤرخ اليوناني (فلوطارخ) Plutarch فإن الربة «إيزيس» تمثلت في صورة خطاف وهي تندب أخاها وزوجها في الوقت نفسه «أوزيريس».

من هنا نجد لهذا الطائر الرقيق اللطيف في اللغة المصرية القديمة تسميتين: الأولى «ب ن ي» BNI وقد تقابل الجذر العربي «ب ن (ن)» ومنه: البنة = الرائحة الطيبة، الطعم الطيب، اللذيذ، الحلو. . . . وهو يلقب: «الخطاف الجميل» لتشكل إيزيس بصورته كما سبق ذكره. والثانية: «ور» WR = العظيم، المحترم، الموقر. ونقابلها بالعربية: «وري» «وارِ» = عظيم. بيد أننا نجد في مادة «ورش» (ثلاثي «ور») في (لسان العرب): والورشان: طائر شبه الحمامة، وجمعه: ورشان. . . وهو ساق حُر. . والورشان. . . الكبير».

وقاعدة تداخل الأسماء معروفة: فالورشان (الأصل: ور) طائر

كالحمامة، ثم هو ساق حر، وليس ثمة ما يمنع أن يكون «الخطاف» ثم هو «الكبير» تماماً كما في المصرية: «ور» = خطاف وكبير.

الطريف أن في مادة «ورش» العربية نجد أن «الوارش» هو الموغل في الأكل، و«الوُروش» الشهوة إلى الطعام فهل نقول إن التسمية الأولى للخطاف في المصرية «ب ن ي» تقابل العربية «بلع» بتعاقب اللام والنون؟ إذ ليس في المصرية لام وإبدال العين ياء. الأطرف أن كلمة swallow في الإنكليزية تعني: خطاف، كما تعني: بلع.

هل ذلك لأن الخطاف اشتهر بالشهوة للطعام فهو دائم التحليق لا يهدأ يبتلع كل ما يصادفه من حشرات؟ ممكن!

فلنعد إلى «أم سيسي» العزيزة. وقد قلنا إنها الخطاف. فمن أين جاءت هذه التسمية الغريبة؟

فلنلاحظ أن كلمة «الخطاف» ذاتها موجودة في الجذر «خطف» وفيه معنى السرعة، فهو طائر يمر أمام العيون خطفاً حتى لا تكاد تلاحقه، فالأصل في هذه التسمية إذن هو السرعة الخاطفة. وماذا كان رمز السرعة في العصَور القديمة يا ترى؟ إنه الحصان. . . أسرع ما عرفه الإنسان القديم من حيوان استأنسه واستعمله في الكر والفر.

هذا الحصان السريع المشي نجده يسمى في اللغات: المصري: «س س» SS (SES) (معجم بدج ـ ص618). وفي الأكادية: «سسو» SISU (معجم وير ـ ص299). الأستاذ «وير» يقول إن أصل الكلمة

غير معروف وجعلها كلمة مستعارة ويقارنها بالعبرية/ الآرامية «سيسو» SISU ثم بالسنسكريتية ASWAS. وفي الكنعانية: (نقوش رأس شمرا): «س س و» (فريحة ـ ص631)، (ويربطها فريحة بالسريانية SASYA ويقول إنها من أصل غير (سامي) وتعني: ساسَ، حصان).

هل التفت أحد إلى اللهجة الليبية الدارجة اليوم؟

في اللهجة الليبية نجد في لغة الطفولة إن الحصان يسمى (صَصْ) وحين يريد أحد الليبيين أن يوقف حصانه، أو يمنعه عن الحركة القلقة يخاطبه: «صَصْ» أو «صَصْ يا»! (قارن السريانية: سَسيا sasya). في اللهجة المصرية المعاصرة يسمى الحصان الصغير بالذات: «سيسي».

من هنا نرى أن ارتباط الحصان بالسرعة، وتسميته من الجذر (س س/ صص) أدى إلى تسمية طائر الخطاف السريع الطيران بـ «سيسي» كذلك، ثم صارت في اللهجة الليبية (والتونسية) «أم سيسي» كما نقول «أبو كذا»! أو «أخو كذا»! أو حتى «أم كذا»![1].

فماذا قال فريحة من معاني «س س و» الكنعانية إلى جانب «حصان»؟. قال: «ساسَ» فعل ماض من «يسوس» (سياسة). وهذا مثير جداً.

---

(1) راجع للكاتب: بحثاً عن فرعون العربي/ الدار العربية للكتاب ـ طرابلس/ تونس 1985.

لن تجد كلمة «سياسة» في الجذر «سيس» بالياء بل تجده في (سوس) بالواو. قال ابن منظور: «السَّوْس الرياسة، يقال: ساسوهم سَوْساً. . . . وساس الأمر سياسة قام به. ورجل ساس من قوم ساسة وسُوّاس (لاحظ أنه لا وجد لـ «سياسي»). . . . سوَّسه القوم جعلوه رئيسهم. . . والسياسة: القيام بالشيء بما يصلحه».

ثم يقول:

«والسياسة: فعل السائس، يقال: هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها. والوالي يسوس رعيته».

هنا نجد صلة (السائس) بالدواب وروضها أو ترويضها والقيام عليها (ملاحظة: في المصرية القديمة (س س) = تقوية، تربية to strengthen, to raise up حسب «معجم بدج» ـ ص618. . . فقارن!) فهل تخطىء أعيننا الجذر القديم «س س/ صص» حصان؟. . . ثم صار يعني من باب إطلاق الجزء على الكل: الدواب؟

من «س س»/ «سوس» جاءت «سائس» الخيل، أو الدواب، ثم أصبحت تعني من يسوس الناس، أي يقوم على أمرهم. . وربما يروضهم، وكانت: «السياسة» التي تعرف.

وبالمناسبة: دخلت كلمة (سائس) العربية اللغة الإنكليزية فكانت فيها syce/ sice، بنفس المعنى.

وهذا كله بفضل أم سيسي المباركة!

مارس.. الذهب الخالص

قال ساخراً: إذن. . عربتم الأشهر الإفرنجية. . هه؟!

قلت : نعم، ولم لا؟

قال : ولكنكم عجزتم عن تعريب أحدها فحرفتموه.

قلت : ما هو؟

قال : شهر «مارس» جعلتموه «المريخ». . ها ها ها!!

قلت : ذلك لأنه عربي أصلاً.

قال: شنو؟! عربي؟ إنه لاتيني يا أخ. كان اسم رب الحرب والقتال عند الرومان، إله الصواعق والزوابع والأعاصير، سمي به هذا الشهر (مارس) لأنه شهر ما ذكرت، وقرن بالحروب لأنها تؤدي إلى ما بينت.

قلت : مهلاً. ما ذكرته صحيح، لكن الرومان لم يبدعوا الاسم إبداعاً بل هم نقلوه عن العرب الأقدمين.

قال : كيف؟

قلت : أليس هو رب الحرب والقتال والضرب والنزال؟

قال : بلى.

قلت : هو ذاك ما تجده في اللغة العروبية المصرية بالضبط، نقشاً على المعابد وتسجيلاً في الألواح: «م ر خ» = قتال، حرب، وكذلك «م ر س» اسم إلٰه هو على الأرجح ما عرفه الرومان باسم (مارس).

قال : بلا لغة مصرية بلا... كلمني بالعربي من فضلك!.

قلت : المصرية القديمة لسان عربي، لعلك تقصد العربية الحجازية، أو ما نسميها العربية الفصحى.

قال : باهي!

قلت : في (لسان العرب) لابن منظور هناك مادة «مرج» وتفيد اللهب المختلط بالسواد وفي القرآن ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [سورة الرحمن: 15] وهذا هو شأن «مارس» اللاتيني إلٰه الحرب. ومادة «مرج» هي ذاتها «مرخ» (بالخاء) التي تقرأ فيها: «المريخ والمريج: كوكب من الخنس في السماء الخامسة وهو بهرام [بالفارسية] قال:

«فعند ذاك يطلع المريخ
بالصبح يحكي لونه زخيخ
من شعلة ساعدها النفيخ»

وفي مادة «مرد» هناك: المارد، ومنه «مردة الجن والشياطين والمريد: الشرير». . شأن مارس آله الحرب الروماني.

ثم هناك «مرس» ومنه «الرجل المرس، أي الشديد المجرب للحروب». . إلى آخره إلى آخره. وهذا كله على سبيل إبداك الحرف الثالث من الجذر الأساسي الثنائي «مر» الذي يفيد القوة والشدة. وأنت تعرف أن «المريخ» (مارس) اسم لكوكب يحاولون الآن الوصول إليه، هو بالفارسية «بهرام» كما ذكر ابن منظور، سمي الكوكب باسم المعبود كما سمى «نبتون» و«عطارد» أو «الشعرى» (الزهرة) مثلاً.

الطريف أن الأصل في اسم «مارس» في اللاتينية ليس بالسين بل بالتاء «مارت» mart، وهو كذلك في التركية، ومن ذلك الإنكليزية martial law أي: قانون الطوارىء = القانون الحربي، أو بالضبط القانون المارسي (نسبة إلى إله الحرب) أو «المارتي» أي المريخي، فهل أدركت، يا صاحبي، أن تسميتنا للشهر الثالث من السنة باسم «المريخ» عربية قحة، وأن «مارس» هي المأخوذة عنا؟

الفرق أنهم اعتبروا زوابعه وأعاصيره وأمطاره شراً، بحكم طقس أوروبا المرعب، أما نحن فإن هذا الشهر كله خير وبركة، ومطره نعمة ورحمة. ألم تسمع قول أهلنا المجربين: «مطر مارس ذهب خالص»؟ قال: يزّينا. . عاد!

تساءلت: ماذا قلت؟ «يزّينا»؟ ما رأيك لو التقينا لنناقش هذه «اليزّي» التي ذكرت؟!

يِزِّنــا عَــادْ!

غاضباً وقد اشتد بك الهياج من موقف ما. أو راجياً متوسلاً، أو ساخراً مستنكراً، تقول لصاحبك تطلب منه التوقف عن فعل أو قول: «يزِّينا عاد!»

هذا إذا كنت من أهل طرابلس والنواحي الغربية، أو حتى من تونس. فإذا كنت مما شرقها قلت: «ساذنا عاد!» أو مجرد: «ساذْ»! وهو ما يقابل لهجة عرب مصر: «كفاية بقى!» وفي الشام: «بيكفي!» ـ والعربية الفصحى: «كفى!» وقد نختصر القول في «يزي» فنرجعها إلى الفصحى «يجزي» ـ إذ تقلب الجيم زايا إذا تجاورتا عادة في اللهجة الليبية فيقال: زايز = جائز، يزز = يجز، زُوْز = زوج، زِزىْ = جِزِيْ (جزاء)، ازّوز = تزوج، زنزبيل = زنجبيل، زلّيز = زلّيج . . إلخ.

ورد في (لسان العرب) لابن منظور في مادة (جزي):

«يقال: ما يجزيني هذا الثوب أي: ما يكفيني. ويقال: هذه إبلٌ

مجازٍ يا هذا، أي: تكفي. الجمل الواحد: مُجزٍ. وفلان بارع مجزي لأمره أي كافٍ لأمره. وجزى الشيء يجزي: كفى... وقال بعضهم: جزيت عني فلانا: كأفاته» ومن هنا جاءت «الجزاء» أي: المكافأة.

لكن ما رأيك في أن هذه الكلمة موجودة في اللغة الفرنسية؟ إنها تأتي في صورة «أسي» asse(z) بمعنى: كفى، كاف، كفاية، «يزّي!». ومعاجم الفرنجة تقول إن أصلها من اللغة اللاتينية القديمة sati وهي دخلت اللغة الإنكليزية العتيقة في شكل sade ومنها كلمات كثيرة في هذه اللغة تدل على الاكتفاء والامتلاء مثل: sate: أشبع، أفعم، أبشم. satiate: شبعان، مكتظ، مليء. satiety/ satiation: شبع، اكتفاء.

أليست اللاتينية sati والإنكليزية القديمة sade هي ذاتها ما في اللهجة «ساذ»؟!

يقول الليبيون: ساذنا = يكفينا، هذا الشيء يْسِدّ = يكفي. فلان ما يْسِدّه شيء = لا يكفيه، أي: لا يشبع. ولا ريب في عربيتها إذ هي من مادة (سدد) ومنها: السُّداد = الغطاء، والسَّدُّ = الغلق، الإقفال. وفيها معنى الامتلاء والاكتفاء مثل قولنا: لقمة تسد الرمق، أي تكفي لاستمرار الحياة. وسد الحاجة أي كفايتها. وهناك «السَّد» ـ بفتح السين ـ بمعنى المنع أو الحجز، ويجوز «السُّد» ـ بضم السين ـ وهو الحاجز أو الساتر للماء وغيره.

وماذا يكون ذيل الحيوان يا ترى؟

إنه عبارة عن حاجز أو مانع أو حاجب أو مغلاق أو غطاء.. إلى آخر ما تعرف. ولذيل الحيوان تاريخ طويل في الحضارة العروبية الفرعونية في مصر، خاصة ذيل الحيوان المفترس، إذ الذيل ـ ويا للعجمب! ـ كان رمز الملك والقوة والسلطة والجبروت. هذا هو السبب في أن فراعنة مصر كانوا يرسمون على المعابد والهياكل تتدلى منهم ذيول طويلة تلامس الأرض. وقد ظلت هذه الذيول معروفة عند الملوك الأقدمين حتى في أوروبا ولكنها تطورت إلى ضرب من الثياب، بدلاً من ذيل الحيوان، يجرها الملك وراءه أينما ذهب، ثم ازدادت تطوراً فانقسمت ذيلين اثنين في «البدلة الرسمية» التي يلبسها «أصحاب الجلالة والفخامة والسعادة» من وزراء وسفراء عند المقابلة والاجتماع وهي نفسها التي يرتديها فرسان سباق الخيل، يبارون بها ذيول خيولهم عند السباق!

هذا الذيل ـ يا صاحبي ـ يسمى في اللغة المصرية القديمة «سد» = (سادٌ، أو: سداد) كما تكتب أحياناً «زط» ـ وهذا ما يسمى إبدال الحروف. الزاي = السين، الطاء = الدال (زط = سد) وكان ثمة احتفال كبير يقام كل سنة يكرم فيه هذا الذيل المحترم، وهو من أهم أعياد مصر القديمة.

«زط» هذه يا صديقي نعرفها في اللهجة الليبية في صورة «زاط» وفي تسميتنا المتداولة: «عْظِيْمْ زاط» ـ عربيتها الفصحى: عُظَيْم (تصغير «عَظْم») زاط. وهو أسفل العمود الفقري في الإنسان، ما يسمى «العصعص» (الإنكليزية: oss ومنها ossity = يدور، ينقلب

على عقبيه، يدير ظهره. قالوا: من اللاتينية: ossis ـ وهي العربية!) وكان المصريون القدماء يعتقدون أن كل شيء من جسد الإنسان حين يموت يبلى ويندثر سوى هذا «العظم» وحين يبعث من جديد ينبني جسده عليه (نفس الفكرة الموجودة في التراث الشعبي الليبي(ولعل هذا هو سر الاحتفال بهذا (الزاط) كل عام!

والذيل ـ كما تعرف ـ تابع لبقية الجسد، يأتي في آخره حتى يكاد يكون جزءاً غير أصلي في الحيوان فإذا لم يستعمله ضمر (وهذا ما حدث للإنسان كما يقول أصحاب نظرية التطور، إذ كان له ذيل فلما لم يعد يستعمله لنمو عقله وتطور حياته ضمر ولم يبق منه إلا أثره في «عظيم زاط» الذي ذكرت). ولما كان الذيل تابعاً فهو إذن «ظل». ألا يقال: فلان يتبع فلاناً كظله؟! لذا نجد في اللغة المصرية القديمة كلمة «ست» (أبدلت الدال هنا تاء) بمعنى «ظل»، وفي اللاتينية نجد الجذر sati يفيد التبعية، ومنه انبثقت كلمة علمية جداً تستعمل اليوم تعبيراً عما نعرفه باسم (القمر الصناعي) هي كلمة satellite وهي كلمة (تكنولوجية) حديثة بالغة الأهمية.

أخيراً ألا تلاحظ الصلة اللفظية بين «ذيل» (أصلها: ذل ـ ومنها: الذل = الخضوع، الاتباع، الذيلية) و«ظل» بتبادل الذال والظاء وهما من منفذ صوت واحد؟

هل نزيد أم ترى هذا «يِزّي» ـ أعني: يجزي؟ أتراه «ساذّاً» كافياً بالمراد؟

زَوّد يالِـيْــدْ!

على عكس «يزّي» و«ساد» التي تفيد طلب التوقف هناك في اللهجة الليبية كلمة «**زوّد**» التي تحث على التقدم وطلب الفعل بل الإسراع فيه والاقتحام: «**زوّد كول = تقدم كل، زوّدله = امض إليه**. وفي لهجة مصراته: **زوّد ياليد = تقدم يا وليدا ــ مصغر** «ولد»). وهي تسند ــ طبعاً ــ إلى الأفعال الخمسة، **زوّد، زوّدي، زوّدوا**، زوّدن، وليس في اللهجة خطاب المثنى ــ للأسف!

وفي الاستعمال معنى الاستعجال فإذا كان إلحاحاً قيل: «**تي زوّدا**» ولا يخطرن في البال إن لهذه الكلمة صلة بالزاد، حتى إن جاءت في موطن الدعوة للطعام، فإن المقصود أصلاً هو الإسراع والتقدم على عجل لأي شيء كان.

الكلمة ليست عربية. ولا نجد في مادة **(زود)** أو **(زيد)** لها أثراً بهذه الدلالة التي ذكرنا، ذلك ببساطة لأنها كلمة فارسية. والطريف أن يأتي ذكرها في معرض النفور من الفارسية والاعتزاز بالعربية على لسان عربي شديد الفخر بلغته الشريفة.. إذ ينقل الجواليقي في كتابه

(المعرب) ما أنشده أبو عمر الجرمي عن أبى المهدي مفاخراً بعروبته معرضاً عن لغة الفرس هذه الأبيات:

يقولون لي: شنبذ ولست مشنبذاً
طوال الليالي أو يزول ثبير
ولا قائلاً: زوذا ليعجل صاحبي
وبستان في صدري عَلَيَّ كبير
ولا تاركاً لحني لأحسن لحنهم
ولا دار صرف الدهر حين يدور

وفي هذه الأبيات ـ كما ترى ـ كلمات فارسية: شنبذ، أصلها: شون بوذي. وبِستان (بكسر الباء) معناها: خذ. وزوذ، ومعناها بالفارسية: أسرع، أو أعجل. وهي ذاتها «**زوّد**» التي نستعملها في اللهجة الليبية للحث على الإسراع تقدماً ومضياً.

أما كيف عبرت هذه الكلمة الفيافي والقفار، واجتازت الصحارى والبحار، وحلقت فوق السهول والجبال والأنهار، حتى وصلت من بلاد فارس إلى هذه البلاد فعلمه عند رب العباد!

القَرَنْقَحَة!

لعبة للأطفال قديمة حديثة. كنا نلعبها صغاراً، إذ كنا نعمد إلى قطعة مستطيلة مسواة من جذع نخلة تسمى: **«صَنُّورة»** ـ وهي ما يسقف بها البيت مع الجريد ـ (عربية فصيحة) نضعها فوق حجر كبير، ويجلس طفل، أو اثنان، على طرف منها وآخر، أو آخران، على الطرف الآخر. . يبدأ اللعب: إذ يرتفع هذا الطرف فينخفض الثاني، والعكس، حتى نتعب فندع **«الصنورة»** جانباً ونمضي إلى لعبة أُخرى.

هذه اللعبة تسمى في مصراته، وقد تسمى في مناطق أُخرى: **قَرَنْقَحَة»** بينما تدعى في طرابلس **«زَنْقدَخدَخ»**.

إسمان غريبان لا أعرف لهما أصلاً، فهل ثمة من يدلني عليه وله الأجر والثواب؟

نفس اللعبة تجده في ملاهي الأطفال، وقد استبدل جذع النخلة بقطعة خشب مستطيلة، أو قطعة من الحديد ذات لوالب وسلاسل.

تسمى في الإنكليزية seesaw. وهذ التسمية ـ يقول (معجم أكسفورد) الإشتقاقي ـ نشأت من تكرار كلمة saw التي تعني «**منشار**» وقد استثقلت saw - saw (إذ تبدو كقولهم so -so ومعناها الدارج «**نص نص**» أو «**هَذْ، ما هَذْ!**») فقلبت saw إلى see لتكون أكثر موسيقية في النطق. ذلك لأن هذه اللعبة تشبه المنشار الذي هو، كما تعرف، «طالع، نازل»!

فهل يهمك أن تعرف أصل saw في الإنكليزية (منشار)؟

يقول نفس المعجم إنها ترد في الإنكليزية العتيقة في صورة: sagu وsaga وهي في الجرمانية sago وذات صلة باللاتينية saca-re (بمعنى: **قَطَعَ**)، ولا يزال جيلي يذكر كيف كانت المنشرة (محل النجارة) تسمى «**سيقارية**» حتى عهد قريب، قبل التعريب، وهي من الإيطالية segaria. ومنها في اللهجة الليبية الدارجة: «**سيقة**» (قطعة قماش) و«**سيقتين**» (قطعتين).

لاحظ أن are (في اللاتينية) وaria (في الإيطالية) زائدة لغوية، والأصل هو sega وجذره (SG) وهذه تقابل العربية «**شق**» بالضبط. وذاك هو أصل الإنكليزية saw (منشار، أداة الشق ـ الشاق).

فلنعد إلى «القرنقحة»، أعني «الزنقدحدح»، أي إلى: الـ see saw.

في مادة «ألل» في (لسان العرب) يروي ابن منظور: «قال امرؤ القيس:

لمن زحلوقه زُلٌّ بها العينان تَنْهلُّ
ينادي الآخرَ الأَلُّ ألا حُلُّوا، ألا حُلُّوا!

[والألُّ فسرت هنا بأنها تعني: الأوّل]. قال المفضل في قول امرىء القيس: «**ألا حُلُّوا**» قال: هذا معنى لعبة للصبيان يجتمعون فيأخذون خشبة فيضعونها على قوز (**و«القوز» فصيحة كما ترى**) من رمل، ثم يجلس على أحد طرفيها جماعة وعلى الآخر جماعة، فأي الجماعتين كانت أرزن ارتفعت الأُخرى، فينادون أصحاب الطرف الآخر: ألا حُلُّوا ـ أي خفضوا من عددكم حتى نساويكم في التعديل. قال: وهذه التي تسميها العرب «**الدوداة**» و«**الزحلوقة**». قال: تسمى «**أرجوحة الحَضَر المطوَّحة**». انتهى نص (لسان العرب).

من هذا النص يمكننا أن نستفيد فوائد جليلة ما إخالك إلا أدركتها:

أولها: أن «الملك الضِّلّيل» صاحب (قفا نَبْك) وفيها: «**مكرٌّ مفرٌّ مقبل مدبر معاً**» و«**بين الدخول فَحومل**» ـ هذا الشعر «الفحل» كان يغني للأطفال، أو عن الأطفال، شعراً جميلاً عذب الألفاظ سهل الكلمات يصلح أن يكون من أغاني برنامج (افتح يا سمسم!) وهو يتذكر مرح طفولته وألعاب صباه.

وثانيها: أن العرب، حتى البدو منهم، عرفوا هذه اللعبة التي أسموها (أرجوحة الحضر المطوحة). وهذا اسم طويل كما ترى،

وأسماها امرؤ القيس «**الزحلوقة**». ولكن لها اسماً ثالثاً هو: «**الدوداة**». ألا يذكرك هذا بتسميتنا: «القرنقحة» و«الزنقدحدح» في غرابتهما؟!

وثالثها: أن وصفها بـ (أرجوحة الحضر المطوحة) ينبىء عن أن اللعبة في أساسها حضرية النشأة، ذلك لأن قطع الخشب الكبيرة التي تحمل جماعتين على طرفيها لا تتوفر في البادية. فإذا عثر عليها أطفال البادية وضعوها على «قوز رمل» وطفقوا يلعبون بها وهي تطوحهم ذات اليمين وذات الشمال.. سعداء!

ولم تنته اللعبة بعد.. أعني الكلام عن اللعبة. ونذكر من ألعاب الطفولة ما كنا نسميه (**جْحِيْفة النصارى**).. إذ يشبك صبيّان أصابع أيديهما شبكاً وثيقاً ويقفز صبي ثالث ليجلس على الأيدي المتشابكة كأنه في «**جحفة**» (**هودج**) ويُحمل من مكان إلى آخر والأطفال يصيحون: «جحيفة النصارى.. صارا» ـ هكذا بتكرار «صارا» ـ مما يذكرنا بتكرار saw في الإنكليزية seesaw.

ولعبة أُخرى: يخسر صبي في اللعب فيحكم عليه بأن يحمل صاحبه فوق ظهره وهو يقول: «**وين حوش بو سعدية؟!**». ويرد الصبي المحمول: «ما زال لُقدَّام شْوَيّة».. حتى يبلغ غايته فإن لم يرض أن يهبط ألقاه الحامل أرضاً!

هذه اللعبة ذاتها جاءت في شعر أبي العلاء المعري الذي أورده في «رسالة الغفران» وأسماها «**زقّفونة**» قال:

ست إن أعياك أمري فاحمليني زقفونة!

وقال مرة أُخرى:

صلحت حالتي إلى الخلف حتى

صرت أمشي إلى الورا زقّفونة

فمن أين جاءت كلمة زقفونة؟

هي من السريانية «**زقافا**» (**زقف**) zagafa بمعنى «**رفع**» وتستعمل في الإعراب اللغوي بهذا المعنى (أي «**الرفع**» في العربية مثل حالات الفاعل والمبتدأ.. إلخ). وتكافىء العربية «سقف» بتعاقب السين والزاي. والسقف هو غماء البيت كما يقول «اللسان» وورد في القرآن الكريم: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا﴾ [سورة الزخرف: 33]. الأولى على الإفراد والثانية جمع. والسقف ـ قطعاً ـ لا بد أن يكون «مرفوعاً» على عمد البيت أو جدره، بل ورد في القرآن الكريم: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ [سورة الطور: 5] بهذا التحديد ويبدو أن مادة (سقف) تفيد الرفع أو الحمل أصلاً كما تفيدها السريانية «زقف» التي منها «زقفونة». ولماذا زقفونة»؟

هذه هي صيغة التصغير في السريانية وهي «.. **ون**» **للمذكر** و«....**نة**» **للمؤنث**. ولك أن تقارن بعض الأسماء الشهيرة: حمدون/ حمدونة (تصغير حمد)، سعدون/ سعدونة (تصغير سعد)، فرحون/ فرحونة (تصغير فرح)، وقد تقلب «... **ون**» إلى (...**ين**) فنجد في مصر: «محمدين» «عوضين» «حسنين» وهي

تصغير: محمد، عوض، حسن، وليست تثنية كما هو الشائع.

في اللهجة الليبية (الطرابلسية) يقال: **صغِير/ صغيّر/ صغيَرون/ صغيّرونة. ويقال: تحفونة (تصغير تحفة)**. وفي لهجة مصراته يسمى ضرب من القفاف، أو بالتحديد: وعاء من سعف النخيل ـ يسمى: «**ظَرْفونة**» (والظاء هنا تنطق كالزاي المفخمة أي كنطق أهل مصر لها ـ وهذه لهجة مصراتية معروفة) ونرى أن الأصل هو **ظَرْف ـ صُغِّر إلى «ظرفون» تصغيراً سريانياً**، ثم أنث فكان «**ظرفونة**». وبعضهم ينطقها «**زرفونة**» وهذا خطأ قد يغيب أصل الكلمة فيخفى.

فلنرجع إلى «سقف». تحت هذه المادة في (لسان العرب) يذكر ابن منظور أن «**الأُسْقُف** رئيس النصارى في الدِّين [لعل الصواب في الدَّيْر] أعجمي تكلمت به العرب ولا نظير له إلا **أُسْرُب**. والجمع: **أساقف وأساقفة**. وهذا اسم سرياني ويحتمل أن يكون سمي به لخضوعه وانحنائه في عبادته».

هذا ما أورده ابن منظور ونرى أن **أسقف**» ترجع إلى الجذر «**سَقَفَ**» أي «**ارتفع**» فهو رئيس النصارى في الدين (أو **الدير**) «**والرئيس**» من «**الرأس**» ودلالة الرفعة واضحة في هذا اللقب ولا صلة للخضوع والانحناء في العبادة بالأمر. وما دام اللقب «**أُسْقُف**» ورد بالسين فهو إلى العربية أقرب من السريانية التي تبدل السين هنا زايا كما مر.

بالمناسبة يذكرنا الأسقف بلقب كنسي آخر هو «القسيس» أو

«القس». ويذكر «اللسان» قس بن ساعدة الإيادي، ويقول عنه: إنه «أحد حكماء العرب وهو أسقف نجران» (مادة: **قسس**). فهل كانت «**قس**» اسم ابن ساعدة الإيادي؟ أم هي لقب له قبل أن يصبح «أسقف نجران» ويترقى في سلك الكهنوت النصراني؟

فهل يهمك أن تعرف من أين جاءت «**قس**» (أو **قسيس**)؟ إنها تعود إلى السريانية «قيسا» qaysa التي «يترجمها» أنيس فريحة (أسماء المدن والقرى اللبنانية ص267) إلى: حطب، خشب، وكان الأولى به أن يقابلها بالعربية «**قش**» بتعاقب السين والشين. والسبب فيما يبدو يعود إلى صوة «**القش**» **الهشة**، بخضوعه وانحنائه في عبادته [هنا كان ينبغي لابن منظور أن يورد هذه الصورة وليس عن «الأسقف» وهو ـ بالمناسبة ـ لم يقل أن «**قس**» **سريانية**] ويضيف فريحة (ص268): في السريانية كلمة «**قَشًا**» (بالشين هذه المرة) gashsha وتعني: الشيخ، الزعيم، ثم: القس. ويبدو لنا أن العكس هو الصحيح، فالتطور الطبيعي هكذا: **قش (هش)/ قس (راهب) شيخ/** (وهو هش غالباً إذا نظرنا إليه من حيث السن) زعيم.

هذه «**قس**». ويبدو الأثر اليوناني في إضافة سين أُخرى بحيث صارت «قسيس» أو هي صورة تصغير سريانية إذ تضاف السين للتصغير والتحبب في تلك اللهجة كما في اللهجة الليبية: كرموس، تصغير: كرم.

ومن «قسيس» (المفرد) وردت في القرآن الكريم «قسيسون» (بصيغة الجمع) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ [سورة المائدة:

[82]. ويقول (لسان العرب) إن «قسيس» تجمع على «قسيسين» و«قساقسة» ـ ولم يذكر الجمع المتداول «قساوسة» بيد أنه يقال «كثرت السينات في «قساوسة» فأبدلوا إحداها واواً». والذي نشاهده أن القاف الثانية هي التي أبدلت واواً وليست السين. وربما كان الصواب: كثرت القافات فأبدلوا إحدها واواً (وهما قافان ليس غير) فكانت «قساوسة». وإلى جانب «الأسقف» و«القس» أو «القسيس» هناك عند نصارى المشرق **«القمّص»** وهذه من اللاتينية comes وفي اللهجة الليبية ثمة: **«البباص» وهو الراهب ـ من اليونانية papas** (هل تعرف الممثلة المشهورة «أرينا باباس» التي قامت بدور هند في شريط «الرسالة»؟!) والأصل هو papa(**أي «بابا» = الأب**) زيدت السين فكانت **«باباس»** ونطقناها نحن صادا: «باباص».

يا سبحان الله!

انظر إلى ماذا أدت بنا «القرنقحة» العزيزة!

«يا نخلتين في العلالي»!

أعلمتنا (خليج التحدي)(*) في عددها الماضي أن ندوة علمية تعقد هذا الأسبوع بواحة جالو عن تنمية وتطوير النخيل بالواحات. وهذا حسن جداً، إذ اشتهرت جالو وأوجلة بنخيلها الوفير وثمرها اللذيذ منذ أيام أبي التاريخ هيرودوت الذي روى أن قبيلة النسامون كانت تترك مواطنها على شاطىء البحر كل خريف لتمضي إلى الواحات كي تجمع التمر تتزود به بقية العام وتتمون.

أما أن تعقد هذه الندوة العلمية الأولى في شهر المريخ(**)، حيث لا تمر ولا رطب ولا بلح ولا بسر، فلعل الحكمة تكمن في أن الغائب يحن إليه المحب ويشتاق إلى رؤياه فيكثر من الحديث عنه أملاً في لقاء سعيد فإن حضر زالت اللهفة وبرد الحنين وانطفأ الشوق وفتر الحديث! . ثم دعني أسألك: لم لا تنعقد هذه الندوة في هذا

(*) صحيفة كانت تصدر في مصراته.

(**) شهر مارس. ثم أبدل الاسم إلى «الربيع».

الشهر الربيعي الجميل اللطيف عن التمر والنخيل؟ ألا يجوز أن تكون ثمة معجزة مذهلة في نخلة «تحلم» بالإنجاب كما هو متداول لدينا؟ ألم تهز مريم ابنة عمران النخلة ليتساقط عليها رطب جني، ومع هذا يقال إن عيسى ولد في شهر الكانون المطير؟!

دعك من هذا ولنأخذ ـ بالمناسبة ـ بأطراف الحديث عن شيء ذي صلة بالموضوع قريب. فأنت تعرف ـ قطعاً ـ أن ليبيا بلد كثير النخيل، غزيرة أشجاره حتى ليعد بالملايين. والرطب فيها متنوع عجيب الأشكال الألوان.. والأسماء. بعض هذه الأسماء واضح جلي، من مثل: الحمّوري، والخضّوري، نسبة إلى اللون، واللمسي، مقلوب «ملسي» من الملاسة، و«الهرشامي» ذاك الذي يؤكل بلحا قبل أن يتحول إلى رطب فتسمع صوتاً عند مضغه: هِرْشِم.. هرْشِم»!! وهناك: «السّمني»، و«صويبع العروس».. لصغره ورقته.. إلى عشرات أُخرى من الأسماء.

بيد أن ثمة أربعة أسماء لأربعة أصناف من البلح والرطب أود تخصيصها بالحديث هي: البكراري، والطابوني، والرهاط، والعامي. فعلى بركة الله!

1 ـ البكراري:

صنف من البلح غليظ نوعاً، تشبه به قسمات الفتاة إن كان فيها غلظة فيقال: «نقشها بكراري!». ويؤكل بسراً يقشر وينقع في الماء قليلاً فيصبح ذا طعم سكري لذيذ، وقد يترك في أعذاقه حتى يرطب

ومنه يتخذ تمر عجين ذو طعم مميز. ولا يعرف من أين جاءت التسمية. . اللهم إلا أن تكون اشتقاقاً من «البكور» الذي هو أول الشيء، إذ كان من بواكير البلح. قال في (لسان العرب) في مادة (بكر):

«والبكيرة والباكورة والبكور من النخيل: التي تدرك في أول النخل. وجمع البكور: بُكر. قال المتنخل الهذلي (ولتلاحظ من فضلك اسمه المتصل بالنخل!))

ذلك ما دينك إذ جُنِّبت
أحمالها كالبكر المبُتل

. . نعت حدوجاً كثيرة فشبهها بنخيل كثيرة».

2 ـ الطابوني:

ضرب من البلح صغير الحجم، كروي الشكل، لا يستساغ إلا رطباً، ولا يصير تمراً إذ هو ـ رغم لذة طعمه ـ سريع العطب، ترجع تسميته إلى مادة (طبن) التي تفيد الاستدارة، ولم يرد في (لسان العرب) ما يفيد ذلك عدا قوله: «والطبن: خط مستدير يلعب به الصبيان يسمونه الرحى. قال الشاعر:

من ذكر أطلال ورسم ضاحي
كالطبن في مختلف الرياح

ورواه بعضهم: كالطبل».

والحق أن «الطبن» و«الطبل» واحد، وقد أورد ابن منظور البيت في مادة (**طبل**) كذلك. وتعاقب اللام والنون كثير الورود. ليس هذا فحسب بل إن الطاء تبدل دالاً ـ لقرب مخرج الصوت ـ فتقول «**الدبل**» و«**الدبن**» وفيهما معنى الاستدارة. ومن ذلك «**الدبلة**» تلك الحلوى المدورة المعروفة، و«**الدبلة**» خاتم الخطبة ثم الزواج كما هو مشهور رمزاً لإطباق الحلقة المحكمة!! وقد وردت «دبن» في اللغة المصرية القديمة بمعنى: دائري، وأطلقت على وحدة النقود المستعملة في عهود الفراعين، وهي نقود دائرية الشكل، وظلت في العربية (**طبل**) بمعنى النقود، ثم خصت بها نقود الخراج، ثم الخراج ذاته.

قال ابن الأعرابي: «الطبل الخراج، ومنه قولهم: فلان يحب الطبلية، أي يحب دراهم الخراج بلا تعب».

مادة (**طبل**) ـ باللام ـ المساوية لـ (طبن) ـ بالنون ـ تفيد أصلاً الاستدارة، ومنها «**الطبل**» ـ دائري الشكل ـ يضرب فتسمع له دوياً مهولاً.

عندما دعا الليبيون، إذن، ذاك النوع من الرطب «**طابوني**» فإن الأصل هو «**طبني**» أي «**طبلي**» أعني: المستدير، وهو واقع الحال.

3 ـ الرهاط:

وهو رطب يشبه الطابوني، مستدير، وإن كان أكبر حجماً بقليل. ونجد التسمية في مادة «**رهَطَ**» العربية. يقول (لسان العرب):

و«الترهيط» عظم اللقمة وشدة الأكل والدهورة، وأنشد:

يـا أيـهـا الآكـل ذو الـتـرهـيـط

واللقمة ـ عادة ـ مستديرة، مكوّرة، شأن رطب «**الرهاط**». أما عن «**الدهورة**» فقد ورد عنها في مادة (**دهر**): «دهورَ الرجلُ لقمة إذا أدارها ثم التهمها. وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾ [سورة التكوير: 1] قال: «**دُهْوِرَت**».. **أي رُهِّطت**. ومن هنا كانت تسمية (الرهاط).. عربية فصيحة، شديدة الفصاحة.

4 ـ العامي:

النخل العامي، والنخلة الواحدة، العامية. وبذا يسمى بلحها ورطبها الذي يتميز بطوله كذلك. وهي نخلة سحوق تسمق في السماء أطول مما عداها، حتى ليعسر ارتقاؤها وجنيها على غير الجسور المدرب. فإذا نظرنا في الجذر (**عَمَمَ**) وجدنا بغيتنا فلنقرأ من (اللسان) بعضاً مما جاء فيه:

«**والعميم**: الطويل من الرجال والبنات... وجارية عميمة وعمّاء طويلة تامة القوام والخلق، والذكر: **أعم**. ونخلة عميمة طويلة، والجمع **عُمُم**... ويقال: نخلة عميم ونخل عُم إذا كانت طوالا، قال:

عُـمٌّ كـوارع فـي خـليـج مُـحَـلَّـم

وروي عن النبي ﷺ أنه اختصم إليه رجلان في نخل غرسه

أحدهما في غير حقه من الأرض، قال الراوي: فلقد رأيت النخل يُضرب أصولها بالفؤوس وإنها لنخل عُمٌّ. قال أبو عبيد: العُمُّ: التامة في طولها والتفافها وأنشد للبيد يصف نخلاً:

سحق يمتّعها الصفا وسرُّيه

عُمّ نواعمُ، بينهن كروم

هذا كله ينطبق على النخل «العامي» عند عرب ليبيا، ثم يمضي ابن منظور فيقول:

«وفي الحديث: أكرموا عمتكم النخلة، سماها عمة للمشاكلة في أنها إذا قطع رأسها يبست كما إذا قطع رأس الإنسان مات. وقيل: لأن النخل خلق من فضلة طينة آدم عليه السلام».

وهذا حديث مشهور لا شك في بطلانه قطعاً. **فالسبب الأول** لتسمية النخل «عمة» ـ أي المشاكلة ـ ليس خاصاً بالإنسان، بل إن كل رأس إذا قطع مات صاحبه، أنساناً كان أو سواه، فيما عدا تلك الأسطورة الأغريقية التي تتحدث عن حيوان (الهيدرا) المائي الذي كلما قطع رأس له نبت بدلاً منه مائة رأس، والعياذ بالله! أما **السبب الثاني** ـ خلق النخلة من فضلة طينة آدم ـ فيبطله أن القول به يعني أن الخالق (عز وجل) لم يحسن تقدير ما يلزم من الطين لخلق آدم تقديراً محكماً حتى ظلت فضلة ـ ربما كانت في حجم النواة ـ فقرر الاستفادة منها بخلق النخلة، فصارت (عمتنا)!

الأقرب إلى المنطق ـ إذا كان الحديث صحيحاً ـ هو القول بأن

«عمتكم» تعني هنا: طويلتكم، أي تلك الشجرة الطويلة المباركة بثمرها ولك شيء فيها يستفاد منه وبه.

على أن تسمية النخلة «عمة» ـ بمعنى الطويلة ـ جاءت في اللغة المصرية القديمة ووردت في عدد كبير من النصوص الفرعونية، مما يدلك على قدمها، إذ نقرأ في معجم الأستاذ (بدج. ص20):

«إأم» iam (نخلة = عمم) «إأم ت» iamt (نخلة = عممت = عمة) «إ أم ا» iama (عصير النخل/ خمر النخيل = عمي = وقبي/ لاقبي)، ومعروف تعاقب الهمزة والعين في المصرية وهو كذلك في العربية. فدلالات الجذر «أمم» هي ذاتها تقريباً ـ دلالات الجذر «عمم» ـ ولك أن ترجع إلى (اللسان) لترى صدق ما أقول. وهذا مبحث طويل لو بدأناه ما انتهينا أبداً.

والنخل ـ يا صاحبي ـ شجر كريم جم الفائدة غزير النفع، لم يكن يترك منه شيء إلا استعمل لغاية في الحياة جذعاً وجريداً وسعفاً وكرنافاً (عربية فصيحة) وليفاً وجماراً، وعراجين وعصيراً (يسمى في اللهجة: اللاقبي ـ وهو من العربية الفصحى «الوقبي» أي السائل يخرج من نقرة).. إلى آخر ما لا تكفيه المجلدات الضخام. وقد فصَّل العرب القول في النخلة من حيث القصر والطول وبقية النعوت، إذ يورد الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وسر العربية):

«إذا كانت النخلة صغيرة فهي الفسيلة والودية، فإذا كانت قصيرة تنالها اليد فهي القاعد، فإذا صار لها جذع يتناول منه المتناول فهي

جبارة، فإذا ارتفعت عن ذلك فهي الرقلة والعيدانة. فإذا زادت فهي باسقة. فإذا تناهت في الطول مع انجراد فهي سحوق».

ويضيف: «إذا كانت النخلة على الماء فهي كارعة ومكرعة، فإذا حملت في صغرها فهي مهتجنة، فإذا كانت تدرك في أول النخل فهي بكور (قارن: بكراري) فإذا كانت تحمل سنة وسنة لا فهي سنهاء فإذا كانت بسرها ينتثر وهو أخضر فهي خضيرة فإذا دقت من أسفلها وانجرد كربها فهي صنبور (قارن: صَنُّور) فإذا مالت فبني تحتها دكان تعتمد عليه فهي رجبية فإذا كانت منفردة عن أخواتها فهي عوانة».

ويزيد في ترتيب حمل النخلة «أطلعت، ثم أبلحت، ثم أبسرت، ثم أزهت، ثم أمعت ثم أرطبت، ثم أتمرت».

والأخيرة من «التمر» بتاء مثناة وليست مثلثة، وهو ما نشققه وننشره ليجف على «**البودة**» (لا تزال مستعملة في جزيرة صقلية buda بمعنى حصير) ثم يرص في «**اللطائم**» و«**البراسيم**» عجيناً. أما اللطائم فهي جمع «**لطيمة**» عربية معناها الأصلي: وعاء المسك والمعنى الأبعد: الختم والإغلاق. وأما «البراسيم» فهي جمع «برسيم» بلهجة مصراته ولا صلة لها هنا بنبات القضب (**الصفصفة**) وهي في أماكن أُخرى «برسيل» باللام ـ ولا صلة لهذه بعلامة مادة التنظيف المعروفة. فلماذا هذا الاختلاف ما بين الميم واللام؟

السبب يرجع إلى أن الكلمة أصلاً خالية من كليهما إذ هي من

اليونانية «بورسا bursa» بمعنى: جلد. وعاء من جلد، دخلت اللاتينية فالإيطالية borsa والإنكليزية purse وصارت تعني: حقيبة، خُرْج، كيس نقود. . . إلخ. (ولا تزال تسمع في الأسواق حتى الآن كلمة «بورزا» للكيس من اللدائن توضع فيه المشتريات) ثم تطورت دلالة الكلمة فكانت «البورصة» وهي سوق الأوراق المالية وأسهم الشركات، حيث المضاربات في النظام الرأسمالي، والأصل فيها كيس النقود أو وعاؤها. وهي كلمة كثيرة التداول عربت كما هي: بورصة، وجمعها بورصات، والأساس في هذا كله الوعاء الجلدي، ثم الوعاء أيا كان لأي شيء كان. فهل رأيت صلة «البورصة» المالية ببرسيم (أو برسيل) التمر العجين الفاخر؟!

... واللـيم القارص!

قارب موسم البرتقال على الانتهاء، أصبحت تلك الثمار التي كانت نضرة ممتلئة عصيراً شهياً سائغاً للشاربين وللآكلين عجفاء رمضاء ليفية الجوف حائلة لون القشرة لا يكاد يقبل عليها المشترون إلا اضطراراً. . دنيا!!

قلت لك (البرتقال) وفهمت ما أعني: تلك المجموعة المنوعة من الثمار التي نسميها نحن في ليبيا ـ الموالح ـ وتسمى في أقطار عربية أُخرى: الخمضيات. وفي غيرها: القوارص كما هو الحال في تونس. سميت (موالح) لأن الملح يعتبر حامضاً (يسمى في اللغة الأكادية: حمز، والحمز في العربية = اللاذع) وواضحة تسميتها (الحمضيات). أما كونها (قوارص) فلأن المالح والحامض «يقرص» اللسان، أي يلذعه. ألم تسمع بالقول: لبن حامض يقرص؟ أو: لبن قارص؟ أو لم تسمع قولهم: الصبارص [ضرب من السمك] والليم القارص؟ . . . صحتين!!

غير أن كلمة «برتقال» نفسها لا تعني كل البرتقال ذلك لأنها في الأصل تسمية لنوع واحد فقط من هذه الموالح أو الحمضيات أو القوارص. فهي من باب تسمية الكل بالجزء. أم أصل الكلمة ذاتها فهو «البرتغال» ذلك البلد المجاور لإسبانيا في شبه جزيرة إيبيريا.. الأندلس.. الفردوس المفقود.

وقد سرت كلمة «برتقال» في العربية الحديثة المستعملة في الكتابة اسم جنس المفرد منها «برتقالة» والنسبة أو الصفة «برتقالي» أي برتغالي.. فتأمل!

في الدارجة هناك تسميات أُخرى إليك بعضها:

1 ــ ليم:

في طرابلس وما حولها وفي منطقة صفاقس بتونس وحتى المغرب. فإذا أريد «الليمون» وهو أحمض الحمضيات ــ قيل: ليم قارص. أما في مصراته فإن الليم، دون وصفه بالقارص هو الليمون. والكلمتان بالمناسبة فارسيتان. أما في المنطقة الشرقية من ليبيا فهو «برتقان» بالنون بدلاً من اللام.

2 ــ رنج:

في مصراته وحدها يسمى البرتقال: الرنج، فيقال لك: رنجة، رنجتين، ثلاث رنجات، واللون: رنجي. وهي الكلمة التي سرت في اللغات الأوروبية orange وفي الإيطالية orancio ومنها العصير المدعو oranciata. في اللهجة عندنا «رنجاتا». والأصل؟ إنه من

الفارسية «نارنج» وهو أيضاً ضرب من الحمضيات وهذه من العربية **«نار»** (لحمرته وشدة شبهه بلهب النار) + «نج» أداة الصفة في الفارسية أي «ناري»، ما يشبه النار = الأحمر.

3 ـ شين:

هذه هي تسمية البرتقال في الجزائر وبعض مناطق المغرب. فمن أين جاءت يا ترى؟ هي في الأصل عنت ما نسميه نحن «الكيني» ثم أطلقت على النوع كله. والسبب؟

السبب يا صاحبي يعود بنا إلى البرتغاليين مرة أُخرى فهم الذين جلبوا من بلاد الصين هذا الصنف من الحمضيات ومن شرقها بالتحديد وأسموه **«ماندرين»** mandarine ويقال إنهم فعلوا ذلك تشبيهاً له بوجوه الصينيين (المكعبرة) المدورة، كما يقال إنهم أسموه كذلك لصفرة قشرته على صفرة الصينيين في قول أو على الثياب الصفراء التي كان يرتديها حكام شرق الصين في قول آخر. لكن لا تنس أن تلك المنطقة تسمى كذلك **«ماندرين»** وهناك لغة تسمى اللغة **«الماندرينية»** وهى إحدى لهجات اللغة الصينية.. ولك الخيار.

كلمة **(ماندرين)** صرنا ننطقها نحن **«ماندلينا»** تحريفاً للإيطالية **«ماندرينا»** أبدلنا الراء لاماً. أما في الجزائر وبعض أجزاء المغرب فقالوا: **«شين»** وهي تحريف لكلمة «صين» أي البرتقال الصيني ولك أن تقارن هنا قولنا **«حبر شيني»** ذلك الحبر الأسود الداكن (المفروض أن يكون أصفر) والأصل: حبر صيني. أما في ليبيا فقد أبدلنا الصاد

كافاً فقلنا «كيني» ولا صلة لها بـ (كينيا) المعروفة شرق أفريقيا بلاد الماوماو بل هي «صيني».

في مصر كان أول من جلب هذا الصنف من الحمضيات رجلاً يسمى (**يوسف أفندي**) أرمني الأصل أيام محمد على الكبير ـ فنسب إليه، وسمى «**اليوسف أفندي**» ثم صارت التسمية «**استفندي**» أو «**السَّفَنْدي**». وأنت تعرف الأغنية التي تشكو فيها المغنية إلى العمدة لأن ابنه حميدة رماها بالسفندية. فهل يرضيك يا عمدة؟ لا. . . قطعاً!!

وقد اغتاظ بعض الغيورين على العربية من دخول كلمة (أفندي) التركية في هذه التسمية ففكروا ودبروا واهتدوا إلى حل: أسموه «**اليوسفي**». . احتفاظاً للرجل بذكر الفضل وتخلصا من هذه «**الأفندي**» المزعجة. تهانينا!!

فهل أدركت الآن أن: **الشيني**، **والكيني**، **والماندلينا**، **والسفندي**، تسمية لنوع واحد من هذه الحمضيات وهو ذلك النوع السهل القشر، الكثير البزر؟

حسن. أغلب الظن أنه هو نفسه الذي سمي في البداية «**برتقال**» لأن «**البرتغاليين**» أول من جلبه، ثم أطلقت البرتقال على الجنس كله. أما «**الرنج**» فهو أيضاً اسم صنف كما ذكرت لك هو «**النارنج**» (**أي: الناري**) وهو أقربها ألى العربية لولا هذه «الانج» الفارسية.

فهل تحب أن نسمي هذا الجنس من الثمار: الموالح أم الحمضيات أم لعلك تفضل: القوارص؟

وأنت لم تخبرنا هل تحب البرتقال «**الدّمّي**» (**الأحمر، نسبة إلى الدم**) أو «**أبو سرة**» أو «**الحسناء**» أعني ما كان يسمى «**البيلاّ دونّا**» bella donna قبل أن نعربه هذا التعريب الجميل؟!

لا عليك فلعلك تكتفي الآن بالليمون أعني: الليم (**بلهجة مصراته**) أعني: **الليم القارص مع «الصبارص»**.. فبالهناء والشفاء!

هذا ما كان من أمر «الموالح». فما رأيك في حديث عن «**الملح**».. وهو كما تعلم شيء مستملح إذا خلا منه الطعام لم يطب. ومن الجذر (**ملح**) جاءت (**الملحة**) بضم الميم أي النادرة الظريفة و(**مليح**) أي لطيف جميل حسن.

لم تكن لدينا في مصراته، مشكلة في الحصول على ملح الطعام فقد كانت مناجمه (تسمى في اللهجة المحلية: **مقاطع**) على شاطىء البحر الشرقي (قصر حمد) مشهورة يقطع منها قطع كبيرة من الملح وتحمل إلى السوق وتباع. وكان ثمة أنواع من الملح منها «**الكاوش**» (ولا أدري مصدر التسمية) وهو ما كان خفيفاً على هيئة البَرَد يجمع من أطراف المنجم وليس بجيد. ومنها ملح «**الرَّحى**» وعادة ما ينتزع من قلب المنجم قطعاً كبيرة كالرَّحى ثقيلة تبرق ألوان الطيف فيها إذا تعرضت لشعاع الشمس وتبدو جوانب منها أرجوانية كأنها مرمر فإذا دق شيء منها صار ملحاً ناعماً أبيض شديد البياض ويسمى الملح

«الحيدراني». فلماذا سمي «الحيدراني»؟

هل له صلة بمن يسمى **«حيدر»**؟ هل لأنه **«يحدِّر»** به إلى السوق؟. لا هذا ولا ذاك والمسألة تتضح حين ننظر في مادة **«ذرأ»** في (لسان العرب):

«وملح ذَرْأني و ذَرَأني: شديد البياض، بتحريك الراء وتسكينها، والتثقيل أجود، وهو مأخوذ من الذُرْأة = [البياض] ولا تقل أنذراني».

أرأيت؟. هو إذن الملح الذرأني بتحريك الراء وتسكينها أي الشديد البياض نسبة إلى **الذرأة** تحول إلى **«أنذراني»** بزيادة النون. ويحذرنا ابن منظور من هذا الخطأ. نرى أن (**أنذراني**) ازدادت تحريفاً إذ أبدلت الهمزة حاء فقيل **«حنذراني»** وكثيراً ما يحدث هذا الإبدال. فلما بلغت مصراته اختلط الأمر على أهلها فأبدلوا النون (غير الأصلية) ياء ـ ولا ضير ـ ولم يعجموا الدال كعادتهم، فهم لا يعجمون دالاً ولا يثلثون ثاء فقالوا: **حيدراني**.

والله أعلم!

رشته هَا.. بلفيطة هَمْ!!

الحال رمضان. شهر الجوع والصبر والبعد عن الشهوات لكن، تاالله، لا تزدحم موائدنا بأطايب الطعام إلا فيه، ولا تكتظ كروشنا إلا في لياليه، ولا تفوح مطابخنا بأراييح الطهو إلا في عشياته وأماسيه، ويقولون: شهر الصوم!!

فلنتحدث عما تهفو إليه نفسك ونفسي وأنت تتخيل ما لذ وطاب، نتحدث عن بعض من الطعام الشهي، والذكر الهني، والقول الرضي، ولن يجري حديثنا عن: **الضولمة**، **والبراك**، **والبوريك**، **والكيما**، **والطباهج**.. فهذه كلها تركية فارسية الأصل. ولا عن الكسكسي (كلمة أفريقية النشأة وردت أصلاً من السنغال). ولا عن البازين (كلمة عروبية قديمة معناها الأصلي: القبة!!) إذ يثقل معدتك جداً.. أو على رأي المثل «من يقول **بالزمّيتة** يوم العيد»؟! [ملاحظة: **الزمّتية** ـ عربية فصيحة من مادة «**زمت**». أتشك في عروبتها؟ جرب أن «**ترومها**» وسوف تدرك صحة ما ذكرت لك!].

سأحدثك عن شيء آخر هو «طبقي» المفضل. . إذا أهَمَّك أن تعرف، وقررت أن «تعزمني» يوماً من الأيام. ما رأيك في **(الرشتة)**. . هه؟!!

هي ضرب من الطعام مشهور يعرفه الليبيون وإن اختلف عندهم لفظاً ودلالة فهو: الرُشتة، بضم الراء، والرِشتة، بكسرها وهو: **الرشدة**، والرشدة ـ بالدال ومنه أصناف: هناك **«رشتة البرمة»** وهي ما يطبخ من المرق في قدر واحد وقد تكون باللحم أو القديد «لهجة مصراته: **القدِّيد ــ بتشديد الدال**، لهجة طرابلس: **القرقوش**» وفي (لسان العرب): القرقوس ـ بالسين المهملة: **القَفُّ الصلب والغليظ الأجرد** ـ حال القديد حين ييبس قلبت السين شيناً، واللفظ على التشبيه.

وهناك **«رشتة الكسكاس»** (واللحم أكداس أكداس). . وهي أرق قطعاً وأدق خيوطاً وتنضج منفصلة عن المرق كما ينضج الكسكسي أو الأرز (المطبوخ) أي المطهو بالبخار.

(رشتة البرمة) تسمية حديثة نسبياً. . على الأقل في مصراته وما حولها إذ كانت تسمى **(المقطَّعة)**. في شرق الجماهيرية: المقطّع، مذكرة. وأما الرشتة إذا ذكرت فالمقصود رشتة الكسكاس ليس غير. والمقطّعة، يا عزيزي، أنواع منها: مقطّعة الرمي: وهي رقائق تشبه ما يسمى **«الفتات»** تلقى في المرق (أعني في القدر ذي المرق) فتتقطع حتى تنضج. **مقطّعة سعادي**: وقد تكون النسبة إلى قبيلة السعادي. وتسمى أيضاً **(مقطّعة عزايز)** أي: **مقطّعة عجائز**. وهي

عبارة عن قطع صغيرة من العجين. قد تكون من الشعير غالباً. تطهى في المرق أيضاً.

مهما يكن الأمر فإن (الرشتة) معروفة منذ مدة على تنوعها، والأساس فيها القطع الذي يختلف حجماً بحسب نوع الرشتة هذه وهي أكلة قديمة واضح أن تسيمتها على الأقل جاءت من بلاد التركستان. ففي (رحلة ابن بطوطة) يذكر الرحالة الأشهر:

«ولقد حضرت يوماً عند السلطان أوزبك في رمضان (. . .) فأحضرت لهم لحوم الخيل، وهي أكثر ما يأكلون من اللحم، ولحوم الأغنام، **والرشتا**، وهي شبه الأطرية يطبخ ويشرب باللبن».

ولا يأكل الليبيون لحوم الخيل إطلاقاً، وإن كانوا يستهلكون قدراً مهولاً من لحم الأغنام، كما أنهم يأكلون الرشتة التي هي شبه **«الأطرية»** ولكنهم لا يشربونها باللبن. . كما ذكر ابن بطوطة. **فما هي «الأطرية»**؟

«الأطرية» هي الترجمة العربية التي ارتضتها مجامع اللغة العربية للإيطالية «سباغيتي» sbaghetti ولم تجر على الألسنة. والغريب أن أهل مالطا وحدهم هم الذين اتبعوا الترجمة العربية (**أطرية**) بينما أهملها العرب الأقحاح. . فقالوا في لسانهم **«تاريا»** tarya تعبيراً عن **«المكرونة»** الرفيعة بالذات، هي التي تسمى في الإنكليزية fine paste والإيطالية vermicelli أي: الشعيرية، وهي الفتائل الدقيقة من العجين = **رشتة**.

وليس ابن بطوطة وحده هو الذي أورد ذكر **الرشتة** طعاماً (يطبخ ويشرب باللبن) فقد أورد ذكرها الطبيب ابن البيطار في مؤلفه المعروف (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) ويسميها «**الأطرية**» كذلك، ودعا المرضى إلى «**أكل الرشتة مصنوعة في طبيخ أكارع الجداء**» وليس لحوم الخيل كما عند تتار ابن بطوطة!!

وتحدث عنها داود الأنطاكي في (تذكرته) وعرف **الرَّشتة**، بفتح الراء هذه المرة، بأنها «طعام يعمل من العدس تلقى فيه قِدَدٌ من رقاق العجين». فكأن الرشتة دخلت عالم الطب والتطبب عند ابن البيطار وداود الأنطاكي. ولا عجب، فإن (رشتة البرمة) بالذات توصف لذوي الحمى والمصابين بنزلات البرد حتى يومنا هذا.. يعصر فيها قدر كبير من الليمون ويدفع مقدار كافٍ من الفلفل الحار لتكون حساء ساخناً يساعد على الشفاء من البرد.. بإذن الله!!

كذلك ذكرها بالخير لسان الدين بن الخطيب في (مفرداته) فقال: «**الرشتة: الأطرية، وما في معناها**». فهي كانت طعام أهل الأندلس إذاً.. فتأمل سياحتها من بلاد التتار إلى بلاد الأندلس. ويعلن د. عبد العلي الودغيري، محقق (مفردات ابن الخطيب) ناقلاً عن الميداني في كتابه (السامي في الأسامي) أنها وردت عند ابن الخطيب مفتوحة الراء، وهي عند الميداني مضمومة، وفسرها الأخير بـ «**الرشيدية**». ووردت في (المعجم الوسيط) الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة بالفتح وفسرها بعجين فطير يعمل من رقاق ويقطع طولاً ويكسر حين يجف ويطبخ في اللبن غالباً. وفي

(القاموس المحيط) للفيروزبادي أن الأطرية (**أي**: **الرشتة**) طعام كالخيوط (**انتبه!**) من الدقيق.

الأستاذ «رينهارت دوزي» في (تذيليه على المعاجم العربية) يعرف الرشتة بأنها «صنف من الأطرية» espece da macaroni. وهو على صواب، متبعاً ابن البيطار وابن بطوطة وابن الخطيب. فإذا بحثنا عن منشأ الكلمة أمكننا العثور عليها في... الفارسية التي أخذت عنها التركية كما هو بين.

في الفارسية، يا صاحبي، هناك: **رشتة** = **قسم**، أي: قطع (وهذا ما يقابل تسميتها المصراتية: مقطّعة). **رشته ها**: خيوط (بصيغة الجمع)، والمفرد: **رشته** = **خيط**، من المصدر (**رشتن**) = غزل. وهي وردت في بيت شعر فارسي يقول:

نـام أشـخـاص بـه زشـتـى نـبـرم
رشـتـه حـرف كـسـى رانـبـرم

«(رشته حرف) تعني هنا: مواصلة الكلام (= كلام يجيب كلام!) أو «غزل الحروف» والرشتة ـ خاصة رشتة الكسكاس ـ ليست إلا خيوطاً من عجين قطع، تشبه الغزل، وهو ما يذكرنا بتلك الخويطات من السكر التي نسميها «غزل» البنات» من جهة وبالإيطالية «سباغيتّي» spaghetti من جهة أُخرى. والأخيرة هي جمع «**خويط**» spaghetto وهي تصغير «**خيط**» spago وتأتى في صيغة spagolo مما يذكرنا بما كنا في صبانا نلاحق به «**السيشليباني**» المدعو «باولو» هاتفين مرددين:

سـروالـك يـا بـاولـو مْـخَـيِّـط بـالـسـبـاولـو!

أو:

سـروالـك يـا بـف مْـخَـيِّـط بـالـسـعـف!!

آه.. أرى أننا ابتعدنا قليلاً. ولكن ما العمل؟ ألا ترى أن «خيوط الكلام» عبارة عن «روشته حرف» حسب قول الشاعر الفارسي؟!

فإذا رمت المزيد فإني مدلٍ إليك بسر، بيني وبينك: إذ طالما حيرني منشأ كلمة، لعلها ماتت الآن، لطعام كان لدينا معروفاً.. عبارة عن **عصيدة من «البشنة»** (عربية قديمة وردت في النصوص المصرية العتيقة: ب ش ن) سوداء الدقيق، تؤدم بالحساء وتؤكل ساخنة، هي (**البلفيطة**). ولم أكن أعرف لها أصلاً حتى قرأت في (مفردات ابن الخطيب): هو شيء يسميه (**البهطّة**) بتشديد الطاء. قال عنه: «هو طعام يتخذ من الأرز واللبن الحليب والسكر على مرق الدجاج مشرقي الاستعمال».

وأورد ابن منظور في (لسان العرب) قوله في مادة «**بهط**»: «البهط: كلمة سندية وهي الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء واستعملته العرب بالهاء فقالت: **بهطة** ـ كأنها ذهبت بذلك إلى الطائفة منه.. وقيل: البهط: ضرب من الطعام، أرز وماء، وهو معرب، وبالفارسية (بتا) وينشد:

تـفـقـأت شـحـمـاً كـمـا الإوزّ

مـن أكـلـهـا الـبـهـط بـالأرزّ

وقال في (القاموس) إن أصل الكلمة **هندي وهو «بهتا»** وذكرها «أدي شير» في (الألفاظ الفارسية المعربة) في صورة **«بهت»** [هذا كله مختصر من تعليقات محقق الكتاب].

فانظر.. رعاك الله!

«بهتا» الهندية/ السندية = «بهت» الفارسية. عربت إلى **«بهط»** وأفردت **«بهطة»** ـ بتشديد الطاء. صارت في اللهجة عندنا: «بلفيطة». ولعلها تطورت كما يلي: بهطة ـ أبدلت الهاء فاء فصارت: بفطة. ثم زيدت لاماً فأصبحت: بلفطة. ثم سهلت في النطق فتحولت إلى: بلفيطة(!) ولا تسألني عن تركيبتها من الأرز، واللبن، والسمن، والسكر.. فهذه كانت ـ على أيامنا ـ كماليات، أو أمنيات.. كانت **«البشنة»** أقصى المنى، فاكتفينا من الواقع بالأمنيات!

على فكرة..

قلت لك إن **«البلفيطة»** تلتهم ساخنة.. بل ساخنة جداً.. فهي إذا بردت لم تكن لتستساغ. ولعل من هذا جاء التعبير الدارج: **بَلْفط**، أي: أحرق ـ **لذعته البلفيطة** وهي حارة.. **فَتَبَلْفَط!**

صحة شريبتك

لا نزال في شهر الصيام، حين يحلو الحديث عن الطعام، وتعمر الموائد بالطيبات من الرزق، نلتهمها دون هوادة ولا رفق، وهو وقت «الخِشْرة» والوفرة في الخيرات والكثرة!

فهلا سألتني عن معنى «**الخِشْرة**» وأصلها الأصيل؟

هي في اللهجة عندنا كما ذكرت تعني وفرة الشيء، أي الكثرة والنعيم والخير العميم، فإذا كان الإنسان في **خشرة** ـ بكسر الشين ـ فهو «**زايط**» أي مهلل صاخب (قارن اللهجة المصرية «**مزأطط**») أو هو «**مْفَرْشِكْ**» قارن الإيطالية fresco = طري، نضر، لم يفسد بعد، وقارن الإنكليزية fresh. أو هو «**مْرِيْقِلْ**» قارن regula = مستقيم غير معوج، غير منحرف، مضبوط باختصار: مبحبح. عربية.. من: بحبح، بحبوحة.

في مادة «خشر» في «لسان العرب» ورد ما يلي: «الخُشار والخُشارة ـ بضم الخاء ـ الرديء من الشيء». وهذا لا يتفق مع

دلالة الخشرة في اللهجة الليبية. لكنه يضيف: «وخشر خشراً: أبقى على المائدة الخُشارة».

فلعل الأصل أن الخير كثير والطعام وفير حتى بقيت خُشارة منه على المائدة.. ولم يلتهم كله! ثم يزيد:

«**الخاشرة**: السفلة من الناس، قاله ابن الأعرابي وزاد فقال: هم **الخشار والبشار والقشار، والسقاط والبقاط واللقاط والمقاط. وخشر: إذا شره**».

ففي الخشر إذن معنى البَشْر، وهو القشر، كما أن فيه معنى الشره، وهو أيضاً بقية الطعام على المائدة.

فهل تعرف ـ رعاك الله ـ ما يسمى في وادي النيل باسم «**الكُشَرِي**» بضم الكاف وفتح الشين؟!

إنه ضرب من طعام الفقراء شهير، مكون من أرز وبصل وعدس.. ولا لحم فيه. إنه في الواقع «**خشارة**» الطعام أو رديئه أو هو بقاطه ولقاطه ومقاطه.. فهو يختلف قطعاً عن الخشرة الليبية اللهم إلا إذا أخذنا بأسماء الأضداد وبالنسبية في الأشياء.

كنت أحسب أن **للكشري** صلة بالعبرية «كاشير» kasher أو «كوشير» kosher بمعنى: صحيح، حق، حلال.. أي الطعام الذي أعد طبقاً للشريعة اليهودية أو محل بيعه.. بيد أنني وجدت في الإنكليزية كلمة «**كِدْ جِرِي**» kedgereeويعرفها «معجم أكسفورد» بأنها تعني طبقاً هندياً من الأرز والبقول والبصل والبيض.. إلخ.. كما

تعني طبقاً أوروبياً من السمك والأرز والبيض.. إلخ وأصلها من اللغة الهندية (**خِشْرِي**) khishri عن اللغة السنسكريتية (**كرسارا**) krsara.

ولا أظن الصلة بعيدة بين (**الخُشارة**) العربية الفصيحة و(**الكُشَرِي**) المصرية الدارجة وربما (**الكوشير**) العبرية و(**الكِدْجِرِي**) الإنكليزية المنبثقة عن (**خِشْرِي**) الهندية ذات الأصل السنسكريتي البعيد. يا لها من خشرة كلمات!!

في رمضان تمثل «الشربة» الطبق الرئيسي هل يجادل في هذا أحد؟!

وأهم ركائز الشريبة العزيزة: **المعدنوس**. هكذا ننطقه ويكتب بقدونس. فهل تدري نشأة الاسم؟ هي لم ترد في المعاجم العربية وقد أورده ابن الخطيب في (مفرداته) بالميم فقال:

«**مقدونس**: نبات يصبغ به يسمى (برشال) بالأندلس». والمقصود من قوله (نبات يصبغ به) أي يدخل في أصباغ الطعام كالتوابل. و«مقدونس» هي اللفظ الأصلي والأقرب إلى (معدنوس) وإن أبدلت القاف عيناً وهي من اليونانية نسبة إلى منطقة «مقدونيا».

أما قول ابن الخطيب إنه يسمى في الأندلس (**برشال**) فهذا تعريب للفرنسية persil وهي في الإنكليزية parsely وأصلها من اليونانية petraselinon وترجمتها الحرفية (معدنوس الصخر) هكذا..

خُذْ أو **خَلٍّ**!! ومن المعروف أن مقدونيا منطقة صخرية فلعله كان ينبت في الصخر حتى نسب إليه.

ومع الشربة.. بالهناء والشفاء هناك «المخللات». هكذا في لهجات عرب المشرق أي الخضروات التي توضع في الماء والخل مضافاً إليها كميات هائلة من الملح وقد تسمى في المغرب: **المصبرات**، أي التي تصبر طويلاً. في ليبيا كنا ـ زمان ـ نعرف شيئاً واحداً منها هو (**المسيّر**) بتشديد الياء ويكون في الغالب فلفلاً حراقاً.

كنت أظن أن (**المسيّر**) سمي كذلك لأن الفلفل يقطع **سيوراً**، حتى أفادني ابن الخطيب في (مفرداته) بأن الصواب بالصاد وليس بالسين فهو (**المصيّر**) بتشديد الياء أيضاً. قال في مادة (**كوامخ**): «والكوامخ مفردها كامخ وهو المصيّر من ليم وزيتون وجزر وغيره».

فما هو «الكامخ» أولاً؟

قيل ـ والأمر مجرد «نكتة» غير واقعة ـ إن مجمع اللغة العربية أراد أن **يعرب** (السندوتش) فجعله: «الشاطر والمشطور وبينهما كامخ».

وأورد ابن منظور في (لسان العرب) في مادة (**كمخ**) أن أعرابياً قدم إليه طبيخ كامد اللون سيء الطعم فسأل: ما هذا؟ قيل له: هذا كامخ. قال: أعرف.. فمن الذي **سلح به**؟

سؤال وجيه!

والطريف أن كلمة «كامخ» هذه ليست عربية بل فارسية، **فتعريب**

المجمع للسندوتش إذاً كان «**تفريساً**» علم أم لم يعلم.

قال د. عبد العلي الودغيري في هامش (مفردات) ابن الخطيب عن (المصيَّر): «في أغلب النسخ والمطبوع (المسيّر) بالسين ولم توره القواميس التي رجعنا إليها لا بالصاد ولا بالسين وأورده **ابن رزين** في (فضالة الخوان) بالصاد بمعنى المخلل الذي ينقع في الخل والملح وأورده الغساني بالسين فقال يتحدث عن الليم: يصنع منه تابل يسمى عند العامة بفاس ليماً مسيّراً».

وأضاف:

«والظاهر أن استعمال الكلمة بالسين إنما هو تطور صوتي اختصت به بعض البلدان وإلا فالأصل بالصاد وهو «**الصِّير**» الذي يعني **السمكة المملوحة**».

في (لسان العرب) لابن منظور ورد في مادة (**صير**): «والصِّير شبه **الصحناة** (يا لطيف!) وقيل: هو الصحناة نفسه. يروى أن رجلاً مر بعبد الله بن سالم ومعه صِيرٌ فلعق منه (**ريت؟!**) ثم سأل كيف يباع؟!

قال ابن دريد: أحسبه سريانيا. قال جرير يهجو قوماً:

كانوا إذا جعلوا في صِيرهم بصلا
ثم استووا كنعدا من مالح جدفوا

والصير: السمكات المملوحة التي تعمل منها الصحناة». انتهى.

هلم الآن إلى الشرح:

في مادة ـ **صحن** ـ ما يلي: «الصِّحناء ـ بالكسر ـ إدام يتخذ من السمك يمد ويقصر. والصِّحناة أخص منه. وقال ابن سيده: الصِّحناء والصِّحناة: الصِّير.. وحكى عن أبي زيد ـ الصحناة فارسية وتسميها العرب الصير ـ قال: وسأل رجل الحسن عن الصحناة فقال: **وهل يأكل المسلمون الصحناة؟** قال: ولم يعرفها الحسن لأنها فارسية ولو سأله عن الصير لأجابه».

تماماً كما لو سألتك أنت عن «المسيِّر» لأجبتني. أليس كذلك؟

فهل عرفت الآن معنى «**الصحناء**» أو «**الصحناة**»؟

يخيل إلي والعلم عند الله أنها شربة (أو بالفيهقي: شورباء) من سمك مملح توضع في (صحن) لطيف وبجانبها خبز نظيف يحاذيه مصيّر (أو مسيَّر) ظريف.. تقدم لك ـ بكل أدب ـ ساعة الإفطار بعد صيام النهار. وبعد أن تطعم هنياً وتشرب مرياً وتتأمل في نعم الله ملياً يقال لك: **صحة شريبتك!!**

عَ الجِسْ يِقْسِم البَايْ!!

سمعت حكاية موتتني من الضحك!

فلان كِسْرِي كلامه يقتل بالضحك!

هكذا نعبر نحن عرب ليبيا، وعرب مصر يقولون:

ـ دي حاجة تفطس م الضحك!

فهل صحيح أن (من الضحك ما قتل)؟

قبل أن أخبرك أحب الإشارة إلى فائدة لغوية: فكلمة (كِسْرِي) ـ بكسر الكاف وتسكين السين وكسر الراء ـ مقلوب العربية الفصحى (سُخْري) ـ بضم السين، وقد أبدلت الخاء كافاً. وكلمة (فطس) بمعنى (مات) عربية فصيحة. وفي لهجة مصر: راح فِطِيسْ ـ أي مات دون أن يسمّى عليه!. ثم أقول لك:

نعم، يمكن أن يموت المرء ضحكاً ـ ويا لها من ميتة رائعة! إذ يذكر كتاب (غينيس) للأرقام القياسية عدداً وافراً من حالات الموت

ضحكاً، إما دغدغة، أو استجابة لنكتة بديعة، فينفلت زمام السيطرة على مراكز الأعصاب. . حتى الوفاة!

وأنت تعرف «**البكلافة**» (**البكلاوة/ البقلاوة/ البألاوة**). . فيما أحسب. وهي دخلت الإنكليزية كما هي baklava لكن الأستاذ إلياس أنطون إلياس يترجمها إلى الإنكليزية pastry-pie = مرقوق. وهذه ترجمة غير دقيقة، فإن «المرقوق» شيء و«البكلاوة» ـ رعاها الله ـ شيء آخر.

كلمة pie الإنكليزية يمكن أن نترجمها إلى العربية: فطيرة، أو: فطيرة محشوة ـ ولا يهم الحشو. أو لعله يهمك أنت؟! وهي كلمة شهيرة تجدها في مثل قولهم apple-pie (فطيرة تفاح = رقائق حشيت تفاحاً وأنضجت) أو kidney-pie (فطيرة كلوة) ونحو هذا. لكن هناك تعبيراً إنكليزياً لعلك سمعته هو: pie-party ويعني: حفلة يشترط أن يأتي كل مشترك فيها بطعامه معه. كان الأصل أن يأتي بـ «فطيرته» ثم تطور الأمر إلى أن يأتي بأي شيء، طعاماً كان أو شراباً، ومع هذا يسمى pie. . . .

هذا التعبير الإنكليزي يذكرني بما كان سارياً في المجتمع الليبي حين تروم جماعة إعداد حفلة مشتركة فيدفع كل واحد (بايه) ومن هنا جاء المثل الليبي الشهير: «ع الحس يقسم الباي». أي أنه ـ حفظه الله ـ مستعد دائماً للمبادرة، فما أن يسمع حِسًّا حتى يسارع إلى قسمة «الباي» (= الإسهام أو السهم) بين الجميع بالعدل والقسطاس.

هل ترى هذه «الباي» الليبية ذات صلة بـ «الپاي» pie الإنكليزية.. وتعبير pie-party؟ يجوز....

وقد تسأل ما أصل pie الإنكليزية هذه؟

سألت نفسي هذا السؤال وعمدت ـ كالعادة ـ إلى متابعته في المعاجم والقواميس وكانت الحصيلة ما يلي: في (معجم أكسفورد الوجيز) جملة استعمالات لكلمة (پاي) pie ـ منها:

1 ـ تدخل في كلمة magpie وهي تسمية لطائر **عرَّبَه** إلياس أنطون إلياس بـ (العقعق) وهو طائر ملون باللونين الأبيض والأسود نقار، مكون اسمه من mag (اختصار لكلمة margaret اسم علم، عربيته/ مرجانة) + pie التي تعود إلى اللاتينية pica = منقار، ولها حديث بعد.. هل هذا الطائر هو ما يسمى في ليبيا **«بو جحَّار»** الذي (أخرج أم بريمة من قعر الدار)؟! لاحظ الجذر «جَحَر» = حفر، نقر... فهو البو جحَّار، الحفار، النقار.

2 ـ طبق من الطعام/ **فطيرة**: ومن هنا المثل الإنكليزي الشهير have a finger in the pie كناية عن الاهتمام بالأمر، ولعل أصل التسمية يعود إلى تلون محتويات هذه الفطيرة كتلون الطائر المذكور آنفا.

3 ـ في مجال **الطباعة**، كناية عن فوضاها عند اختلاط الحروف وارتباك الطبع، وهي تعود إلى ما سبق.

4 ـ **عملة باكستانية** (يا عجب!) تسمى pie أصلها من السنسكريتية pad بمعنى (**ربع**) وهو ما يذكرنا بالمصرية القديمة (fdw) بمعنى «أربعة» و«ربع» ولها حديث يطول كثيراً. . .

نعود ـ لو سمحت ـ إلى pie التي أصلها من اللاتينية pica (= منقار). . . ومن pica هذه ـ قالوا ـ جاءت الإنكليزية peak = قمة، رأس، كما جاءت peck بمعنى: ينقر، منقار. اللاتينية ذاتها في الأصل عنت (فم) ثم صارت «منقار». قارن الإيطالية pocca والفرنسية pouchc = فم، وهذا يذكرك بـ «بوس» = قبل، لثم. قيل إنها فارسية. هل أذكرك بالجذر العربي «بقق»؟ إنه يفيد الفتح ومنه «البُق» في اللهجة المصرية = «فم» وتنطق «بؤ» في الوجه البحري. أما في الصعيد الجواني فهي «بق» bug بالقاف المعقودة مما يعيدنا إلى اللاتينية pica من جديد.

ألا تلاحظ أن الفم مختص بالطعام و. . . الكلام؟

حسن. . . في اللهجة الليبية «**بكُوش**» = أخرس، غير ناطق، صلتها واضحة بـ (بكم)/ أبكم، وفي الاثنتين تجد الجذر الثنائي «بك» (لاتَنْسَ اللاتينية pica من فضلك!) اقرأ ما ورد في مادة «بكا» في (لسان العرب):

«**وبكأ** الرجل بكاءة فهو بكيء من قوم بِكاء: قَلَّ كلامه خِلْقَةً وفي الحديث: إنا معشر النبآء، بكاء. وفي رواية: نحن معاشر الأنبياء، فينا بُكْءٌ وبُكاءٌ، أي قلة كلام إلا فيما نحتاج إليه».

ألا تلاحظ صلة الـ «**بكاء**» (= قلة الكلام) بـ «البكاء» الذي هو العويل المصحوب بذرف الدموع؟ وأنت تدري ـ طبعاً ـ أن الباكي لا يتلكم فهو ينشج، أو يلهث، أو يُعوِل، فهو باكٍ، بكيء، أي صامت، تسيل دموعه على خديه مدراراً. المرأة وحدها «تتكلم» دموعها وما أشد الأثر!!

هذا كله جرنا إليه إرجاعنا «**الباى**» (= السهم، القسط، الاشتراك) في اللهجة الليبية إلى pie الإنكليزية من pica اللاتينية. فإن لم يكن الأمر كذلك فهي إذن من اللاتينية bi، وتنطق في الإنكليزية «باي» وتفيد الاشتراك أو الثنائية وتدخل في كلمات كثيرة من مثل bicycle (دراجة ذات عجلتين) وbi-weekly (كل أسبوعين) وbi-monthly (كل شهرين) وفي اللهجة الليبية نجدها في (**الكرموس، البيثر/ الابيتر**) أي التين الذي يطرح مرتين في السنة من اللاتينية bi-fer (يلد مرتين). ومعنى الاشتراك في هذه الثنائية واضح كما ترى، وهو يؤدي إلى السهمية/ الإسهامية حين (يشترك) اثنان ـ فأكثر ـ في حفلة ممتعة، ويحضر كُلٌّ (بايه).. فتكون pie-party رائعة!!

عن الكردون.. والكنادر... وغيرها

كان الوالدة ـ رحمها الله وطيب ثراها ـ تحدثني كثيراً عن أيام الجهاد، وتطنب في وصف الأحداث التي عاصرتها وتسرد أقاصيص البطولة والشجاعة دفاعاً عن هذا التراب الغالي ودفعاً لهجمة الشر الأسود القادم إلينا عبر البحار. وكانت تردد كلمات وألفاظاً تلتقطها الأذن وترسخ في الذاكرة دون أن أفكر يومها ـ طبعاً ـ في منشأها وأصلها الأول.

مرت السنون تتلوها السنون، وأجدني أستعيد بعض الكلمات التي سمعت. . فأمعن فيها النظر، وأرى من أمرها عجباً. هل تحب أن تشاركني «إمعان النظر». . ولو من خلف النظارة السميكة؟!

هاك ـ يا صاح ـ بعضاً مما أذكر:

1 ـ عُرُضي:

هكذا كانت تنطقها الوالدة. . بضم العين والراء معاً. والمقصود جيش المجاهدين النظامي. ويبدو أن كلمة «جيش» لم تكن مستعملة

يومئذ، ولا كلمة «جند» وما شاكلها، وإنما كانت «العُرُضي». وهي عربية فصيحة. جاء في مادة (عرض) في (لسان العرب):

«والعَرْض (بفتح العين وتسكين الراء): الجبل... ويشبه الجيش الكثيف به فيقال: ما هو إلا عَرْض، أي جبل. قال رؤبة (الشاعر):

إنـا إذا قـدنـا لـقـوم عَـرْضـا
لـم نُـبْـقِ مـن بَـغْـيِ الأعـادى عِـضًّـا

والعَرْض: الجيش الضخم مشبه بناصية الجبل... وفي الحديث: أن الحجاج كان على العُرْض (بضم العين) وعنده ابن عمر ـ كذا روي بالضم... إلخ».

ورغم قول ابن منظور إن الجيش سمي «العرض» تشبيهاً بالجبل فإنني أرى المسألة أقرب إلى معنى النظام. ألا ترى أن من مادة «**عرض**» جاءت «العَروض» (بفتح العين) وهي علم تفعيلات الشعر وأوزانه وبحوره مما يعني نظامه؟ ونحن نستعمل في لغتنا الحديثة تعبيراً من مثل (العرض العسكري) أي سير الجنود صفّاً يتلو صفًّا في نظام وترتيب. كذلك تستعمل كلمة (الاستعراض) في اللوحات الفنية يقدمها الراقصون والراقصات منظمين مرتبين منسقين. وهذا ما يجعل «العُرُضي» التي كانت جيش المجاهدين، وهي جاءت هنا على النسبة بالياء، تدخل في هذا الباب. فما هو دليلي على ما أقول؟

دليلي، يا صديقي، هو أن هذه الكلمة وجدت قبل أن يسجلها ابن منظور في صيغتها العربية بأكثر من ثلاثة آلاف عام.. فقط ليس

غير! إذ نجدها في اللغة العروبية البابلية (الأكادية) التي تعود إلى حوالي سنة 2500 قبل الميلاد في صورة «أُرْتو» urtu بمعنى: نظام، قانون، أمر: (وللمعلومية: البابلية سجلت بالرموز المسمارية نقلاً عن السومريين، وهي رموز تنعدم فيها حروف عربية مثل العين والضاد، تماماً كما لو كتبنا الآن كلمة «عرضي» بالحروف اللاتينية إذ ستكتب urdi كما تعرف. فحق «أُرْتو» الأكادية أن تكون «عُرْضو» والواو في آخرها علامة الرفع أو لعلمية الاسم. واضح؟!!).

لكن الطرافة ليست هنا. الطرافة ما كان من رحلة هذه الكلمات العجيبة، إذ هي دخلت اللغة اللاتينية في صورة ordo والمعاجم الإشتقاقية لتلك اللغة تقول إن الكلمة ليست لاتينية الأصل ـ ومن دلالاتها ودلالات مشتقاتها: نظام، ترتيب، سطر، صف. ومنها الإنكليزية ordinary التي نترجمها: عادي ـ والصواب: رتيب، مرتب. تماماً كما نقول نحن الآن في لهجتنا: «امْرِيقْلَة» وهي من الإيطالية regula = مسطرة، منظمة، لا عوج فيها، لا أحداث تذكر، عادية.

ثم هي دخلت الفرنسية طبعاً عن طريق اللاتينية بمشتقات عديدة. تدور في نفس المعنى تقريباً. لكن أطرفها كلمة «أورديناتور» ordinateur وهي الكلمة التي يصرُّ الفرنسيون على استعمالها في مقابل كلمة «كمبيوتر» camputer الإنكليزية، حرصاً منهم على نقاء لغتهم وصفائها وحتى لا تشوبها الإنكليزية، فإذا بهم يتخذون كلمة عربية النشأة والأرومة هي: «عرض» (لاحظ أن الفرنسية ordinateur

مركبة من ordi (عرض) واللاحقة nateur ـ للدلالة على اسم الفاعل. والترجمة الحرفية للكلمة: **المنظِّم**. وعربها المجمع اللغوي في القاهرة: **النَّظَّامة**. فلو قال: العرَّاضة، لكان أصوب).

فهل أزيدك حديثاً؟

الكلمة العربية «عرض» دخلت الفارسية فكانت فيها بحكم العجمة: أوردو». ومن الفارسية تسربت إلى التركية، فكانت «أورتة». وفي الجيش المصري ـ قبل الثورة والتعريب ـ كانت كلمة «أورطة» تعني سرية من الجيش أو نحوها، بتأثير من الأتراك.

«أُردو» الصيغة الفارسية للعربية **«عرض/ عرضي»** عنت الجيش، ومن هنا ـ ولم يعد ثمة محل للعجب ـ سميت لغة «الأردو» التي يتكلمها أهل الباكستان، وهي لغة مزيج من العربية والفارسية والهندية، تماماً كما هو «الجيش» الذي جاءت تسميته من الجذر: جيش، يجيش، جيشاناً، أي تماوج وضج واختلط.

فهل كانت الوالدة ـ رحمها الله ـ تعرف أنها تتحدث «الأردية» عندما كانت تحدثني عن **«العرضي»؟!**

2 ـ فلاَّقة:

إذا كان «العرضي» هو الجيش النظامي فإن **«الفلاقة»** مختلف أمرها، إذ كانت تعني مجموعة من المقاتلين غير المنضبطين، وربما اعتدوا فنهبوا وسلبوا وعاثوا في الأرض فساداً. لذا كانت الكلمة في أفواه الناس تطلق على الفرق الخارجة على القانون، أو التي كونها الطليان من بعض الخونة، واشتق منها الفعل **«يفلِّق»** أي يغير

وينهب، ويهرب. أما الطليان ـ لعنهم الله ـ فكانوا يطلقون الكلمة، على المجاهدين الأبرار تحقيراً من شأنهم وتهويناً. فيرد المجاهدون بتسمية الفرق الإيطالية المرتزقة أو الخائنة: «**الباندة**» ـ وهي من الإيطالية banda بمعنى: عصابة، زمرة. (عربيتها القديمة التي أخذتها اللاتينية: «بنط» = ربط، عصب. قارن الإنكليزية bind).

كلمة «**الفلاقة**» قريبة جداً من الإيطالية falange (فَلانْجِي) بمعنى: جحفل، كردوس، مجموعة من المسلحين. وفي الإنكليزية falangist وتعني أصلاً: عضو منظمة فاشية إسبانية falange وقد نترجمها: كتيبة (قارن: كتائب، كتائبي). وعندما نبحث في المعاجم الإشتقاقية عن أصل الكلمة في اللغات الأوروبية نجدها ترجعها إلى اليونانية «**فَلاقُّوس**» phalaggos. فإذا استشرنا معجم اللغة اليونانية ذكر لنا أن هذه الكلمة (والسين فيها زائدة) ترجع إلى الجذر «فَلاق» phalag أي: كتيبة من الجنود.

وأحسبك الآن أدركت الأصل العربي للكلمة، كما أدركت أن النون في الكلمات الأوروبية الآخذة عن اليونانية مزيدة. إنها من العربية «فلق». ومنها: «فيلق» = كتيبة من الجنود (ولاحظ من فضلك زيادة الياء من العربية كما زيدت النون في الأوروبيات).

العرب الليبيون لم يفعلوا شيئاً إلا إرجاع الكلمة الشاردة إلى عروبتها الأولى. بارك الله فيهم!

3 ـ كردون:

السور يضرب حول المكان فيحوز من به لا يجاوزونه. وعندما احتل الطليان مصراته في البداية ـ وقبل أن يخرجهم المجاهدون ـ قالت الوالدة ـ بنوا **«كردوناً»** حولها في نطاق ما يعرف الآن بالطريق الدائري الأول، وكنت في طفولتي رأيت آثاره مبنية بالآجر الأحمر قرب ما كان يسمى «قصر الدامر» (أي: القصر الدامر) وكانت أرضاً نحرثها بها آثار بناء متهدم شرقي «المجزرة» (السلخانة) القديمة. قالت ـ رحمها الله: وكان العرضي يعتلون نخل سواني شدّاد وصور صويد ويصيحون: الله أكبر! أطلعوا يا كفار! أو يوجهون الخطاب للقاعدين داخل مصراته تحريضاً:

اطلعوا جاهدوا يا مطلينين!

وكان أن حررت مصراته، وكانت بها قيادة حركة الجهاد كما هو معروف معلوم، وإنشاء أول (جمهورية) في تاريخ الوطن العربي والعالم الإسلامي كله.

المهم عندنا الآن كلمة **«كردون»**. يقولون إنها من اللاتينية «كوردا» corda ومعناها الأصلي «حبل»، أخذتها من اليونانية «خوردا» chorda بنفس المعنى كذلك. وفي اللغات الأوروبية مشتقات وكلمات عديدة لا تكاد تعد منها مثلاً الإنكليزية cord (حبل)وrecord (يسجل. المعنى الأصلي: يعيد الربط، يرجع الحبل. ونحن نستعمل كلمة «ريكوردر» recorder بمعنى «مسجل»).. وطبعاً cordon ومعناها الأولي: حبل، ثم عنت: **سور**، **محيط**، **دائر**.. إلخ.

فهل تعرف «الكردان»؟

إذا كنت متزوجاً (كان الله في عونك!) أو تستعد للزواج، فأنت تعلم أنه ضرب من الحلي الذهبية يحيط بالعنق وتتباهى النسوة به أمام بعضهن في الأعراس والأفراح والليالي السماح الملاح! إن تسميته من هذا الباب، وإضافة المقطع «ان» في «كردان» تماثل إضافة المقطع «ون» في «كردون». والأصل؟. أه.. نعم. الأصل من مادة «كرد» التي تعني عند ابن منظور: **«العُنُق»**.

لاحظ ـ رعاك الله ـ أن مادة «عنق» أدت إلى «عُنُق» (رقبة) وهي دائرية ـ تغلظ في بعض الأحيان وتمتلىء شحماً تصلح للصفع المليح! كما أدت إلى: **عَنَقَ** = عانق، معانقة ـ والأمر فيها الإحاطة بالذراعين، الدائرية، التسوير، وهو شأن الحبل كما هو شأن «الكردون» بالضبط.

أمر آخر نضيفه: في اللغات العربية القديمة (أكادية، كنعانية، مصرية) تفيد مادة **«ك ر د»** نفس ما تفيده cordon. وأحسب أن المقطع on في نهاية الكلمة يقابل التنوين في العربية وكان يكتب في القديم نوناً ثم اختصر إلى ضمتين، فضمة واحدة وأُخرى مقلوبة: كرد ـ كردن ـ كردٌ.

ولله في اللغة وتطورها شؤون!

ولم تنته رحلة (الكرد) بعد. وأنت تعرف كلمة **«شسع»**، التي ننطقها نحن الليبيين **«سسع»**، بسينين متتاليين، وهو النعل البدائي البسيط عبارة عن قطعة من جلد تحتذى يثبت بها سير أو خيط أو

حُبيل يعلق بإبهام القدم وجانبيها، وهو «**الشسع**» أي: الحبل.

الفرنسيون أيضاً كان لديهم هذا الضرب من النعال، وهو غير «**السَّبَّاط**» الذي يدعي في تلك اللغة savate وsavote وsabot وله حديث آخر. وبدلاً من أن يقولوا «شسع» تسمية قالوا: cordon أي «حبل» ـ كما مرَّ بك. ومن هنا جاءت كلمة cordonnier التي عنت في البداية: صانع الأحذية وبائعها، ثم اقتصر معناها على مصلح الأحذية وراقعها، كما هي العربية: إسكافي، خصَّاف أو خاصف. اللغة التركية التقطت الكلمة الفرنسية فكانت فيها كلمة شهيرة نعرفها جيداً: «**كُندرة**» وجمعها «**كنادر**» (ومنها «كندرجي» أو بلهجتنا «كندارجي») أي الحذاء، أو النعل، مستعملة في ليبيا وبلاد الشام، وأصلها البعيد «كرد» أي «حبل» بزيادة النون. انصرف المعنى إلى النعل دون الحبل أو السير، وإن كنا نراه في «رباط» الحذاء كما تعلم.

النون المزيدة في «كندرة» حذفت من الجذر «كرد» وقلب الجذر قلباً مكانياً فكان «كدر». ولعل منه انبثقت كلمة أُخرى شهيرة هي: «**كادار**» أي الحذاء السميك الغليظ، كلمة ضخمة تكاد تزلزل الأرض. وهي التي تطورت في دلالالتها إلى معانٍ أُخرى أترك تخمينها لذكائك الوقاد!

عن الميسر والموسيقى والطائر الميساق

هل لك أن تعينني، أيها القارىء العزيز، على حل مشكلة إملائية حيرتني طويلاً ولا تزال، وحتى عند كتابة عنوان هذا المقال، ولعلها تقض مضجع الكثيرين؟

المشكلة تكمن في السؤال: هل تكتب «الموسيقى» بالألف المقصورة أم «الموسيقا» بالألف الممدودة؟ أعني هل ترسم بياء في آخرها دون نقطتين تحتها أم ترسم بألف واضحة، وتنطق الصورتان مع هذا نطقاً واحداً؟

هذه مشكلة عويصة كما ترى، ويزيد من إشكالها أننا لا نستطيع التفريق غالباً بين الاسم والنسبة إليه ـ فيما إذا لم ننقط الياء ـ فإن وجدت حلاً فإنني أرجوك.. أرجوك.. أن تبعث به إليَّ مع أول بريد، مفترضاً أن البريد يقوم بواجبه في تسليم الرسائل هذه الأيام!

قد تعترض قائلاً: هذه مجرد «مُشَيكلة» بسيطة لا تستحق الاهتمام، فلتكتب هذه الكلمة المباركة كما شئت، بألف أو بياء

ممدودة أو مقصورة، ولتدع الحيرة للآخرين ـ أعني للقراء. ألم يفعل الآلاف مثلك؟!

وقد تكون أنت ذاتك قارئاً مغرماً بالمشاكل وتسألني في براءة: من أين جاء اختلاف الرسم في نهاية الكلمة الطيبة؟ وهنا تقدم لي الفرصة الذهبية التي أنتظرها منك فتسمح لي بشيء من التحليل والتعليل، وتقليب الأفكار، ومراجعة الأسفار، والعمل بجدٍّ ـ لكي أجيب عن سؤالك ـ بالليل والنهار.

يخيل إليَّ ـ والله أعلم ـ أن اختلاف رسم ذيل كلمة **«الموسيقى/ الموسيقا»** ـ فنحن لم نتفق بعد ـ نتيجة القول بأن العرب أخذوها عن اليونان، على يد التراجمة السريان. وفي اليونانية تنتهي الكلمة بصوت لا هو بالألف ولا هو بالياء، بل هو بين بين، ولا يوجد في العربية (E). ولكنه يأتي في بعض اللهجات ويسمى **«الإمالة»** أي إمالة الفتحة نحو الكسر كما في بعض قراءات القرآن الكريم ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [سورة الضحى: 1 و2]. فلما نقلت mousike إلى العربية فتح بعضهم آخرها فكانت «موسيقَا» وكسره بعضهم فكانت «موسيقِى» ووجب أن تكون النسبة على هذا الأساس إما **«موسيقائيّ»** أو **«موسيقيّي»** بيائين في آخرها، بيد أن الألسنة تعودت على النسبة «موسيقي» بياء واحدة، فاختلف الرسم.

هل حُلَّ الإشكال؟

ليس بعد. فإن ثمة سؤالين اثنين أحب أن أخوض فيهما

معك.. إن كان لديك فضلة من وقت. **أولهما**: من أين جاءت هذه «الموسيقى/ الموسيقا»؟ **وثانيهما**: هل هي يونانية حقّاً كما استقر في الأذهان؟

يقول الفطاحل والجهابذة في تحليلاتهم اللغوية المضنية ما خلاصته: تعود كلمة mousike اليونانية (والآخذة عنها جميع اللغات الأوروبية، وربما غير الأوروبية أيضاً) إلى كلمة «موسا» mousa (ومنها اللاتينية musa والإنكليزية muse) وتترجم إلى العربية حديثاً: ربّات الفنون، أو إلهاتها ـ كما نقول مثلاً: عرائس الشعر (وبعضهم يفضل: شياطين الشعر ـ والعياذ بالله!).

كانت «ربات الفنون» ـ إن شئت مزيداً من المعرفة ـ تسعاً من الربات، كل منهن تخصصت في باب من أبواب الفن ترعاه وتحوطه بالاهتمام وتلهم أتباعها فيه وتوحي إليهم بالدرر الغوالي، وتسقط عليهم اللآلىء، من السماوات العوالي، فيبدعون فنّاً رقيقاً يمتع ويبهج ويفرح ويُسِرّ. ولم لا؟ أليست هذه الربات الفاخرات بنات «زيوس» العظيم، شيخ آلهة اليونان المتسنم قمة جبل الأولمب؟

قال اليونان في أساطيرهم: إن من ترضى عنه إحدى هذه الربات يصبح بارعاً في فنه، بارزاً في مجاله. مجيداً في صناعته (تماماً كما كان العرب يعتقدون في استلهام الشاعر جنَّ وادي «عبقر» العجيب) ومن تغضب منه تسلبه الحس والذوق الفني، ناهيك بسلبه اللمحة الذكية والفكرة الأريبة والعطاء الجميل (تماماً كما يحدث مع الكثرين من «الفنانين» في أيامنا هذه!). وأطلقوا على كل من الربات التسع

اسماً موحياً خاصّاً بها. هل أورد لك هذه الأسماء رغم صعوبتها في لغتها الأعجمية؟

إن كنت لا ترى بأساً فلنخفف الأمر قليلاً بتسميات من عندنا تناسب المقام. ولنرتب هذه الأسماء واحداً بعد الآخر ونضع معنى الاسم، ثم نقدم اللقب المناسب في عربيتنا الحديثة. ما رأيك؟

هذه هي. . إذن:

1 ـ كَلِّيوبي Colliope الوجه الصبوح (صابحة).

2 ـ كْلِيُو Clio المنادية، المعلنة، الصائحة، المبلغة (قوّالة).

3 ـ إراتو Erato الحماسية، الحارة، العاطفية (عطفة).

4 ـ يوتِرْبي Euterpe الفرحة للغاية (فرحانة).

5 ـ مِلُبوميني Melpomene ذات الصيحة الحلوة (زغراتة).

6 ـ بوليهِمْنِيا Polyhemnia المتعددة الأنغام والأناشيد (موهوبة).

7 ـ تِرْبِسيخوري Terpsichore المبتهجة بالرقص (بهيجة).

8 ـ ثاليا Thalia المحتفلة بالأعياد (عيّادة).

9 ـ يورانِيا Urania السماوية (علياء).

هذه هي «ربات الفنون» التسع عند اليونان. ولكن لا يذهبنَّ بك الظن إلى أنهن كن مجرد راقصات نطّاطات قفّازات صائحات، حتى لتحسبهن مجرد «زمزامات» لا همَّ لهن سوى إحياء الأفراح والليالي الملاح وقبض ما تيسر آخر المطاف!

كلا، يا أخي، فقد كن «ربات» محترمات جداً، وكان لكل منهن مهمة جليلة أسندها إليها «زيوس» واعتقد فيها اليونان كل الاعتقاد، واتخذوا لهن التماثيل والتصاوير والرموز، بل وعبدوهن عبادة الآلهة المكرمة من باب التقدير والإعزاز.

الأولى منهن كانت ربة الشعر الملحمي الفاخر، ورمزها لوح من ألواح الكتابة. **والثانية** لعلم التاريخ، ورمزها قرطاس ملفوف. **والثالثة** تخصصت في الشعر العاطفي، شعر الحب والهيام والعشق والغرام، وشعارها قيثارة صغيرة. **والرابعة** همُّها العزف والألحان والشعر الغنائي، وشعارها مزمار ثنائي. أما **الخامسة** فهي ربة شعر المآسي والملاحم الكبرى واتخذت قناع المسرح المأساوي رمزاً لها. وأما **السادسة** فكان تخصصها التراتيل وغناء المعابد في الطقوس الدينية، وكان شعارها تمثالاً محجَّباً رمز الغموض والسرية. وأما **السابعة** فهي المسؤولة عن حركات الراقصين والراقصات، ورأت أن القيثارة الكبيرة ينبغي أن تكون شعاراً لها. وتبقى **الثامنة** وهي ربة مرحة تحب الضحك واللهو ـ البريء طبعاً! ـ فهي ربة «الكوميديا» ورمزها قناع الملهاة. وأخيراً تأتي التاسعة الخاصة بالسماء ونجومها هي ربة علم الفلك، وما يناسب المقام شعاراً لها قضيب في يد وكرة في اليد الأُخرى، رمزاً للأجرام السماوية الكروية.

أية واحدة من هذه الربات كانت تُسَمَّى «موسا» mousa باللسان اليوناني، ثم يطلق عليها اسمها الخاص بها. ومن هذه الكلمة اشتقت كلمات كثيرة في اللغات الأوروبية.. نأخذ الإنكليزية مثلاً.

هناك: music = «موسيقا». وهناك: museum = متحف (مجمع الفنون). وهناك: muse = يُسَلِّي، يُلْهِي. ولكن هناك: amuse ومعناها: يتعجب، يتأمل، يتفكر. وهناك: amused ومعناها: مندهش، مستغرب، كما أن amusing تعني: المفكر، المتدبر، المتأمل.

فأنت ترى اختلاط المتعة باللهو، والتسلية بالتفكير (قد يكون عميقاً أحياناً!) وامتزاج المعاني المتصلة بالروح والجسد والفكر والعقل والنفس. وكلها ذات صلة بربات الفنون (والفنون تعادل العلوم في اللغة القديمة) من حيث المعنى وذات صلة بكلمة «موسا» mousa من حيث المبنى.

أحسب الآن أننا أجبنا عن **سؤالنا الأول**: ويبقى واجب الإجابة عن **السؤال الثاني**: هل كلمة «موسا» هذه يونانية حقّاً؟ وهل «نقلها» العرب عن اليونان كما هو شائع؟ هل لم يعرف العرب «الموسيقا» قبل أن ينقلوا عن اليونان؟ أكانوا أمة خالية مما ترعاه «ربات الفنون» وانتظروا الزمان الطويل لكي ينقلوا عن أهل جزر الإغريق؟

العكس هو الصحيح.

اليونان هم الذين أخذوا عن العرب ونقلوا. أخذوا العلوم والفنون، ونقلوا اللفظ ذاته، ثم صاغوه كما شاءوا، وصوروا بعقليتهم الأسطورية الخرافية ما أرادوا ونسجوا الأساطير و«خلقوا» الربات ليعبدوها.

والدليل؟ ما دليلك على هذا القول ـ تسألني؟

وأجيبك:

أنت تعرف الحضارة البابلية بالطبع، تلك الحضارة القديمة في بلاد النهرين (دجلة والفرات). كانت قبل ظهور اليونان ـ مجرد الظهور إلى حيز الوجود شعباً معروفاً بهذا الاسم ـ بما يزيد على ألفي سنة، أو قل ثلاثة آلاف عام. والبابليون عرب ـ سواء أسميناهم أشوريين أو أكاديين أو ما شئت من الأسماء ـ هاجروا من شبه الجزيرة في القديم القديم وأقاموا حضارة سامقة رائعة اكتشفت لغتها العربية، وترجمت، ونشرت، وأصبحت في متناول الجميع.

في قاموس اللغة الأكادية (العربية) ترد كلمة تتردد كثيراً في النصوص ـ هي كلمة «**مازو**» mazu وتأتي كذلك «ميسو» mesu واجتهد العلماء في ترجمتها حسب السياق فقالوا بشكل غامض إنها تدل على آلة عزف لعلها الطار، أو الرِّق، أو الدُّف tambourine (**البندير**).

فلنلاحظ أولاً الصلة اللغوية بين هاتين الصياغتين للكلمة البابلية (العربية) وكلمة «موسا» mousa اليونانية، وmusa اللاتينية. ولنلاحظ ثانياً أن حرف السين في music الإنكليزية، وكل اللغات الأوروبية الأُخرى، ينطق في الواقع زاياً (Z) ـ وهذا شبيه بما جاء في الصيغتين mazu، mesu (ميسو، مازو) البابليتين. وهذه نقطة مهمة تدل على الأخذ بأي نطق كان.

ثم لنلاحظ ثالثاً أن كلمة «موسا» اليونانية تدل في الأساس على إلٰهة العزف، والعزف المنفرد على وجه الخصوص، ومن هنا كانت لكل ربة من ربات الفنون آلة خاصة بها ـ كالقيثارة مثلاً ـ آلة واحدة. وكان هذا هو المقصود من الكلمة. ثم صارت تطلق على «الفن» عموماً وعلى العزف، فردياً أو جماعياً، أعني على «الموسيقا» بأنواع آلاتها ومختلف أدواتها ومعانيها المتطورة بل وحتى المجردة كل التجريد.

إن تذكرت، أيها القارىء العزيز، ما أشرنا إليه من قبل من أن كلمة mousike اليونانية (موسيقا ـ في العربية) مكونة من مقطعين: mous-a الجذر الأصلي. ike زائدة لغوية. أدركت أن «موسا» هي الأصل، وهي تقابل الإكادية **«ميسو»** أو **«مازو»**. وقد يكون اليونان حرفوا النطق، كعادتهم، أو أن الأصل العربي هو **«ماسو»** < **«مسو»** < **«موسا»** < **«موسى»** < **«ميس»**.

هل أثقلت عليك بهذا العناء الصوتي اللغوي التحليلي؟. معذرة. لكن لا بد من السير خطوة بعد خطوة.

وقد تضيق بهذا كله وتحتج صارخاً: ما لنا ولهذا كله؟ ما لنا نحن ولغاتك البابلية أشورية كانت أو أكادية؟ هذه لغات ميتة منقرضة ولا صلة لها بـ «العربية». اتق الله يا أخي!.

لا تغضب. فهذه اللغات التي ذكرت ليست إلا أخوات للعربية، بل هي مجرد لهجات من العروبية الأم، ولذا فإن الاستشهاد بها

يضاهي الاستشهاد بالعربية التي تطورت ونمت ومات كثير من ألفاظها واستعمالاتها وانقرضت ـ لعدم تدوينها. فلم يبق لنا إلا الاستشهاد بالأخوات المسجلة في الألواح رغم انقراضها من الحياة اليومية.

مع ذلك.. ما رأيك لو نظرنا في كلمة «مَيس» العربية الصميمة، والتي نجدها كذلك كما هي في اللهجات العربية «المنقرضة»؟

أنت تعرف، قطعاً، معنى «**الميس**» في العربية. إنه التبختر، والتثني، والتمايل، والاهتزاز (أحياناً: الترنح). وما هذا كله؟ هو «الرقص» بذاته. و«قدّك الميّاس» يعني: المتمايل الراقص، والرقص و«الموسيقا» متلازمان. ألم يحدث لك أن سمعت نغماً جميلاً فتابعته بقدمك على الأقل؟ هذا هو «الإيقاع» ـ وهو الرقص وإن كان خفياً، ضرب من «الرقص الدّاخلي» نحس به جميعاً. هذا هو «المَيْس» = الإيقاع = «الموسيقا» (بزيادة «قا» المساوية لليونانية kê).

هل تكون «موسا» mousa اليونانية مأخوذة عن «ميس» العربية، التي هي ما رأيت في البابلية؟ ثم صاغوها «موسيكي» بزيادة لغوية، فانتقلت إلينا أعجمية وهي عربية الأرومة؟

هذا ما نميل إليه، وهو الجائز من حيث تقدم الحضارة العربية الأولى، ومن حيث التحليل اللغوي كما رأيت. وقد يجادل من لديه شك في هذا القول بأن العرب قد يكونون «نقلوا» كلمة (الميس) ذاتها عن اليونان (!) وهذا مردود بأمرين، **أولهما**: أصالة الكلمة في

العربية بدليل وجود كلمات تنبثق عن الجذر الثنائي «م ي» فنجد: ميل، ميح، ميس ـ بمعنى واحد. **وثانيهما**: وجود كلمة **«م س س»** MSS في المصرية القديمة بالمعنى ذاته: ترنح، تمايل، ماس ـ بالإنكليزية totter. ولا يمكن القول ـ طبعاً ـ بأن المصريين، ولغتهم عروبية صميمة، أخذوا عن اليونان. ونضيف أن من الجذر **«ميس»** اشتقت كلمات عربية كثيرة منها: شجر الميس، سمي كذلك لتمايل أغصانه و«رقصها» مع النسمات، واسم **«مائسة»** و**«ميّاسة»** و**«ميساء»** وكذلك **«ميسون»** ـ والأخيرة صيغة أندلسية بزيادة الواو والنون (زيد/ زيدون. سعد/ سعدون. وهب/ وهبون. تقابل زيادة الألف والنون في العربية الجنوبية: نعم/ نعمان. زبد/ زيدان. عدن/ عدنان. كهل/ كهلان.. إلخ) تفيد التصغير، ولعلها من اللهجة الأرامية (السريانية) التي تفيد فيها الواو والنون التصغير ـ تدليلاً وليس تقليلاً ـ إذا ألحقت بآخر الاسم.

وعلى هذا يمكننا أن نطلق على «ربات الفنون» كلمة واحدة مقابلة تكفي للدلالة عليهن: **«الميّاسات»** أو **«المائسات»** (فهن أحياناً يسمَّين **«عرائس الفن»** وليس **«رباته»** و«العرائس» عادة يرقصن طرباً وفرحاً!) وبذا يقابل اسم «مائسة» و«ميّاسة» بالضبط لقبي muse, mousa في اليونانية.

لكنني كنت أحدثك منذ قليل عن **«الإيقاع»** وعن متابعة القدم للنغم عند سماع اللحن الطروب. وهذا ما يدعى في لغتنا الجميلة **«المساوقة»**. وهي كلمة مقابلة تماماً لحبيبتنا **«الموسيقا»** ومنها

«**الموسقة**». تقول: مَوْسَق، يُمَوْسِق، مَوْسَقَةً، وفلان رجل مُمَوْسِق، وذلك شيء مُمَوْسَق ـ أي منغَّم، موقَّع مرتَّب، منظَّم.

هذا كله يرجع إلى الجذر العربي «**وسق**» وبزيادة ما يسمى في علم اللغة «**ميم المصدرية**» صار «موسقة» أو «موسيقا» حين أخذها اليونان.

من هذا الجذر «**وسق**» جاءت كلمة «**الاتِّساق**» ومعناها الحرفي: الانتظام. وأنت تعرف بالتأكيد أن «الموسيقا» عبارة عن انتظام الأنغام وتكرارها سواء كانت نقراً على الطبل ونحوه. أو لحناً وترياً، أو نفخاً في مزمار وما شابهه. كما تنتسب إليه كلمة «**نسق**» ومنها: التنسيق، أي الترتيب والتنظيم ـ كتنسيق الأزهار في باقة فاخرة جميلة. ونحن نقول: فلان منسَّق الهندام، أي مرتبه، وكلام منسق أي منظم جميل.. **مموسق**.. إلخ.

ومنه أيضاً جاءت كلمة جميلة أُخرى هي «**الميساق**» (وجمعها ـ إن أردت الإحاطة به: مآسيق، أو مياسيق) وهو كما يعرف معجم العربية: «الطائر الذي يصفق بجناحيه إذا طار».

أرأيت هذا الطائر «الميساق»؟ إنه ذاته «**المُمَوْسِق**» وهو «الموسِيقِي». هل أقول: «الموسيقار»؟

وماذا كانت «ربات الفنون» اليونانية التسع؟

كانت في الواقع مجرد أطيار «**مياسيق**» ترفرف من حول الشعراء والأدباء والنحاتين والرسامين والمسرحيين والمغنيين، بأجنحتها

السماوية البيضاء، وتلهمهم جميل الأحاسيس، ورقيق المعاني، وعذب المشاعر، ومنغم الكلمات، اتساقاً مع الوجود الذي هو في أساسه نظام وتنسيق و«موسيقا» ربانية خالدة!

.. وصنج الجن من طرب يهيم

من أجمل ما تحلّى به أجدادنا الأعاريب أنهم كانوا يغنُّون. . ليس حداء للعيس في الصحراء، كما ارتبط في الأذهان، فحسب، بل كانوا يغنُّون للحياة، في بلاد الرافدين والشام وشبه الجزيرة ووادي النيل وشمال أفريقيا كله، منذ فجر التاريخ، أي منذ بداية الحضارة الإنسانية التي انبثقت في أرض العروبة ونمت وازدهرت برعاية أبنائها، مدى العصور. كانت الموسيقا تصحب مسيرة الثقافة العروبية في كل زمان ومكان، أينما حلت وحيثما اتبعت، فأخذها عنهم الإغريق واللاتين في قديم الزمان، كما نقلها الأوروبيون في نهضتهم الحديثة التي يعيشونها ونعيشها معهم هذا الأوان.

هذه سمة الحضارات العظيمة؛ أن يواكب الفن التطور المادي، وأن يساير عالم العاطفة والروح مجال العقل والفكر ولا ينفصلان. وميدان الفن العربي فسيح رحيب لا تكفيه المجلدات ولا توفيه حقه آلاف الصفحات. فلنكتف هنا ببسطة عن فن «الغناء» باعتباره المظهر

الطبيعي الأوضح والأكثر ارتباطاً بالإنسان، ثم لنعرف بعدئذ كيف نقل اليونان عن العرب، وكيف أخذ اللاتين وأبناء الرومان.

في هذه العجالة ـ ولا أدري لماذا نحن دائماً من أمرنا على عجل! ـ سآخذك إلى بضع كلمات عتيقة تتصل بالطرب والترنيم وترتبط باللحن والترخيم، نستخرجها من أعماق التاريخ في مختلف مواطن العروبة القديمة، نرى وشائجها الوثيقة وأثرها البعيد البعيد. فما رأيك؟ . . هيا إذن على بركة الله!

في بلاد الرافدين، دجلة والفرات، أو ما يسمى «العراق» الآن ـ استعمل العرب قديماً (يُعرفون أيضاً باسم «الأكاديين») كلمة للدلالة على الغناء والطرب تقع الآن في الآذان موقع الاستغراب، ولا استغراب، هي كلمة «**نعر**». قالوا: **نعر** = **غَنَّى**. **ناعورو**: **المُغَنِّي**. **نعراتو**: **المغنّية**. . وهكذا إلى آخر الإشتقاقات.

هل يرضى مطربوناً بهذه التسمية؟

هل يسعد أحدهم أن يعلن المذيع عن أغنية له فيقول: ينعرنا الآن المنعر فلان الفلاني ناعورة «بسبع امّاس قلبي قطّعاته» ـ مثلاً؟!

أما عن بعض «المطربين» فالحق أنني موافق تماماً على هذه التسمية الموفَّقة، وأطالب بها. وأما عن البعض الآخر فينبغي ألا يغضب على الإطلاق. ذلك لأن الجذر «**نعر**» في العربية ليس على هذه الدرجة من السوء. فإن معناه الأصلي: الصوت. وبالتحديد: الصوت الصادر من الخيشوم (وأرجو هنا عدم الربط بين هذه الكلمة

الأخيرة ولقب كاتب المقال. إذ لا صلة سوى مجرد اتفاق اللفظ!).
وصدور الصوت من الخيشوم شأن المطربين الذين ينغمون الأصوات ويحسنونها ويجوِّدونها بمختلف الأساليب، ومنها إصدار الصوت من الأنف ليكون ذا غنة مستحبة، حتى أنك لا تعرف المغني إذا سمعته يترنم من أمره إذا سمعته يتحدث مثل بقية الناس.. ويختلط عليك شأنه فلا تكاد تستبينه.

ولا عليك. فالمهم أن تعرف أن الجذر «**نعر**» ذاته له أصل محسوس، ثم انتقل إلى المجرد كما هي حال جميع الألفاظ.
و«النعرة» تعني أصلاً: الخيشوم (المنعر، المنعار) أي: المنخار (من مادة نخر ـ إبدال لمادة «نعر»)، ثم نمضي لنقرأ: النعير = الصياح، والصراخ.. في خير أو شر. تقول: امرأة نعَّارة = امرأة صخّابة ذات صوت مرتفع صارخ (والعياذ بالله!). النَّعرة (بفتح النون): الصوت.
وفي هذا يقول الراجز:

إنـي ورب الـكـعـبـة الـمـسـتـورة

والـنـعـرات مـن أبـي مـحـذورة

والنعرات هنا تعني: الآذان ـ للصلاة. فإذا رمت أن تعرف من هو أبو محذورة هذا فاعلم أنه مؤذن الرسول ﷺ واسمه: أوس بن معير من بني جمح.

ومن «النعر» سميت الريح إذا هبت مع صوت: نَعُور. ريح نَعُور = ذات صوت. وأهل الشام يعرفون قطعاً: الناعورة، وهي

الدولاب، وجمعها: نواعير ـ تلك الدواليب التي يديرها الماء، وفيها صوت هو «النعر». (ولا ننسى هنا أن صيغة «**فاعول**» هذه صيغة أرامية الأصل. وجدت في العربية وغلبت على السريانية وكثرت. وفي ليبيا لا أزال أذكر أيام الصبا حين كانت تسمى **آلة الحياكة: الناعورة**. ذلك إما لصوتها الذي تصدره أو لأنها كالدولاب. كان هذا قبل أن يغلب تعبير «ماكينة الخياطة». . فتأمل كيف تراجعنا من العربي الفصيح إلى «الماكينة»!).

أما وقد بانت صلة الأكادية بالعربية، بل وحدتهما، فلنترك عرب العراق الأقدمين ينعمون بالنغم (عفواً. . النعر!) في رقدتهم الأبدية، ولنتجه صوب عرب مصر القدماء في ما يسمى عصور (مصر الفرعونية) ونعرف عندها أخبار الطرب والإنشاد. وليس حديثنا بالطبع عن تاريخ الفن في مصر العتيقة فإن هذا مجال رحب ليس هنا موضعه. لننظر في اللغة التي عبروا بها عن الغناء. . فحسب.

كان عرب مصر الأقدمون يقولون «**ح س ي**». ومعناها: **يُغَنِّي**. ويسمون المُغَنِّي أو العازف أو المنشد: «**ح س و**».

أليست هذه وتلك هي العربية «**حِسّ**»؟

نعم. هي ذاتها. فإن معنى «الحِسّ» في العربية أصلاً: الصوت، والرنّة، صوت الحركة، أو صوت المغنّي، ورنة العود أو الوتر أو أية آلة موسيقية لها رنين. وهذا ما ينطبق على المصرية تماماً. وزاد المعجم العربي معنىً لطيفاً فقال: «الحِسُّ = الصوت الخفي». ويا له

من تعبير جميل ينم عن الهمس الهادىء شأن المغني المطرب صوته همساً، وليس «نعيراً»، كما سبق. وانظر كيف يتباين التعبير اللغوي طبقاً للتعبير الصوتي، همساً هادئاً (حس) وصراخاً عالياً كصراخ «بوب مارلو» وزعيقه الرهيب (نعر).

فماذا عن الصوت العالي.. الصوت «الحيَّاني»، كما يعبر أهل مصر اليوم؟ لقد أسماه المصريون «**ش د ي**» ـ وأصله القراءة بصوت مرتفع، الإنشاد. أعني «**الشدو**». وهذا ما يتبادر إلى الذهن أول وهلة. وصحيح هو إلى حد ما. إذ يقول القاموس: شدا بصوته = مده بالغناء وغيره (كالقراءة مثلاً) وشدوت: إذا أنشدت بيتاً أو بيتين تمد بهما صوتك كالغناء. ويسمى المغنِّي: الشادي. (فلتقارن هنا «شادي الألحان» حين تغني المغنية: يا شادي الألحان أسمعنا رنة العيدان. أو فلتقارن ـ لمزيد من الإيضاح ـ المطربة الذائعة الصيت ـ أو الصوت ـ «شادية» إذا شئت، أو «شادي الخليج» و«شادي الجبل» وقد نسمع عن «شادي السهل» و«شادي الوادي» ومن إليهم من الشادين!).

لكن مادة «**شدو**» في الأساس لا تعني الصوت أو ارتفاعه، بل تعني «كل شيء قليل من كثير» فتقول: «شدا من العلم والغناء وغيرهما شدواً أحسن منه طرفا». ثم انصرف الشدو إلى معنى الغناء.

الجذر الإصلي هو «**شد**». **والشدة**: الارتفاع في كل شيء.

تقول: تشددت القينة إذا أجهدت نفسها عند رفع الصوت بالغناء. وأورد لهذا مثلاً قول طرفة بن العبد:

إذا نحن قلنا أَسْمِعينا، انْبَرَتْ لنا

على رِسْلها مطروقة لم تُشَدِّدِ

أراد طرفة أن يقول إنه إذا طلب من حبيبته أن تغني له (وأرجو أن تتمعن في هذه الصورة الحضارية البديعة: حبيبة تغني لحبيبها. ويسمونهم مع هذا «أهل الجاهلية»!) انبرت له الحبيبة ولم تخيِّب رجاء العاشق المحب، غير صخّابة ولا نعّارة وغير «شادّة» (قارن: **ش د ي** = الصوت المرتفع) بل منطلقة على رِسْلها هادئة الصوت هامسة (**ح س و**) مطرقة الرأس كأنها تناجيه وتناغيه. فانظر ـ بالله عليك ـ هذه الصورة، وتأمل هذه الدقة اللغوية المتطابقة بين العربيتين في مصر، منذ آلاف السنين، وفي صحراء الجزيرة.

لعل هذا ـ والله أعلم ـ هو ما جعل عرب مصر الأقدمين يعبرون بـ «الحس» عن الصوت الخفي المهموس، وبـ «الشد = الشدو» عن الصوت العالي المرتفع. فماذا قال طرفة لحبيبته؟ قال: «أسْمِعِينا» ـ أي: أطربينا. . ! أنشدي وترنمي وغني، واعزفي أوتار صوتك البديع. . !

وهذا ما يأخذنا إلى الكلمة المصرية الأُخرى المعبرة في هذا المجال: «**ش م ع**». ومعناها: ينشد، يطرب. وهي بعينها الجذر العربي «سمع» ومه التعبير المشهور «السَّماع» في حلقات ذكر

المتصوفة، وهو «الذّكر» بالصوت فقط أو صحبة آلات الموسيقا. وأصل السَّماع: ما سمعت به فشاع. ثم يضيف قاموس العربية:

«وكل ما التذّته الأُذن من صوت حسن: سَماع». «والسَّماع: الغِناء». ويضيف أيضاً: «والمسمِّعة: المغنِّية». هكذا ورد بالضبط. وفي المصرية تسمى المغنية «**ش م ع ي ت**» فإن شئت قلت هي بعينها «**سمعيَّة**» نسبة إلى السمع، أو «سَماعية» نسبة إلى السماع. وهي ذاتها ـ بسلامتها ـ «المسمِّعة».

فهل تود أن نمضي قُدُماً نلاحق مختلف الألفاظ الدالة على الطرب والغناء؟ ليس لديك مانع؟

حسن. هناك في المصرية القديمة أيضاً الجذر «**خ ن**». ومنه اشتقت كلمات كثيرة من بينها:

«خ ن ي»	(يعزف آلة موسيقية)
«خ ن و»	(موسيقيون)
«خ ن و ت»	(عازفة/ مغنية)

وأنت تعرف شيئاً في اللغة يسمى الإبدال» ومعناه أن يحل حرف مكان آخر قريب منه، عادة، في مخرج الصوت. فتستبدل الخاء مثلاً بالغين أو بالكاف أو بالقاف أو بالجيم (القاهرية).. وهكذا. ويضرب (لسان العرب) لهذا مثلاً: الخنة هي الغنة.. كأن الكلام يرجع من الخياشيم (عدنا إلى الخيشوم» مرة ثانية!). وتجد أن

«القنة» هي «الكنة» وهي ذاتها «الجنة» ـ تدور حول معنى الاختفاء والاختباء.

ولا أود إزعاجك بكثرة الشرح والإطناب في ضرب الأمثلة فإن لي في فهمك أملاً كبيراً. والمهم أن تعرف إن الخاء في «**خ ن**» المصرية تقابل الغين في «**غن**» العربية. ومن «**غن**» هذه كان: «الغناء»، ومنها: غنَّى، يغني، مغنٍّ، أغانٍ، أغنيات، مَغْناة.. إلى آخر الإشتقاقات التي لا تكاد تحصى ولا تعد. وكلها من «**الغنن**» أي الصوت أو الغنة. ومن ذلك: الروضة الغَنَّاء، تمر الريح فيها غير صافية الصوت لكثافة عشبها، ظبي أغنّ: في صوته غنة، أي: بحة. وأطرف من هذا: الوادي المغنُّ؛ إذا أعشب فكثر ذبابه فأغن (أو غَنَّى) ولذا يسمى الذباب «الغَنَّان» أي ذو الصوت الأغن (نسميه: الطنين).. إلى آخر ما ورد.

ترى إذن أن «**خ ن**» في المصرية تقابل «**غن**» العربية، سواء كانت عزفاً، أو غناء.

وهنا ننتقل إلى الأثر العربي القديم ينطلق من ربوعنا شادياً، مسمعاً صوت العروبة حسّاً وغناءً، فيُغْنِي الحضارة الأوروبية بأجمل الألحان، وتصدح قاعات أوروبا بالأنغام وهي تستعمل كلمات عربية.. دون أن تدري، وتعود إلينا محرَّفة محطَّمة كسيرة.. دون أن ندري!

فلننتبه أولاً لمسألة «الإبدال» أي تبادل الحروف، أعني

الأصوات، بين بعضها وبعض لأهميتها. وقد عرفنا أن «خ ن» هي «غن» و«خ ن و ت» تقابل «مغنية» (غنيت ـ بزيادة ميم الإسمية) وصارت في العربية أيضاً «قَينة» بالقاف، والقينة هي المغنية، وجمعها «قيان». وقد اتضح أن الخاء والغين والقاف يقوم بعضها مقام بعض. كذلك يفعل حرف الكاف وقد سبقت إليه الإشارة. وفي اللغات الأوروبية على الأغلب، وفي اللاتينية على الأخص، لا وجود لهذه الحروف الثلاثة: الخاء والغين والقاف. ومن هنا كان الكاف جاهزاً للقفز في موقع أي منها و«احتلاله» ليقوم بالمهمة على الطريقة الأوروبية الشهيرة. فجاء الجذر في اللاتينية «كن» بدلاً من «خن» و«غن» «قن». وتولدت من هذا الجذر «المحتل» كلمات ومصطلحات وألفاظ تسبقها سوابق وتلحق بها لواحق بحسب ضرورات اللاتينية واللغات المتفرعة عنها. . فنقرأ: cantare: غناء. cantor: المغني الفردي في الأوبرا (المغناة). cantato: نشيد، مزمور. أغنية. canto: مقطع غنائي. «غنوة».

وفي الإنكليزية نجد كلمة: chant = رتّل. ترتيل. غنّى. أغنية. chanter: مرتل. مغنٍّ. chantress: مغنية. قينة. chantry: مال موقوف للصلاة (الترتيل ـ الغناء) على أرواح الموتى. وكذلك chancleer: الديك. الصيَّاح. المغنِّي.

وفي الفرنسية chanson: أغنية (وكذلك في الإنكليزية) chant: غناء. chantable: مغنَّى (يمكن غناؤه). chanterelle: الوتر الأول في آلة الكمان. chanteur: مغنٍّ. حتى نصل إلى: café chantant

ومعناها: المقهى الذي يوجد به غناء (مقهى الغناء. لاحِظ أن كلمة café عربية «**قهوة**» وبذا يكون التعبير برمته عربياً!).

لقد ضربت أمثلة من الإنكليزية والفرنسية لشهرتهما، ولك أن تفتح معجم أية لغة أوروبية أُخرى لتجد نفسك محاطاً بهذا الجو الغنائي معنىً ومبنىً. وطبيعي ألا أحتاج إلى تنبيهك إلى الإبدال ـ مرةً ثانيةً ـ في هذه اللغات. فقد تحولت chant من نطقها بالكاف «**كانت**» إلى النطق بالشين والشين المعطشة «**شانت**» و«**تشانت**» بحسب تطور كل لغة (الإيطالية احتفظت بالأصل canto). وهذا دليل واضح على وقوع الإبدال حتى في اللغات الأوروبية، بل سقوط الحروف إن لم يكن كتابة فنطقاً. فكلمة chanson ينطقها الإنكليز «**شانصون**» بينما ينطقها الفرنسيون «**شاصو**» فيسقطون النون الوسطى والأخيرة معاً. وكأنهم بهذا يتبعون قول ابن منظور في (لسان العرب) إن النون «أكثر الحروف **غُنَّة**» وبذا فهي أسهلها سقوطاً أو إدغاماً لخروج صوتها من الخيشوم.

هل انتهينا؟

كلا يا صديقي. فإن هذه الكلمة الأخيرة chanson بالذات تغري بمزيد من البحث والتنقيب. إذ ما الذي ألحق «**صُنْ**» son. . . في آخرها؟ يخيل إليّ أنها مركبة من مقطعين chan ـ وقد أشبعناه شرحاً وتفصيلاً = «غن». ثم son. وهذه لها معانٍ كثيرة تدور كلها حول «الصوت». فكأن الكلمة أصلاً تعني حرفياً «صوت الغناء» أو «غناء الصوت». فاختر ما شئت. . ولن تخرج عن الموضوع أبداً. فهل

نترك هذه الـ «صُنْ» تمضي في سبيلها دون أن نمسك بتلابيبها ونرجعها، طوعاً أو كُرْهاً، إلى أصلها العربي البعيد؟

تعال ننظر في معناها ومشتقاتها معاً (في الإنكليزية على الأقل):
sono: صوت. sonorous: جَهْوَري، مرتفع الصوت. sonic: صوتي. sonometer: مقياس السمع. sonnet: نشيدٌ مُوَقَّع. قيثارة صغيرة. sonata: ضرب خاص من العزف الموسيقي، وتصغيرها sonatina (من الإيطالية).

وهذه كلها ذات صلة بكلمة sound (صوت) وكلمة sonant (حرف، صوت هجاء). وهي ذات صلة أقوى بكلمة song (أغنية) ومنها الفعل sing, sang والفاعل singer.

وليس يهمنا طبعاً ما تحاوله معاجم اللغة الإنكليزية من إعادة أصل كلمة song إلى الجرمانية أو الجرمانية القديمة أو حتى القوطية أو الفنلندية وغيرها من لغات أوروبا. فكتاب هذه المعاجم لا يريدون الاعتراف بشيء جاء أوروبا من خارجها، ويجهلون قطعاً اللغة العربية، وإذا عرفوها تجاهلوا أثرها وغمطوها حقها. ونحن نعرف أن هذه اللغات المذكورة التي تعاد إليها الإنكليزية لغات لا تزال طفلة تحبو بالنسبة لعمر الزمان الذي ولدت فيه العربية ونمت و«**اغتنت**» وانتشرت على طول الدنيا وعرضها.

فماذا عن song هذه وصلتها بالعربية؟

تسألني.. فهل أنت على عجل؟

إذن فاعلم أنها من «صنج» وسواء نطقت الجيم معطشة أو غير معطشة فهي ذاتها sang (ولتكتبها: صنج، أو صنق، أو صنغ، أو صنڭ، فهذا لا يغير من الأمر شيئاً إلا إذا اتفقنا على حرف يقابل القاف المعقودة، **أو حرف g اللاتيني إذا تلاه a أو o أو u** أو لم يتله شيء كما هو الحال معنا الآن).

وتسأل ما «**الصَّنْج**» هذه؟

وجوابك عند ابن منظور في (اللسان).. وإن أخطأ قليلاً. فقد ذكر العلامة الكبير ضربين من «**الصَّنج**» أحدهما عربي يكون في الدفوف ونحوها والآخر ـ كما قال ـ يكون في الأوتار وهو دخيل معرب، وناقش هذا الخطأ بالتفصيل الأستاذ العالم عبد الحق فاضل في كتابه الطريف (مغامرات لغوية) وأثبت أن «الصنج» عربي سواء كان دفاً أو وتراً، وأنه يعني في الأصل: الصوت، والغناء، وقد نقله العجم عن العرب، لا العكس. فلنقدم أمثلة لذكر الصنج: قال الأعشى:

ومستجيبا تخال الصَّنج يسمعه
إذا تُرَجِّعُ فيه القينةُ الفُضُلُ

وقال آخر:

قل لسوار إذا ما جئته وابن علاثة
زاد في الصنج عبيد الله أوتاراً ثلاثة

وورد على لسان ابن منظور ذاته:

«**الصنج** الذي تعرفه العرب هو الذي يتخذ من صُفْر يُضْرب أحدهما بالآخر. . . والصنج ذو الأوتار الذي يلعب به، واللاعب به يقال له: **الصَّنَّاج** (قارن singer) وكذلك: **الصّنّاجة**. وكان أعشى بكر يُسَمَّى (صنَّاجة العرب) لجودة شعره».

من هذا ندرك أن مادة «صنج» لا تعني آلة موسيقية بعينها، دفاً كانت أو وتراً، بل تفيد معنى إنشاد الشعر، وإجادته أو تجويده، والشدو به، أي الغناء.

ليس هذا فحسب بل إن «**صنج الجن**» يعني صوتها ـ كما قال في (لسان العرب) ـ وكما ذكر الشاعر القطامي:

تبيت الغولُ تهرج أَن تراه

وصنج الجِنُّ من طرب يهيم

أي نعم! «كأن الجن تغني بالصنج». كلاًّ. بل إن الجن تغنِّي. . أي تصنج. هل أسمعك تقول sing؟!

وفي هذا البيت يختلط الهرج، والطرب، والهيام، والصنج (الغناء) كما صَنَجَتْ (غَنَّت) القينةُ في بيت الأعشى. . صنَّاجة العرب.

ثم ما الذي حدث؟

انتقلت «**صنج**» العربية إلى أوروبا فكانت في الإنكليزية song (ولاحظ أنها تعني: أغنية. كما تعني: نشيد، قصيدة، شعر). وفي الجرمانية العتيقة sang. والجرمانية الوسطى sangwaz وكذلك

singwun. وفي النوردية القديمة songr. وفي القوطية saggws. واحتفظت بكيانها كاملاً في الإنكليزية فلم يسقط منها حرف واحد. ولكنها أبدلتها دالاً في sound (صوت). وسقطت النون في القوطية، بينما ظلت في اللاتينية التي استغنت عن الجيم فكانت sono (الجذر SN) وعوضتها بالزوائد اللغوية واللواحق فكانت sonare وsonous وما إليها وما اشتق منها من مشتقات سبق ذكرها منذ قليل.

فهل تحب أن أدلك على آخر أخبار هذه «**الصنج**» الرحالة؟

إنها لم تكتف بالظهور في أوروبا عبر اللغات والعصور، متخفية حيناً واضحة حيناً آخر، صخابة أو هامسة، ولم تقنع بصيتها الذائع الشهير، فانطلقت إلى بلاد الشمس الساطعة.. اليابان. تلقفتها يد شركة حاذقة للكهارب (= الألكترونات)، تنتج آلات الإذاعة وتسجيل الأصوات ورأت أنها أنسب لفظة تدل عليها وتشير إلى نتاجها وتشهره.. فكانت «صوني» sony! وأنت تعرف قطعاً أن حرف «الواي» (Y) الأخيرة لازمة إنكليزية للتحبيب. تقول doggy للكلب (كُلَيْب) وhorsy للحصان (حُصَيِّن) وcatty للقطة (قُطَيْطة) فجاءت sony للصوت (صُوَيْت) محبب لطيف ظريف.

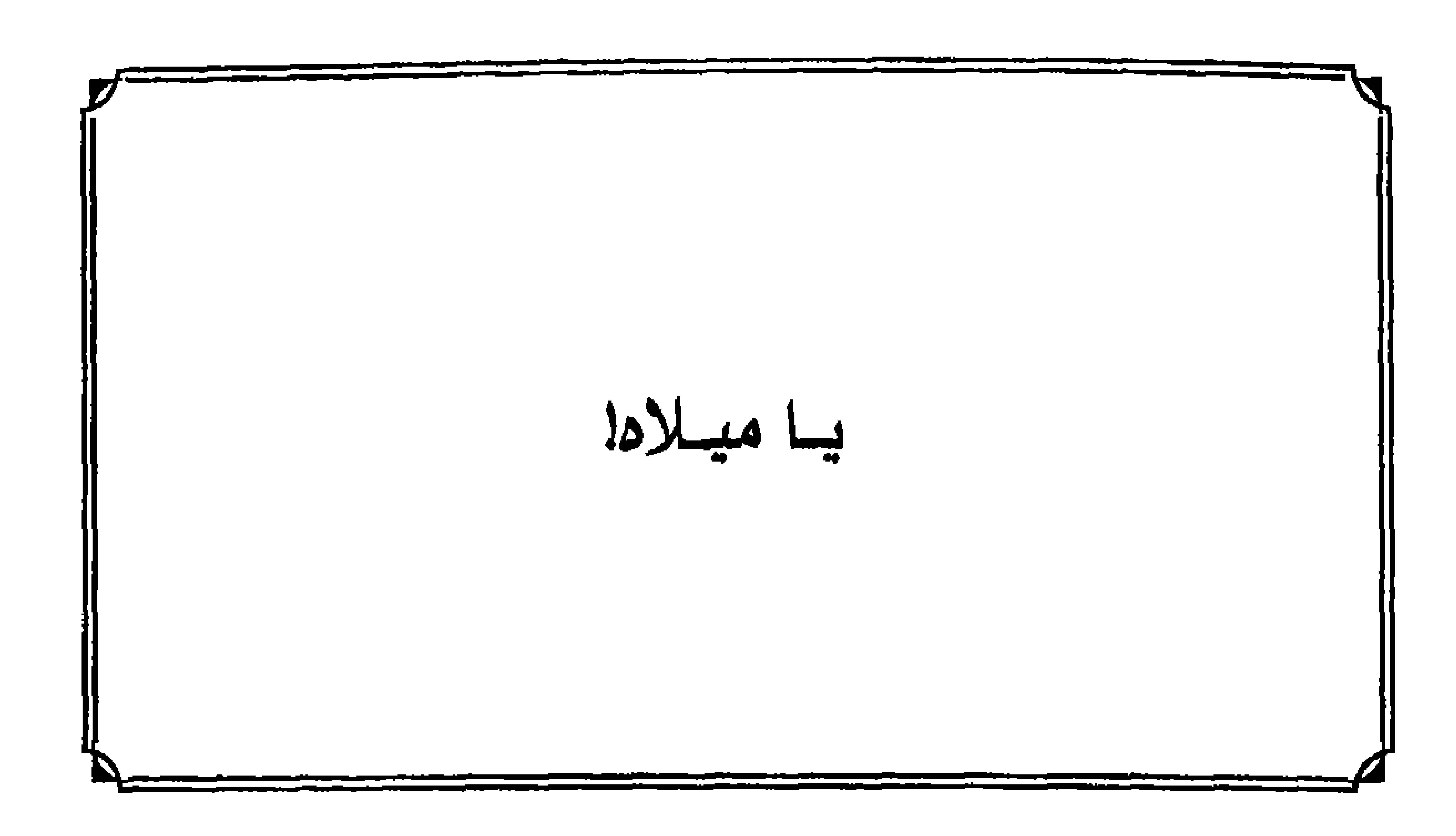
هل تُتْرك شركة «صوني» وحدها في الميدان، ومبدأ المنافسة والتجارة الرأسمالية سائد في اليابان؟

كلا يا أخي وألف كلا. ومن هنا جاءت شركة أُخرى حاذقة

وقلبت الحروف وتصرفت في الصرف المعروف، قالت: أنا اسمي «صانيو» sanyo.

أكاد أسمعك تسأل مستنكراً: ما يدريك، يا هذا، أن العربية «صنج» التي طوفت بها كل هذا التطواف مأخوذة عن اللاتينية sono وليس العكس؟ وكل ما فعلته أن قلبت الآية وعكست القضية؟

وهذا سؤال ذكي أشكرك على توجيهه. لكن دليلي اللغة العروبية الأكادية (وهي أقدم من اللاتينية بما يزيد عن ألفي عام من الزمان)، ففيها كلمة «صونَّاتو» و«صَنِّيتُو» بمعنى: موسيقا، وآلة نفخ موسيقية. وهي ذاتها «صنت» (مقلوب «نصت» التي منها «أنصت» = تسمَّع/ سمع). وفي اللهجة الليبية: يِصَّنِّتَ = يسمع، يُصْغي، يُنْصت. وكنا منذ مدة قليلة نقول: أجهزة «التصنُّت». فقالوا لنا: هذا خطأ. الصواب: أجهزة «التنصُّت» أي الإنصات والاستماع والإصغاء لكل «حس» و«شدو» أو «نعر» و«خن». فقلنا: «سمعنا» وأطعنا.. فسامحونا!



يـا ميـلاه!

هل لديك نبأ ذلك الفلاح الذي «كان ماشي بيغني من جنب السور». فلما رآها وهي تقطف ورود الصباح في طبق من البلور «قطع الموّال»، وأشار «وقال: يا صباح الخير. . يا أهل البندر. . يا صباح النور»؟!

جميل. أنت تعرف القصة إذن. وتعرف أن الفلاح ـ السعيد جداً ـ كان يغني «**موّالاً**» رائعاً في ذلك الصباح الندي. فلما رأى البنت الحلوة تقطف الورد ـ ويا له من منظر شاعري ـ توقف عن إرسال «**مواله**» وصبّح بالخير والنور. فلاح مؤدب!!

كلمة «**موّال**» هذه شاعت في أغنياتنا الليبية الحديثة، ولم تكن كذلك من قبل. هي وردت من المشرق بعد انتشار الإذاعات والتسجيلات. . وفي مصر كان «**الموّال**» يعني مقطعاً بذاته وسط أغنية ما، يشبه «الدور»، أو هو أغنية قصيرة يظهر فيها المطرب حلاوة صوته وبراعة أدائه واختلاف طبقات الصوت وهو يردد (يا

ليل، يا عين.. يا ليييييل!) ألف مرة ومرة من العشاء حتى مطلع الفجر. وقد أحصى أحدهم تلييلات وتعيينات المطرب صباح فخري في أغنية له تذاع من (مرئيتنا) فوجدها مائتين وأربعاً وخمسين مرة.. بالضبط!

فلماذا سمي الموّال موّالاً.. يا صاحبي؟

معاجم اللغة العربية تصمت هنا، فلا تتحدث عنه بشيء (لا خير ولا شر). فهي ـ فيما يبدو ـ معاجم محافظة سطرها شيوخ أجلاء لا يجوز أن يكتبوا عن «المواويل» حتى لا يتهموا بالفساد.. عيب!

(لسان العرب) لابن منظور يتحدث في مادة (مول) عن المال، والتمويل. هذا لا بأس به. وفي مادة (ميل) عن الميل بمعنى الانحراف، ومنه (ميل البخت!) والميل: المقياس، ولا يذكر شيئاً عن «الموال».

ابن خلدون في (مقدمته) تعرض لهذا الضرب من الغناء. قال: إنه يسمى «المَوَالِيا». وعن ابن خلدون ـ ومنذ القرن السابع ـ نقل آخرون هذه التسمية وقالوا إن «الموال» مشتق منها، وإنه غناء «الموالي»، أي الأرقاء، غناء حزين، يقطع نياط القلوب، وماذا تتوقع أن يكون غناء المسحوقين المقهورين، العبيد؟ وقال آخرون: بل الأصل «مولاي!» استعطافاً واسترحاماً عَلَّ الحبيب يحن ويمن. فبأي الآراء نأخذ يا ترى؟

مقارنة اللغات موضوع شائق جداً، ولكنه أيضاً شائك للغاية.

وبعض الناس ينظر إليه باعتباره «لعبة» ظريفة، ولكن آخرين يأخذونه مأخذ الجد، ويرون فيه وسيلة لمعرفة أشياء تبدو خافية في البداية ثم تبين.

خذ «موال» مثلاً. هي عند ابن خلدون: مواليا، وعند غيره: موال (موالي) في الأصل، وعند فريق ثالث: مولاي، صارت «موال».

في اللغة اليونانية كلمة «ميلو» melo ومعناها: النغم، الموسيقا، الغناء. ومن هذه الكلمة مشتقات كثيرة جداً أذكر لك من أشهرها ما هو معروف متداول على ألسنتنا من مثل: «ميلودي» melody = أغنية بسيطة، أو لحن غير مركب، إيقاع. وكذلك: «ميلودراما» melodrama التي يعرفها المسرحيون وتعني: رواية مشخصة ذات مفآجات مؤثرة وألحان حزينة. وأيضاً: «ميلومانيا» molomania أي جنون الطرب، الهيام بالموسيقا (حتى يمزق المرء ثيابه طرباً!) و«ميلودست» melodist بمعنى: ملحن، ذاك الذي ينغم و«يقسِّم» الألحان على من شاء من المطربين والمطربات. وكلمات أُخرى كثيرة تعود إلى «ميلو» هذه.

فهل تقول إن «موال» مأخوذة من الونانية «ميلو» ـ ودليلنا أنها تأتي: مواليا، موالي ـ مما يثبت التحريف عن الأصل؟

مهلاً. نحن لم نقل هذا. فلننتبه إلى أن كلمة «ميلو» melo في معجم اللغة اليونانية تعني كذلك: «أسود» في صورة «ميلا» mela

ومنها «**الملنخوليا**» أي: السوداء، السوداوية، المزاج المنحرف «العكر».. بعيد عنكم. وقد انصرفت دلالة اللون الأسود إلى معنى «العبد» الرقيق، المسترق، ذلك لأن العبيد منذ عصر اليونان، مروراً بعصر الرومان و«سبارتكوس» وما تلا من الزمان كانوا ـ في الأغلب الأعم ـ يجلبون من أفريقيا السوداء، حتى عصر العبيد الذين أخذوا إلى أمريكا عنوة بالملايين.

فهل ترى أن «**مَوْلى**» في العربية ـ بمعنى «عبد» ـ ذات صلة باليونانية «ميلا» وبذا ينتفي ما يقال من فكرة التضاد بين «مولى» بمعنى «سيد» وبمعنى «عبد»؟ أم ترى أن اليونان أخذوا الكلمة العربية ـ مولى ـ وحرفوها (ميلا) وعنت في لسانهم (السواد) المقترن بالعبودية، كما أخذوا (موال/ مواليا/ موالي) وحرفوها (ميلو) بمعنى غناء وهي عربية الأصل؟

الأمر على كل حال متصل بعضه ببعض. و«يا ميلاه»! ـ هكذا نقول في لهجتنا الليبية.. أو يقول جيلي على الأقل.. **أي: «يا أسفاه» أو: «يا ويلاه»**.. لا يمكنني أن أدلي هنا بالقول الفصل!

دراما

«مشهد درامي رائع هز وجداني هزاً»
«فعلاً الخاتمة كانت درامية جداً بالغة التأثير»
«هكذا تكون الدراما.. وإلا بلاش!»

مثل هذا الحديث يمكن أن يدور بين شخصين أو أكثر، تعليقاً على عمل مسرحي أو تمثيلي، غالباً ما يكون محزناً يرسل الدمع مدراراً.

وهذا صحيح بقدر ما، غير أن كلمة «دراما» صارت تعني لدى المشتغلين بالمسرح: الرواية ـ أيا كانت صورتها.. أعني الرواية التي تُحْكَى ثم تُشَخَّص.. والعمل الدرامي هو ما بُني على قواعد وأُسس مضبوطة في تسلسل مؤثر، وحبكة جيدة تؤدي إلى الانفعال بما يصور تمثيلاً، ومن هنا جاءت كلمات في الإنكليزية من مثل: dramatic (روائي، تمثيلي)، dramatist (مؤلف روايات تمثيلية)، والفعل dramatize (يؤلف) dramatis pensonae (وهو تعبير لاتيني يعني: أشخاص الرواية، أو ممثلوها).

كلمة «**دراما**» drama يونانية الأصل. وماذا تتوقع أن تكون؟ لكنها كانت في الأصل الأول البعيد مجرد «درا» dra أو «دراو» drao قبل أن تلحق بها هذه الـ (ama) وبقية اللواصق والزوائد والإضافات. ويقول بعض معاجم الفرنجة إنها تعني: «يعمل»، «يقوم بعمل ما»، «يؤدي». وقد حلت الإنكليزية do محل اللاتينية da. ولا ريب في أنك لاحظت أيها القارىء اللماح أن الإنكليزية do واللاتينية da تشاركان العربية «أدى، يؤدي، أداء» في أن أصلها كلها «**يد**» العربية التي يكون بها العمل في العادة. أليس كذلك؟

حسن جداً. ما دامت «اليد» هي «أداة» العمل كما رأينا فلنذكر أنها تسمى في العربية كذلك «**ذراع**» وهي ما تقابل اليونانية «دراو» drao بالضبط. . . بإسقاط العين أو قلبها حرف (o) أقرب الأصوات إليها كما هو منتظر أن يحدث على ألسنة الروم!

فهل انتهينا من المسألة؟

كلا ــ يا صاحبي ــ إذ نحن لم نكد نبدأ بعد، فلتعرني انتباهك. . من فضلك! كلمة «**دراو**» drao اليونانية نفسها تعني كذلك: يخيف، يرعب، يفزع، عنيف. ومنها جاءت في الإنكليزية كلمات من مثل: dreadful (مخيف)، drastic (عنيف). كما أن منها جاءت كلمة شهيرة هي dragon وتعني: أفعوان ضخم، تنين ــ وهو ذلك الحيوان الخرافي المرعب الذي ينفث اللهب من منخريه وهو يزفر زفير جهنم الحمراء. فالمعنى البعيد إذن هو الخوف والفزع،

وهو ما يؤدي بعض معاني «الدراما» في استعمالنا الآن، ممثلاً في المقطع الرئيسي «دراو».

فما رأيك لو بحثنا في لغتنا العربية؟ هل سنجد فيها شيئاً نقابل به هذه الـ «دراو»؟ امْضِ إلى (لسان العرب) لابن منظور، لو سمحت واقرأ في مادة «ذأر» تجده يقول: «ذئر الرجل: فزع. وذئر ذأراً فهو ذئر: غضب. قال عبيد بن الأبرص:

لما أتاني عن تميم أنهم
ذئروا لقتلى عامر وتغضبوا

.. والذائر: الغضبان».

وهناك تحليلات واستشهادات كثيرة لا يسمح المجال بذكرها كلها.. فلتراجع في مواطنها.

والمهم أن نعرف أن «الذأر» هو الخوف والغضب وهو ما يقابل اليونانية «دراو» مع التحريف والقلب والإبدال ـ طبعاً ـ كما هو متوقع.

فهل نكتفي بهذا؟

ليس بعد. فلآخذك معي إلى لغة عروبية أُخرى هي اللغة البابلية (الأكادية) وفيها كلمة «أدارو» تعني: يرعب، يخيف، يذعر (لا تنس العربية «ذأر»، ذعر»، والذعر: الخوف) واسم الفاعل في حالة الرفع «أَدَرُمْ adarum: مخيف، مفزع.

أتدري؟

من البابلية «**أدار**» adar انبثق اسم الشهر الثالث من السنة في حضارة بابل، ويُسَمَّى حتى عصرنا الحاضر في بلاد الشام: شهر «آذار». وكان يسمى ـ ولا يزال في بعض الأقطار العربية ـ شهر «مارس» أو حتى «مارت» وهو في اللغة المصرية القديمة «م ر خ» أي: غضب، حارب، قاتل. و«مارس» اللاتينية اسم إلٰه الحرب رب الزوابع والأعاصير والبرق والرعد. كذلك «آذار» عند عرب بابل كان إلٰه الصواعق. . رب الخوف والرعب والذعر من الطبيعة الهائجة المائجة في هذا الشهر المطير، الخطير. . . «**أدارو**»!.

فلنختم حديثنا بكلمة قصيرة:

«أدارو» البابلية هي العربية «ذأر»/ «ذعر». في اليونانية صارت «دراو» drao (خوف) ومنها جاءت كلمة «دراما» drama أي الرواية التمثيلية المرعدة المرجفة تتهاطل فيها المصائب والنكبات وتبرق فيها النوائب والويلات، على خشبة المسرح التي تطقطق رعباً كما تنهل دموع المشاهدين، أو ترتجف أوصالهم ذعراً. . . يا حفيظ!

تراجيديات

«التراجيديا» ـ هكذا تعلمنا كتابتها ـ تعرف بأنها «المأساة» . .
أعني: الفاجعة، المصيبة، الكارثة، النائبة، الطامة، أو حتى . .
الصاخة. تكون في الأعمال الروائية والقصصية والتمثيلية حكاية مليئة
بالمآسي و«البلاوي» المتراكمة. طفل، أو لنجعله مجموعة أطفال إذا
شئت، يختنقون بالغاز في البيت المقفل نتيجة إهمال أمهم اللامبالية.
شاب في مقتبل العمر يتمزق أشلاء إثر حادث سيارة، رب العائلة
يشل بسبب من عقوق، أو خيانة، أو خسارة فادحة، فيظل أطفاله
جوعى وزوجته تتسول، وأمه تذرف الدمع حتى تبيض عيناها من
العويل، وقس على هذا ما تراه من حب فاشل، وطموح معاق،
وأمل محطم، ومستقبل ضائع . . حالة!!

هذا هو المعنى العام لكلمة tragedy ومنها اشتقت الصفة في
الإنكليزية tragic (مأساوي). وكالعادة . . نمضي مباشرة إلى اللغة
اليونانية لنرى منشأ الكلمة، باعتبار اليونان هم الذين عرفوا المسرح

وروايته في حضارتهم وعنهم نقلت شعوب الغرب الأُخرى. لكن. . ما أبعد الشقة بين المعنى الأصلي للكلمة ومعناها الآن، وما أكبر الفرق!

أتدري كيف نشأت كلمة tragedia اليونانية؟

أقول لك.

هي مركبة أصلاً من كلمتين اثنتين: الأولى: «**تراقو**» trago. ومعناها ـ ولا مؤاخذة ـ «فحل الماعز». والثانية: «**أويدي**» oide وتعني «أغنية».

الأصل في مجمله حرفياً إذن: أغنية فحل الماعز» (تراقو ـ أويدي) = trago-oide = tragoidia (تراقويديا) تحولت إلى tragedy (تراجيديا) بنطق الجيم القاهرية (go) جيماً معطشة (ge).

صعبة هذه؟

كلا. فعلى بركة الله نمضي إذن لكي نبحث عن المقابل العربي المطلوب. أما عن الكلمة الأولى «تراقو» فإن البحث يكون في مادة «**طرق**» ـ ولاحظ أنه لا يوجد حرف الطاء في اليونانية فينطق تاء كما يكتب ـ ومن هذه المادة كلمة «**طَروق**». ونحن في ليبيا نستعمل «طَروق» بمعنى العِجل، للبقر خاصة، ومؤنثه «طروقة»، لكن «الطروق» في العربية تعني فحل الحيوان، إبلاً كان أو بقراً، أو غنماً، أو. . ماعزاً. وبذلك ترى أن «تراقو» trago اليونانية هي ذاتها «طَروق» العربية، مع التحريف الأعجمي بالطبع.

هذا عن الجزء الأول من الكلمة المركبة (تراجيديا). وقد ذكرت لك أن الجزء الثاني منها هو في الأصل «أويدي» oide ومعناها: «أغنية». ومن ذلك ما في اللغة الإنكليزية ode بمعنى: قصيدة غنائية، وهناك odeum: مبنى مخصص لعزف الألحان وسماعها، ومن هنا تسمى بعض المسارح والملاهي والمقاصف «أوديون» odion كما كان الحال عندنا قبل التعريب.

وما هو «الغناء» يا صديقي؟

إنه ـ بالطبع ـ رفع الصوت، الصياح.. أو حتى الصراخ. فهل فكرت في كلمة عربية تقابل «أويدي» اليونانية؟

فكرت؟ هذا جيد. لقد عرفتها إذن. إنها (العياط).. ومنها (عَيِّطْ) فعل أمر، و(عَيَّطَ) فعل ماض، و(يعيِّط) فعل مضارع، حال.. كما هو واقع الحال. «عيّط» ـ يا سبحان الله ـ انقلبت بإبدال العين همزة والطاء دالاً إلى «أيد» ومنها اليونانية «أويدي».

وقد تعترض بأن العياط يعني: البكاء والعويل. هذا صحيح في اللهجة الليبية ولهجة عرب مصر. أما في المغرب فإنها تعني «النداء» أي رفع الصوت (عيّط له = ناده) وفي اللهجة الشلحية نجدها «عَيُّوض» بمعنى: غناء.. بالضبط.

فهل اتضحت لك المسألة الآن؟

لنعد النظر..

«تراقويديا» اليونانية مكونة من كلمتين: «تراقو» (عربيتها: طروق

+ «أويدي» (عربيتها: عياط) وتعني أصلاً: «أغنية فحل الماعز».
عربيتها، بعكس المضاف والمضاف إليه: «عياط الطروق» (!!)
صارت بالتطور اللفظي والدلالي: «تراجيديا».

لكنك لم تسألني عن السر في هذه التسمية الغريبة. فلأتطوع بالإجابة وإن لم تسأل: السر، يا صاحبي، يكمن في أن الإغريق (أي اليونان ـ فالتسمية واحدة) كانوا يقدمون روايات فاجعة، دينية في البداية، تقرباً إلى أربابهم، وكانوا يرمزون لبعض هاته الأرباب بحيوانات يتخذ الممثلون أقنعة على أشكالها، ومنها ذكر الماعز الذي يعتلي خشبة المسرح ليظل يغني قصائد تضرع وعويل، أي (يعيط) ويصيح من المغرب حتى العشاء الأخيرة! كان، فيما يبدو، الأعلى صوتاً، والأقوى نفساً، والأقدر على «اللعلعة» والصراخ.. وهذه قمة «المأساة».. أعني الفاجعة، الكارثة، الطامة.. التراجيديا!

وهكذا خلد هذا (الطروق) اليوناني (العيَّاط) اسماً علماً، في لغة الرواية والتمثيل.. كما في لغة الحياة المأساوية!.

هارمونيات

إذا حدثك موسيقي مثقف ـ وقليل ما هم! ـ فإنك حتماً ستسمع منه كلمات من مثل: ميلودي، هارموني، تيون، تون، وغيرها. وإلا فكيف يثبت لك أنه موسيقي ومثقف يا سبحان الله؟!

و«الميلودي» ـ كما قد تعرف ـ هو اللحن الإيقاعي البسيط، يعزف بآلة واحدة أو مجموعة آلات تردد نفس النغمة وإن اختلفت ما بين وترية مشدودة أو نحاسية صاخبة أو نفخية، بوقية، صارخة، أو حتى «دربوكة» تدق بعنف عنيف يدفعك إلى التفكير في دق عنق ضاربها، دونما ذنب جنته.. المسكينة!

وهذا ما يظهر في ألحاننا العربية، تنافس الألحان الهندية أو.. تكاد.

أما «الهارموني» يا عزيزي فيعرف بأنه اللحن المركب، تتناغم الآلات في توافق وانسجام، وهو أمر تتميز به، وتمتاز، الموسيقا الراقية ذات التعابير والتفانين. مائة عازف وأكثر يقودهم عالم

بالموسيقا وحركاتها وسكناتها بإشارات من عصاه السحرية، كل عازف يأتمر بأمره ويتبع إشارته دون نقاش، ولا نشاز.. ذاك هو «المايسترو».

فهلا سألتني عن نشأة هذه «الهارموني» يا صاح؟ سألت؟ فلأجبك إذن بما تيسر لي.. والله المعين.

هي ـ كما قالوا ـ كلمة يونانية النشأة harmonia ومنها آلة النفخ الموسيقية التي نعرفها «هارمونيكا»، وفي اللغات الأوروبية الحديثة صيغت منها أفعال وصفات، كل لغة حسب صرفها، تفيد في جملتها معاني: التوافق، الانسجام، التناغم، أو حتى «المصارخة».. أي أن يصرخ هذا فيجيبه ذلك، آلة موسيقية في بداية الأمر، أو آلة بشرية تتمثل في أدوات النطق من لسان وحلق ولهاة وحبال صوت. ثم تطور المعنى من الحسي إلى المجرد وأصبحت الدلالة تعنِي «التوافق» أياً كان.

أما المعنى الأصلي، المعنى الأولي، للكلمة اليونانية فهو من كلمة «هرمو» harmo اليونانية أيضاً وتفيد معنى: «الربط» و«الحزم» ـ بأن يربط شيء إلى آخر، فيوائمه ويوحِّده به ويجمعه إليه.

فما الذي يحدث حين يحاول «خواجة» يوناني أن ينطق كلمة عربية بها حرف الحاء؟. هو سينطقها هاءً في الغالب، وبذا تتحول كلمة مثل «حلو» إلى «هلو» و«حمام» إلى «همام» و«حلال» إلى «هلال» و«حرام» إلى.. «هرام».

وصلنا. فإن مادة «حرم» العربية تفيد في أساسها الربط والتقييد، بل الجمع أيضاً، فتسمع عرب مصر يقولون: «الحريم» كما يقولون: «الجماعة» ـ أي أهل البيت، الحرمة. وفي اللهجة الشمال أفريقية هناك «الحرام» بمعنى الرداء يُلف على الجسد فيضمه ويحزمه ويحويه. وفي اللهجة الليبية «المحرمة»، وهي العصابة أصلاً على رؤوس النسوة، ثم صارت تطلق على المنديل الذي يربط به الرأس، وتطورت إلى منديل الجيب الأنيق. «محرمة» هذه من مادة «حرم»، والأخيرة صارت في اليونانية «هرم» ومنها «هرمو» harmo التي أدت إلى «هرموني» وبمد الهاء: «هارموني». والحديث ليس عن «حرامية» الألحان، وإن كان يمت إليه بسبب!

بقيت لدينا كلمتان: الأولى «تون» tone والثانية «تيون» tune. أما الأولى فتعني الصوت، أو النغمة، يصدر عن آلة موسيقية. والمشكلة الأزلية «الربع تون» أي: ربع النغمة، معروفة في عدم تمكن نظام الآلات الغربية من أداء هذا الربع العزيز، لاختلاف السلم الموسيقي تبعاً لاختلاف الأنغام، حسب اختلاف «الآذان». فما يؤديه العود لا يؤديه «البيان» وما تقدمه «المقرونة» لا يقدمه «الكمان».

أتسألني عن المقابل العربي؟

لقد حسبتك أدركته. إنه في مادة «طنن»: طنَّ، يطنُّ، طنًّا، وطنيناً. تقابل «تون» بالضبط.. مع مراعاة العجمة طبعاً حين تقلب الطاء تاء وتمط الكلمة مطاً.

كذلك الأمر في «تيون» tune. وقد تطورت الدلالة من الطنطنة

إلى ضبط الأنغام وإحكام الأصوات، «التعديل» ـ في لهجتنا ـ أي «الدوزنة» التي يقال إنها فارسية. . والله أعلم. ولعلك مررت بتلك التجربة المريعة حين «يدوزن» ـ أي يضبط ـ الموسيقيون آلاتهم قبل البدء في ضجيج العزف الصاخب: **طَنْ طَنْ طَنْ**. . **دَنْدَنْ دَنْ طَنْ! ثم فجأة: بُمْ بُرُلُمْ**. . **ثم: تِرلَمْ**. . **طَمْ طَمْ**. . **بُمْ**. كان الله في العون!

أهذا قريب من موسيقا شهيرة تدعى «التانغو» tango؟

تلك ـ يا صاحبي ـ من أصل آخر. أصلها من «**تانغ**» tang، وهي محاكاة للصوت تسمعه حين تدق وعاء من معدن، أو تدق دماغ شانئك مثلاً. . عربيته: **طَنَقْ**! وهذه قريبة من «**دَنَقْ**» ومنها: «الدنقة» أي الطبلة الكبيرة كان يرقص بها «البوسعدية» وهو يدقها دقاً مليحاً.

يا عجب!

لم أكن أعرف أن «بو سعدية» كان يرقص التانغو. . قبل «مارلون براندو» في شريطه الشهير: التانغو الأخير!

عن الأركام!

نحن نتحدث اليوم عن المسرح والمسرحيين، والمسرحيات، وعن العمل المسرحي، فلا ينصرف الذهن إلا إلى دور التمثيل وأهلها وما يتبع ذلك من روايات تكتب بشكل معين تنطق شخوصها وتتحرك وتنفعل، تضحك وتبكي وكثيراً ما تصرخ!

فهل فكر أحد المسرحيين، رجال المسرح ونسائه، في منشأ الكلمة يا ترى؟ ربما فعلوا أو لم يفعلوا. فلنفعل نحن هنا. .

في العربية باب يسمى «التوليد» ومعناه باختصار: أخذ جذر عربي فصيح صحيح، ثم يولد من معناه الأصلي معنى جديد قد يبعد عن الأصل ولكنه يظل مشدوداً إليه. . خيط رفيع يرق أحياناً حتى ليكون كخيط العنكبوت. خذ كلمة «مسرح» مثلاً. إنها من مادة «سرح» ومنها: سرح الماشية، وسروحها، أي غدوها إلى المرعى ورواحها منه، أعني مشيها وذهابها، ثم عودتها، إذ تغدو خماصا (أي فارغة البطون) وتروح بطانا (أي ممتلئة الكروش). الغريب أننا

نذهب اليوم إلى المسرح ـ بمعناه الجديد ـ بطانا بعد أن نتعشى ونعود خماصا، أي جوعى، حين يستمر العرض حتى منتصف الليل، أو يزيد!

قال ابن منظور: «والمَسرح»، بفتح الميم: مرعى السرح، وجمعه: «المسارح». ويبدو أن معنى السرح متضمن في الأعمال المسرحية، إذ يغدو الناس إلى دار التمثيل ثم يعودون (بعضهم في غضب شديد مما رأى!). كذلك الممثلون، تراهم يتحركون على خشبة المسرح هنا وهناك، بعضهم يمشي، وآخر يجري، وثالث يتمخطر، ورابع ـ أو رابعة ـ يتهادى، وقليل منهم «مقعمز» هادىء النفس مطمئن البال. فكأنما كتب على الجميع السرح والسروح أبداً. ناهيك بالفرق المسرحية الطوافة، أو الجوالة، أو الدوارة، من مكان إلى مكان ومن بلد إلى بلد، لا «**تركح**» أبداً.

قلت: «**تركح**». وتعني في لهجتنا: تهدأ، تستقر. ويقال «**ترتح**» ولها صلة بالراحة. وأنت تعرف «الرُّكح» لاهتمامك بالمسرح، ما دمت واصلت القراءة حتى الآن. وهو ما يسمى أحياناً: خشبة المسرح، تلك المنصة المرتفعة أمام جمهور النظارة، تبدو كحجرة ذات ثلاثة جدر (الجدار، أو الحائط، الرابع هو الجمهور طبعاً) وفوقها، من علٍ، يطل الممثلون والممثلات ليقدموا ما كتب لهم أو كتب عليهم، لا فرق!

«**الركح**» عربية فصيحة، وهي مولّدة أيضاً كالمسرح، والأصل في معناها الأول: الركن أو الناحية المشرفة على الهواء من الجبل.

والرُكح، بضم الراء أيضاً: الفناء وجمعه: أركاح وركوح. وركح الدار: ساحتها. وهو كذلك: ناحية البيت من ورائه كأنه فضاء لا بناء فيه. قال الشاعر القطامي:

أمــا تــرى مــا غــشــي الأركــاحــا
لــم يــدع الــثــلــج لــهــم وجــاحــا

الأركاح: الأفنية. والوجاح: السير..

ولست أدري إن كان القطامي يتحدث عن حال أهله أم عن حال أهلنا، أهل المسرح والأركاح في بلادنا. ومثله ما يورده ابن منظور، قال: «وفي الحديث: أهل الركح أحق بركحهم». صدق في ما قال!

بيد أن كلمة «المسرح» محدثة بعد أن استقر فن التمثيل (وكان يسمى: التشخيص) وثبتت أركاحه، أي أركانه. وكانت تنطق في البداية «مرسح» مقلوبة قلباً مكانياً (على لسان إحدى ممثلات الكوميديا). أما الكلمة التي كانت تستعمل في بداية وفود هذا الفن إلى الوطن العربي فهي «تياترو»، وتجمع على «تياتروات»..

«تياترو» هذه في الفرنسية والإنكليزية theatre (ثياتر) بالثاء المثلثة. أما في الإيطالية فهي teatro دون تثليث.. وعنها أخذنا فيما يبدو. والمقطع الأساسي الذي نمت عليه الكلمة، جاء من اللغة اليونانية «ثِيا» thea ومعناه العام: نظر، منظر، شهد، مشهد، أبصر.. إلخ. وهي كلمة عتيقة جدّاً جدّاً، منذ أيام (يوروبيدس) و(أسخيلاوس) و(سوفوكليس)، بل قبل هؤلاء بكثير..

البصر عند الأقدمين، يا صاحبي، لم يكن كما نعرف الآن نتيجة انعكاس الضوء الصادر من الأجسام في العين. بل كان المعتقد أن العين هي التي تصدر أشعة ترى بها الموجودات، تماماً كما يصدر النور عن مصباح اليد. ومن هنا كانت كلمة ثيا» تعني: بصر، نظر ـ كما تعني: «نور»..

فما هي الكلمة المقابلة لـ «نور» في العربية، وتكافىء «ثيا» اليونانية؟ هي ـ كما ظننت أنت بالضبط: «ضيا» أو «ضياء» بالهمزة وهي زائدة. وطبيعي أن اليونانيين لم يكونوا ينطقون الضاد، فهي خاصة بلغة العرب، فقلبوها إلى ثاء مثلثة، أقرب الأصوات إليها..

«ثيا» بمعنى النور، هي «ضياء» وبالإضافة صارت «ثياترون» theatron أي: محل النظر، أو محل النور، أي «مكان الضوء» = المسرح الذي هو متلألىء بالأضواء. أزيلت النون من اليونانية، وقد أخذتها عن العربية، فصارت في الإيطالية «تياترو» teatro ومنها دخلت العربية بدخول فن التمثيل. ثم استبدلت بكلمة عربية مولدة هي «المسرح».

فيا أهل المسارح! أضيئوا ليالينا بفنكم الجميل، أضاء الله أركاحكم، وأنار أفراحكم وزاد نجاحكم وفلاحكم.. آمين!

عن «الجاز» و«الكان كان»

في عشرينات هذا القرن وحتى الخمسينات منه اشتهر ضرب من الموسيقا عرف باسم «موسيقا الجاز» قالوا إنه ذاع عن طريق زنوج ولاية «نيو أورليانز» الأمريكية أوائل القرن العشرين هذا. ولو رأيت أشهر مغن كان يصحب موسيقا الجاز، واسمه للعلم «أرمسترونغ»، لرأيت زنجياً غليط الملامح متدلي الشفتين جاحظ الحدقتين مكتنز الشدقين وهو «يبعبع» بصوت غليظ أجش يصم الآذان.. «أيْ لَفْ يُو.. بَيْبِي!!» والصرخات تتعالى طرباً واستحساناً وإعجاباً منقطع النظير!

الموسيقا زنجية.. هذا صحيح. والنغم أفريقي.. تمام. جاء به السود من غرب أفريقيا يوم كانوا يساقون عبيداً أرقاء ليكدحوا في مزارع السادة البيض نهاراً ويغرقوا آلامهم ليلاً بهذه الأنغام الصاخبة العالية الضجيج.

والاسم؟

المعاجم الأوروبية تقول إن أصل الاسم مجهول ولا تدري من أين جاء. لكن الأستاذ «فارمر» في كتابه عن (تاريخ الموسيقا العربية حتى القرن الثالث عشر) يذهب إلى أن أصل كلمة «جاز» عربي أخذه زنوج أفريقيا الغربية عن العرب عند تماس الفريقين في المغرب والسودان، ثم نقلوه إلى أمريكا. هذا الأصل هو الجذر الثنائي «جز» ومنه الجذر الثلاثة «جزأ». وحين نعود إلى ابن منظور في «اللسان» نجده يتحدث في هذه المادة عن بحر من بحور الشعر هو ما يعرف باسم «المجزوء» أي المقتطع أو المقطوع. قال:

«المجزوء من الشعر ما حذف منه جزءان أو كان على جزأين فقط.. (أو) إذا ذهب فعل كل واحد من فواصله، كقوله:

يظن الناس بالمكيـ ـن أنهما قد التأما
فإن تسمع بلأمهما فإن الأمر قد فقما

ومنه قوله:

أصبح قلبي صردا لا يشتهي أن يردا

ذهب منه الجزء الثالث من عجزه».

هذا الشعر «**المجزوء**» ـ أي المحذوف منه أجزاء ـ هو شعر ناقص الفواصل، أي اجْتُزَّت فواصله، وهو بالضبط حال موسيقا «الجاز» التي كانت في بدايتها موسيقا مرتجلة لا تخضع لنظام إلا نظام الإيقاع الآني ـ كما يقول معجم «وبستر» العالمي ـ ولعل الأغاني التي كانت تصحب هذا الضرب من الموسيقا كانت مرتجلة

كذلك مما يسمح بكثير من الحذف والزحاف والإقواء والقطع. . أي «الجز» كما هو حال الشعر المجزوء في العربية.

غير أن هذا الرأي الذي قال به «فارمر» في نشأة اسم موسيقا «الجاز» من العربية (جز/ جزء/ مجزوء) وحللناه وأضفنا إليه شروحاً وتوضيحات، لم يعجب مجمع اللغة العربية في القاهرة رغم منطقيته، إذ أفتى في سنة 1935م بأن الكلمة فعلاً عربية الأرومة ولكنها جاءت من سبيل آخر. قال: إن «الجاز» أصلها «الزنجية» أي موسيقا الزنوج أو الزنج، أي سود أفريقيا، تحولت من «زنج» إلى «زج» بإسقاط النون، ثم قلبت فصارت «جز» ومُدَّت الجيم فأصبحت «جاز»!.

شخصياً أميل إلى القول الأول. . فما رأيك أنت؟

بعد هذا أقول لك: إذا سمعت تعبيراً مثل تعبير «الجاز باند» Jaz-band بمعنى (فرقة الجاز) فاعلم أنه تعبير عربي مركب من «جاز» التي سبق بيانها و«باند» بمعنى: فرقة، والأصل: عصابة، رباط، نسيج. . إلخ. عربياً: «بنط» ـ بهذه الدلالات المذكورة ومنها «البينط» أي النساج، الرابط ومقلوبها «طنب» وهو الحبل الذي يشد الوتد إلى الخيمة، صارت في الفارسية «بند» بمعنى علم ودخلت الإنكليزية كذلك «باند» وفي الإيطالية «باندا» banda أي: فرقة، و«بنديرا» bandera أي علم أو راية.

وما دمنا في مجال الموسيقا والغناء والطرب فلم لا ننظر في

اسم رقصة شهيرة في فرنسا تقدم عادة في الملاهي والمرابع ومنتديات الليل الساحر؟

اسم هذه الرقصة «**الكان كان**» وهي معروفة جداً بحرارتها وحيويتها وحركاتها العنيفة، بها كثير من الركل ومد السيقان ذات اليمين وذات الشمال (أية سيقان؟ هذا ليس من اختصاصي يا صديقي!!).

قال معجم أكسفورد إن رقصة الكان كان can can فرنسية (طبعاً!).

وقال معجم وبستر: كلمة لاتينية قديمة هي «كوام كوام» quam quam ولم يكن واثقاً من هذا القول. فهل أذكرك بالعزيز ابن خلدون؟

يتحدث ابن خلدون في (مقدمته) الرائعة عن أنواع الموسيقا والغناء اللذين يصحبهما الرقص طرباً بالطبع، ويذكر من الغناء ضرباً كان معروفاً في بغداد اسمه «الكان كان». هكذا وحياتك!

ولعلك لاحظت، بذكائك المعهود، أن «الكان كان» من العربية «كان» حين يتحدث المنشد عما كان بينه وبين حبيبته من ود، قبل الخصام أو.. قبل الزواج! «كان كذا وكان كذا» فصارت «كان وكان» وبالتعريف ـ كما يوردها ابن خلدون ـ «الكان وكان» صارت عند اللاتين «كوام كوام» للعجمة في حلوقهم، ثم صححت ورجعت «كان كان» عند الفرنسيين، ليختلط الغناء بالموسيقا بالرقص والركل والقفز والنط اختلاط الحابل بالنابل، كما يقولون!

مؤلفات
الدكتور علي فهمي خشيم

*** النزعة العقلية في تفكير المعتزلة:**

دراسة في قضايا العقل والحرية عند أهل العدل والتوحيد. (دار مكتبة الفكر ـ الطبعة الأولى 1966. المنشأة العامة للنشر ـ الطبعة الثانية 1975).

*** الجبائيان. . أبو علي وأبو هاشم:**

بحث في مواطن القوة والضعف عند المعتزلة في قمة ازدهارهم وبداية انهيارهم. (دار مكتبة الفكر 1968).

*** أحمد زروق والزروقية:**

دراسة عن أحد أعلام التصوف الإسلامي في شمال افريقيا. حياته وعصره ومذهبه وطريقته. (دار مكتبة الفكر 1975 ـ الطبعة الثانية: المنشأة العامة للنشر 1980).

*** الكناش:**

صور من ذكريات الحياة الأولى لأحمد زروق. . . بقلمه. مع

مقدمة وتحقيق. (المنشأة العامة للنشر 1980).

*** كتاب الإعانة:**

لأحمد زروق: تحقيق وتعليق. (الدار العربية للكتاب 1979).

*** في المسألة الأمازيغية:**

سلسلة «الدفاتر القومية» (المجلس القومي للثقافة العربية ـ الرباط 1996).

*** ايناور:**

رواية تاريخية مستوحاة من وحدة عرب مصر وعرب ليبيا في مقاومة الاحتلال الفارسي لوادي النيل في القرن الخامس ق.م.

*** التواصل.. دون انقطاع:**

دراسات في تاريخ وتراث الوطن العربي القديم. (الدار الجماهيرية 1998).

*** الكلام على مائدة الطعام:**

مقالات في ما يتعلق بأسماء الأطعمة وما يتصل بها أو يدخل في تركيبها من مواد وأدوات. (الدار الجماهيرية 1998).

*** رحلة الكلمات:**

مقارنات بين العربية واللغات الأوروبية لبيان الصلة الوثيقة بين العربية وهذه اللغات في أسلوب عرض مبسط. (دار اقرأ ـ مالطا/ روما 1986).

*** رحلة الكلمات الثانية:**

(الدار الجماهيرية 1998).

*** بالانكليزية: Zarruq the Sufi (زروق الصوفي):**

(مؤسسة (موريس الدولية) «Morris International» ـ لندن.

(المنشأة العامة ـ طرابلس 1974).

*** مر السحاب:**

مقالات قصيرة في السياسة والأدب والاجتماع. (المنشأة العامة للنشر 1984).

*** بحثا عن فرعون العربي:**

دراسات وبحوث في اللغة والتاريخ العربي والليبي ـ بنظرة جديدة للتراث الحضاري. (الدار العربية للكتاب 1985).

*** آلهة مصر العربية (في مجلدين):**

دراسة موسعة للدين واللغة في مصر القديمة لإثبات عروبتهما، ثلاثة أجزاء في مجلدين. نشر الدار الجماهيرية (ليبيا) ودار الآفاق الجديدة (المغرب 1990م).

*** سفر العرب الأمازيغ:**

بحث مفصل في عروبة اللغة الأمازيغية (البربرية). ملحق به:

*** لسان العرب الأمازيغ:**

معجم عربي ـ بربري مقارن. (دار نون 1996).

* **هل في القرآن أعجمي؟**

نظرة جديدة إلى موضوع قديم. بحث يصحح ما شاع من وجود مفردات أعجمية في القرآن الكريم، يؤصل هذه المفردات ويبين عروبيتها مع مقارنات باللغات العروبية الأخرى. (دار الشرق الأوسط، بيروت 1997).

* **الأزاهير Florides:**

نماذج من كتابات وخطب (أبوليوس المداوري). (المنشأة العامة للنشر 1979).

* **تحولات الجحش الذهبي:**

رواية أبوليوس المداوري الشهيرة (Metamorphoses) مترجمة إلى العربية مع مقدمة تحليلية. (المنشأة العامة للنشر ـ الطبعة الأولى 1980 ـ الطبعة الثانية 1984).

* **حسناء قورينا:**

مسرحية (بلاوتوس) Plautus المعروفة باسم Rudens. (دار مكتبة الفكر 1967).

* **حسان:**

مسرحية (جيمس فلكر) (J. Flecker; Hassan). (المنشأة العامة للنشر 1977).

* **الحركة والسكون:**

مجموعة مقالات وبحوث نقدية في مختلف الموضوعات التي اهتم

بها الكاتب. (دار مكتبة الفكر 1973).

*** أيام الشوق للكلمة:**

مقالات وبحوث ودراسات. (المنشأة العامة للنشر 1977).

*** نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى:**

ترجمة كتاب (وليام سذرن): (W. Southern; Western Views of Islam in the Middle Ages. مع التعليق عليه، ومقدمة، بالاشتراك مع د. صلاح الدين حسن. (دار مكتبة الفكر 1976).

*** حديث الأحاديث:**

مناقشة صريحة لآراء وأفكار الشيخ محمد متولي الشعراوي. . (دار مكتبة الفكر 1978).

*** نصوص ليبية:**

ترجمة لكتابات مشاهير المؤرخين والجغرافيين اليونان واللاتين عن ليبيا القديمة مع مقدمات وتعليقات وشروح. (دار مكتبة الفكر الطبعة الأولى 1968. الطبعة الثانية 1975).

*** قراءات ليبية:**

مقالات مركزة عن الحياة والناس والأرض والتاريخ والأسطورة في ليبيا حتى الفتح الإسلامي. (دار مكتبة الفكر 1969).

*** الحاجية:**

من ثلاث رحلات في البلاد الليبية. رحلات الناصري والمنالي

والفاسي في ليبيا محققة ومشروحة. (دار مكتبة الفكر 1974)

*** دفاع صبراتة Apologia :**

النص الكامل لدفاع (أبوليوس المداوري) في محاكمته بمدينة صبراتة مع مقدمة تحليلية وتعليقات. (المنشأة العامة للنشر 1975).

الفهرس

الغلاف: علي شمس الدين

رحلة الكلمات الثانية

الكلام: اسم وفعل وحرف.

هكذا قال النحويون والمقصود هنا تلك الأصوات التي تصدر عن فم الإنسان مرتبة في منازل ما بين أصوات حلقية ولهوية وسِنّيه وشفوية، ولهم فيها اصطلاحات ما بين: مطبق ومجهور ومعطش وصفيري.. إلى آخر ما تعج به كتب النحو - في - القديم - وكتب اللسانيات - في الحديث.

و«الكلام» اصطلاحاً لا يكون إلا أصواتاً تامة مفيدة مكونة من حروف الهجاء المعروفة، كما يقول صاحب (لسان العرب).





مصراتة ـ ص.ب. 17459 ـ مبرق 30098 مطبوعات ـ هاتف: 614418 ـ بريد مصور 614816 ـ 051
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى